الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

تقنيات الحجاج في رسالة هارون الرشيد إلى ملك الروم

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) تخصص علوم اللغة العربية

إعداد الطالب:

موسى سناني

إشراف الدكتورة:

حورية عميروش

أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د.محمد العيد رتيمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
د. حورية عميروش	أستاذة محاضر أ	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
أ.د.فاطمة الزهراء هيشور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوًا
د.عبد الرحمان أكتوف	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	عضوًا
د.نصيرة غماري	أستاذة محاضرة أ	المدرسة العليا للأساتذة– بوزريعة	عضوًا
د.نعيمة زواخ	أستاذة محاضرة أ	المدرسة العليا للأساتذة– بوزريعة	عضوًا

السنة الجامعية: 1441–1442هـ/2020–2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إن كان لا بد من إهداء لهذا العمل فإنه من باب أولى أن أهديه إلى روح أمي الطاهرة، وإلى والدي العزيز أطال الله عمره، ثم إلى الزوجة الكريمة حفظها الله " نورة بوربيع " التي كان لها الفضل بعد الله عزّ وجلّ في مزاولة دراستي في الجامعة والوصول إلى هاته المرحلة، وإلى أبنائي الأعزاء كل باسمه ووسمه.

شكر وتقدير

مصداقا لقوله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله».

أتوجه بشكري الجزيل إلى الأستاذة المشرفة " الدكتورة حورية عميروش " على إشرافها الكامل وحرصها الشديد واهتمامها الكبير على إتمام هذا العمل من بدايته إلى نهايته.

كما أتوجه بشكري الخالص إلى أعضاء المشروع وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل الدكتور " محمد العيد رتيمة ".

كما أشكر كل زملائي وزميلاتي في صفي واحدا واحدا، وكل من ساهم في إنجاز هذه الرسالة من بعيد أو قريب دون أن أنسى الكاتبة " أنفال بوهرور ".

مقدمة

الحمد لله الكريم المنان، العظيم الشأن، العزيز الرحمن، خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل اختلافه في اللون واللسان، وأرشده إلى الهدى والإيمان بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فكان آخر الرسل محمد العدنان خير الأنام عليه الصلاة والسلام الذي جاء بآخر الكتب وهو القرآن الذي أنار به القلوب، وكشف به الغيوب، وسلك به الدروب، وأعجز به أهل الفصاحة والبيان، وأفحم أصحاب الخطابة واللسان، أما بعد:

فقد جاء القرآن الكريم ببراهين ساطعة وحجج بالغة وأساليب حوارية راقية، تستميل النفوس وتحرك المشاعر وتثير الفكر وتقنع العقل وتهز الوجدان، فتتغير الأفكار وتتبدل الأفهام فتتحول إلى مواقف عظيمة وسلوكات رفيعة وأخلاق طيبة ترتقي بهذا الإنسان إلى رحاب الإيمان بالله الواحد الديان، وتجعله في كنف الإسلام بعيدا عن ظلمة الجهالة وحلكة الضلالة، حتى صار لهم خير منهل وأفضل مشرب يستمدون منه أساليب كلامهم وبلاغة خطاباتهم وطرق دعوتهم ومختلف حججهم وبراهينهم وفن كتابة رسائلهم التي اتخذوها وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة ونشر الإسلام بالتأثير والإقناع لا بالقوة والإلزام، ليدخل الناس في دين الله طواعية لا فرضا وكراهية، ومن أجل الوقوف على مدى فاعلية الرسائل وقدرتها على التأثير والإقناع لتغيير السلوكيات والأفهام جاء بحثنا في هذا المضمون موسوما ب:

" **تقنيات الحجاج في رسالة هارون الرشيد إلى ملك الروم**" كتبها أبو الربيع محمد بن الليث.

ولعلّ ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع أمور عدة نذكر منها :

- الرغبة في الوقوف على أساليب الحجاج وآلياته في الرسالة، وتبيان ما فيها من خصوصية وتفرد.

- أن الحجاج أضحى مطلبا أساسيا في كل عملية تواصلية تستدعي الإفهام والإقناع والتأثير مما جعله يمتد إلى كافة مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

- أن في دراسة الحجاج في الرسائل بيان للمنهج المتبع في كتابتها، وكذا إظهار لخصائصها وأنواعها وأشكالها، ومدى تمكنها من إحداث الإقناع في تغيير المفاهيم والعقائد والقيم والأخلاق وتعديل

الفكر والسلوك في حياة المتلقين لها.

ـ البعد الحجاجي في الرسالة لم يحض بعد بالاهتمام الكافي في إطار المفهوم التداولي للبلاغة ولا يزال البحث في هذ الميدان خصبا يحتاج إلى التقصي لكل حيثياته.

وانطلاقا من هذه الأسباب والدوافع وغيرها تبادر إلى ذهني طرح إشكالية مفادها :

ما هي أهم التقنيات الحجاجية التي يمكن للغة أن تقدمها كآليات للتأثير والإقناع في الرسالة؟ وقد اندفقت وتفرعت عن هذه الإشكالية شلة من الأسئلة الفرعية كان أبرزها مايلي:

ـ ما مفهوم الحجاج وما هي أهم المصطلحات المقاربة له، وكيف كانت بداياته الأولى ؟

ـ أين تكمن ملامح النظرية الحجاجية في التراث العربي ؟

ـ إلى أين وصل مسار الدرس الحجاجي الغربي الحديث وما هي أبرز نظرياته ؟

ـ ما هي أهم الإمكانات والآليات الحجاجية التي يمكن للغة أن توفرها ؟

ـ ما الدور الحجاجي الذي تقدمه الرسالة وإلى أي حد يمكنها أن تصله في التأثير والإقناع ؟

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

ـ تعدُّ الرسائل من أهم وسائل التواصل البشري بين المتباعدين من أجل تسيير شؤون حياتهم وقضاء حاجياتهم وأغراضهم.

ـ الدور الفعال الذي تؤديه الرسائل من أجل التأثير في مجريات الوقائع والأحداث على المستوى العام والخاص.

ـ الأساليب والعبارات والخصائص التي تعتمدها الرسائل في أغلبها مستمدة من الأسلوب القرآني والنبوي اللذين يمثلان النموذج الأمثل للمنهج السليم الذي ينبغي أن يتبع لإحداث التغيير والتأثير ونشر دعوة الحق بالرفق واللين والسماحة.

ـ استخدام هذه الرسائل للحجاج الذي يعد الركيزة الأساسية في كل خطاب غائي موجه يعتمد مبدأ استمالة الآخر وترويض مشاعره وأفكاره للتأثير فيه لا من حيث أفكاره فحسب بل من حيث مواقفه وما يترتب عنها من سلوك واقعي ملموس وهو الغاية المتوخاة من هذا النوع من الرسائل.

أهداف البحث:

-الكشف عن تقنيات الحجاج وأبعاده المختلفة في الرسالة (مدونة البحث) على مستوى الأدوات والروابط والكلمة والتركيب استكمالا لمكونات الإبلاغ اللغوي الحجاجي.

-التعرف على نماذج الحجاج في الآليات اللغوية والبلاغية باعتبار أن من وظائف البلاغة التبصر بالحجة وإقناع السامع والتأثير فيه.

-التعرف على الموضوعات والمعاني التي استخدمها الخليفة هارون الرشيد لمحاججته خصمه وأهميتها في حياة الناس الفردية والجماعية.

-إبراز خصائص ومميزات هذه الرسالة باعتبارها أنموذجا حجاجيا راقيا يحتذي به الدعاة والمهتمون بعلوم الاتصال والاعلام.

الدراسات السابقة:

إن من أبرز الدراسات السابقة التي عثرنا عليها في باب الحجاج نجد:

رسالة في الحجاج في القرآن الكريم التي قام بها الدكتور: **عبد الله صولة** -رحمه الله- بعنوان: (**الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**) وهي رسالة دكتوراه مطبوعة طبعة ثانية صدرت عن دار الفارابي منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات جامعة منوبة، تونس، عام 2007 في 645 صفحة. حيث أضحت المرجع الأساسي للعديد من الدارسين والباحثين في هذا المجال.

أما ما يتعلق بدراسة الحجاج لدى الأنبياء فقد برزت دراسة **لسعدية لكحل** بعنوان:

(**الحجاج في خطابات النبي إبراهيم** عليه السلام) وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في كلية الآداب واللغات بالجزائر ركزت فيها الباحثة على تعريفات مهمة للحجاج والجدل والمناظرة وشروطها، ممهدة بذلك لتناول مظاهر الحجاج في خطاب النبي إبراهيم خاصة في دعوته لقومه إلى ترك عبادة الأصنام والكواكب، وتعتبر هذه الدراسة الحجاجية دراسة حجاجية للقرآن الكريم لأن ذلك تم على لسان سيدنا إبراهيم بما قصه الله تعالى علينا من أخباره.

كما برزت دراسة في الحجاج النبوي من الباحث **هشام فروم** بعنوان: (**تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجا**) وهي رسالة ماجستير تخصص لسانيات عربية بجامعة الحاج لخضر باتنة عام 2009 في 221 صفحة ركزت على مفاهيم النص والخطاب والحجاج وعلاقة كلا منها بالتداولية.

وفيما يتعلق بالحجاج في الرسائل فقد ظهرت رسالة لنيل شهادة الدكتوراه للباحثة يمينة تابتي بعنوان: (**الحجاج في رسائل ابن عباد**) وهي رسائل أرسلها ابن عباد لأحد أصدقائه، وهذه الدراسة تعتبر دراسة أدبية تعتمد على الخيال وإثارة الأحاسيس والمشاعر لا يرقى إلى فهمها والتأثر بها إلا من له ثقافة واسعة وإطلاع كبير على الأساليب الأدبية واللمسات الفنية والخيالات الواسعة.

أما بحثي هذا فقد اتسم باهتمامه بالجانب التداولي للخطاب في الرسائل حيث الاستخدام الطبيعي للغة التي توفر الإمكانات والآليات الممكنة للحجاج.

مدونة البحث:

مدونة البحث هي رسالة مطولة من 50 صفحة تقريبا على شكل خطبة لأنها احتوت على عناصر الخطبة من استهلال بالحمد والثناء إلى الانتهاء بالنصح والدعاء للقبول والاستجابة، كما أنها احتوت على خصائص الرسالة من استهلال وذكر صاحب الرسالة، ولمن أرسلت إليه هذه الرسالة مع إلقاء التحية والسلام عليه.

«**من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم السلام على من اتبع الهدى وبعد...**». فهي رسالة تحمل في ثناياها خطابا موجها إلى متلق ما بغية التأثير والإقناع لتغيير سلوكاته ومعتقداته ومن تم العدول عما هو مقبل عليه من الحرب والمواجهة.

منهج البحث:

منهج الدراسة تداولي، استعنت فيه بتقنيات الحجاج وآلياته في تحليل النصوص والخطابات وباعتباره الأداة الأنجع لإبراز أوجه استعمال الحجاج في الخطاب الحجاجي التداولي، مما يسمح بالكشف عن المعنى الحجاجي الموجود في ثنايا الرسالة، من خلال إظهار مقاصد المرسل وأثرها في سلوك المرسل إليه.

كما اقتضت طبيعة الدراسة لهذا البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بمحاولتي وصف الظواهر الحجاجية في الرسالة، وترصد أساليبها وآلياتها ثم أقوم بتحليلها وتفسيرها حتى يتسنى للقارئ فهمها، والوقوف عليها.

كما أنني استعنت بالمنهج التاريخي لتتبع تطور فن الترسل منذ بداياته الأولى من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي أين استقام واستوى على سوقه، وبلغ الذروة في التطور والرقي، وكذا تتبع مصطلح الحجاج عبر العصور منذ أفلاطون وأرسطو مرورا بالحضارة العربية وصولا إلى الحضارة الغربية الحديثة، مع التركيز على إبراز أهم النظريات المتعلقة بالدراسات الحجاجية.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمد هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

- الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم لحمادي صمود
- استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي ظافر الفهري

- اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي
- اللسان والميزان (التكوثر العقلي) لطه عبد الرحمان
- مجموعة من المقالات ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته للحافظ الإسماعيلي العلوي
- التداولية والحجاج لصابر الحباشة.

وقد أعانتني هذه الكتب في فهم الحجاج والإلمام بالكثير من جزئياته وآلياته إذ أنها شكلت المصدر الأساس للجانب النظري والتطبيقي في بحثي على حد سواء.

خطة البحث:

بدأت بحثي **بتمهيد** عنونته **بفن الترسل عند العرب:(المفهوم والخصائص والتاريخ)** أردت من خلاله إبراز ماهية الرسالة وخصائصها وأشكالها وأنواعها باعتبار مدونة البحث هي رسالة مطولة، ومن أجل ذلك قمت بتتبع مراحل تطور هذا الفن بدءا من العصر الجاهلي، مرورا بصدر الإسلام إلى العهد الأموي، وصولا إلى العصر العباسي الذي يعد عصر الذروة في تطور فن الترسل حيث أضحت الرسالة في أعلى مراتب الفصاحة، وأرقى أساليب البلاغة لما تضمنته من ألوان البيان، ولما تحلت به من أحسن أنواع البديع حتى أصبحت في أبهى حلة، وأوضح بيان، وأقوى حجة وبرهان.

ثم اتبعت هذا التمهيد **بفصل نظري** مطول فصّلت فيه كل ما يتعلق **بالحجاج من حيث المفهوم والمصطلحات المرتبطة به والإطلالة التاريخية** له: بدءا بالبدايات الأولى له من **عهد أرسطو وأفلاطون** مرورا **بالدراسات العربية القديمة** وصولا إلى **الدراسات الغربية الحديثة للحجاج** أو ما يسمى **بالبلاغة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ونظرية المساءلة لمايير ،والسلم الحجاجي لديكرو وغيرها .** ثم أتممت هذا الفصل **بمبحث ثالث** فصّلت فيه **الآليات والتقنيات الحجاجية اللغوية.**

أما **الفصل الثاني تطبيقي:** جاء بعنوان: **الحجاج بالاستدلال والشرح والتفصيل في رسالة هارون الرشيد** قسمته إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف بالمدونة مدار الدراسة بينت فيها مدونة البحث وهي رسالة أرسلها هارون الرشيد إلى ملك الروم وعرّفت فيها بالمرسل والمرسل إليه، ثم فصّلت في فحوى هذه الرسالة.

المبحث الثاني: بينت فيه **الحجاج بالاستدلال العقلي** في الرسالة مبرزا أنواعه، مستخلصا طبيعته فيها.

المبحث الثالث: الحجاج بالشرح والتفصيل، وقد أجريته وفق ما بينه كلٌ من: **بلنجر** و**شارودو** في تسعة نماذج كالوصف والسرد والتعريف والمقارنة وغيرها...

الفصل الثالث تطبيقي: خصصته **للآليات اللغوية الحجاجية (الحجاج اللغوي)في رسالة هارون الرشيد،** وذلك بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحجاج على مستوى الروابط والأدوات وجاء في قسمين: الروابط اللغوية والعوامل اللغوية.

المبحث الثاني: الحجاج على مستوى الكلمة المفردة تناولته من ناحيتين: الناحية الصوتية للكلمة ودورها في إذكاء الحجاج، والناحية الصرفية وما اشتملت عليه من صيغ: كاسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة

المبحث الثالث: الحجاج على مستوى الجملة ركزت فيه على أمور ثلاثة:

- الأسلوب ودوره في الحجاج كالأمر والنهي والتعجب...
- ترتيب أجزاء القول
- بعض الصور البلاغية.

وختمت بحثي **بخاتمة** جمعت فيها أهم **النتائج المتوصل إليها** في البحث.

وقد واجهتني جمّلة من الصعوبات أهمها:

- اتساع الدراسات الحجاجية، وتشعب مجالاتها وكثرتها، مما أدى إلى صعوبة الإحاطة بها.
- عدم وجود الوقت الكافي للبحث والتدقيق في كل الجزئيات المتعلقة بالدراسات الحجاجية ومن ثم النقص في الإلمام الشامل بها.

أخيرا أحمد الله تعالى على توفيقه لإنجاز هذا البحث، كما لا يفوتني أن أوجه شكري الجزيل للأستاذة المشرفة: «**حورية عميروش** "على توجيهها ودعمها الكبيرين وإشرافها الدائم والمتواصل راجيا من المولى عز وجل أن أكون قد أصبت الهدف، وحققت المبتغى آملا أن ينتفع منه الباحثون والدارسون في هذا المجال.

تمهيد:

فن الترسل عند العرب

المفهوم والخصائص والتاريخ

أولا: ماهية الرسالة:

لقد عرف العرب فن الرسائل منذ العصر الجاهلي تزامنا وفن الخطابة الذي كان يكتسي أهمية بالغة وموقعا متقدما بين فنون النثر، فكان مسايرا للخطابة لأنه كان همزة وصل بين المتباعدين ولا يزال، بينما الخطابة كانت تشكل همزة وصل بين المتقاربين الحاضرين وجها لوجه.

فالرسالة كلام محمول من فم إلى أذن يحمله رسول مستأمن عليه من المرسل إلى المرسل إليه قد يكون منطوقا باللسان محفوظا في الصدر، وقد يكون مكتوبا في رقعة أو ورقة.

إذن فهو يكمل الخطابة إذ أن هذه الأخيرة تكون بين المتقاربين المتقابلين: الخطيب والسامع بينما الرسالة تكون بين المتباعدين الغائبين عن بعضيهما أي بين المرسل والمرسل إليه، وبينهما الرسول الذي يبلغ الرسالة.

فما هي الرسالة؟ وكيف كان تطورها عبر العصور؟ وما رسومها وموضوعاتها وخصائصها؟

أ ـ الرسالة لغة: ورد في "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس: "الراء والسين واللام" أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد، فالرّسل: السير السهل، وناقة رسلة: لا تكلفك سياقا...

وشعر رسلٌ: «إذا كان مسترسلا.... وجاء القوم أرسالا: يتبع بعضهم بعضا وتقول: على رسلك: أي على هنيتك. واسترسلت إلى الشيء: إذا انبعثت نفسك إليه وأنست»[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور: «تراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض والرسول: الرسالة والمرسل...وأرسلت فلانا في رسالة: فهو مرسل ورسول...وجمع الرسالة رسائل»[2].

---

[1] _أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، ص: 457، مادة (ر، س، ل).

[2] _ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، د ط، القاهرة، ص: 124. مادة (ر، س، ل).

ومن هذا نستشف أن المفهوم اللغوي للرسالة الانبعاث والاندفاع والامتداد السهل المتيسر أي الاسترسال السلس والانبساط المرح.

ب ـ الرسالة اصطلاحا:

قال أبو البقاء الكفوي في الكليات: «الرسالة في اللغة: تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة وهو حد صحيح بما أن كل رسالة فيما بين الخلق هي الوساطة بين المرسل والمرسل إليه في إيصال الأخبار.

ثم أطلقت الرسالة على العبارات المؤلّفة والمعاني المدونة لما فيها من إيصال كلام المؤلف ومراده إلى المؤلف له وأصلها المجلية أي: الصحيفة المشتملة على كتب المسائل القليلة من فن واحد»[1].

أما في العصر الحديث فإن الرسالة هي مجموعة الوثائق الكتابية التي تمكن من إقامة الصلة أو إبقائها قائمة بين متراسلين منفصلين في المكان والزمان فاستبعدت المقولة التي ترى أن الرسالة "محادثة بين الغائبين"[2].

إذ أن هذه المقولة تحتمل الصدق والكذب في آن واحد، لأن الرسائل مكتوبة لا منطوقة في هذا العصر فلا يمكن حمل لفظ المحادثة فيها إلا على المجاز، فهي هنا تحتمل الكذب بينما كونها بين غائبين فهي صادقة، لأن مفهوم الغياب مفهوم جوهري إذ يتحكم في بث الرسالة وتلقيها وشكلها.

كما أن الرسالة تفتقر إلى الأساليب والعناصر الشفهية للمحادثة كالنبر والإشارات والتنغيم وقسمات الوجه وغيرها، كما هو الشأن في المحاورة الحقيقية إلا أن مفهوم المبادلة قائم فيها.

أما الزمان فتتجلى فيه الفوارق بين المراسلة والمحادثة إذ أن المتراسلين لا يعيشان مقاما واحدا ولا محفلا خطابيا واحدا ولا زمانا واحدا.

---

[1] ـ أبو البقاء العكبري، الكليات، تحقيق: عدنان درويشي ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط:2، بيروت، 1998 ص: 125

[2] ـ بيار لوترمان، مبادئ الأسلوبيات العامة، ترجمة: محمد الزكراوي، مراجعة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2011، ص 253.

إذ بين تحرير الرسالة وقراءاتها زمن معين، فهي عند المؤلف من الحاضر إلى المستقبل، وعند القارئ من الحاضر إلى الماضي وصورتها هي:

حاضر التحرير--> مستقبل القراءة ماضي التحرير--> حاضر القراءة[1]

إذا كنّا في وقت تحرير الرسالة فإننا ننتظر زمنا معينا لقراءتها فنسميه مستقبل القراءة ، فإذا بلغنا ذلك الزمن أصبح زمن التحرير من الماضي قلنا بأن مستقبل القراءة يساوي ماضي التحرير أي أن مستقبل القراءة لا يكون إلا عند ماضي التحرير وحينها نكون عند حاضر القراءة وبين الآنيتين غياب وانتظار.

ومثال ذلك: «أنا في صحة جيدة أتمنى أن تجدك هذه الرسالة الحاضرة بين يديك كذلك»[2].

فهنا مرسل الرسالة في صحة جيدة لحظة كتابتها أو إرسالها وهو يتمنى أن يكون المرسل إليه في صحة جيدة لحظة وصول الرسالة إليه ، ومن هنا يمكن أن يكون المرسل إليه مريض لحظة تحرير الرسالة أو إرسالها ثم يشفى لحظة وصولها ، ونفس الشيء بالنسبة للمرسل فقد يمرض لحظة وصولها

من خلال استعراضنا لهذه التعاريف اللغوية منها والاصطلاحية نستشف ما يلي:

*-كل المعاني المنبثقة عن المفردات التي تولدت عن الجدر (ر.س.ل) توحي بمعنى واحد جامع هو الانبعاث الهين اللين.

*-كلمة الرسول لا تنفك عن الرسالة فلكل رسول رسالة هو حاملها فهو إذن الرسالة ذاتها.

*-الرسالة هي كلام منطوق أو مكتوب ينقله الرسول إلى المرسل إليه.

*-أن الرسالة ليست محادثة ولا حوارا لفقدانها لأساليب التعبير الشفاهي، وكذا اختلاف المقام الخطابي الواحد لوجود فارق زمني بينهما.

---

[1] - بيار لوترمان، مبادئ الأسلوبيات العامة، مرجع سابق 254 .

[2] _ المرجع نفسه، ص253.

ثانيا: تطور فن الرسالة وخصائصه:

إن تطور معنى الرسالة بمرور الزمن من الكلام الوجيز إلى الكتابة الكاملة في عدة صفحات قد تصل إلى المئات كرسالة "الغفران" لأبي العلاء المعري ورسائل الجاحظ وغيرها، استوجب علينا إلقاء نظرة تاريخية للوقوف على التطور الذي مس فن الرسائل انطلاقا من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، الذي يعد العصر الذهبي لتطور كل الفنون النثرية بما فيها فن الرسائل.

أ-في العصر الجاهلي:

اتسم فن الرسالة في العصر الجاهلي بالمشافهة أكثر منه بالكتابة، وهذا راجع لعدم تطور الكتابة، وعدم ممارستها إلا في بعض الحواضر من القبائل المتحضرة، فكان الرسول يحفظ الرسالة في صدره ليوصلها مشافهة إلى المرسل إليه بكل أمانة وصدق، فكان المرسل يتخير الرسول الأمين الموثوق به ليلقي في صدره رسالة شفوية تكون في غالبها مختصرة موجزة، معبرة بألفاظ راقية بليغة تضبط الغاية والهدف وتحدده.

إنّ فن الرسائل كان شكلا من أشكال النثر في الأدب العربي، وبعد الاطلاع على النثر في العصر الجاهلي وجد أن فن الرسائل لم يكن موجودا في ذلك العصر ربما بسبب قلة استعمال الكتابة وصعوبة وسائلها يقول الدكتور شوقي ضيف: «العرب استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية، لكنّهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية»[1].

إنّه لا وجود لفن الرسائل كنوع من الكتابة الفنية في العصر الجاهلي، ولكن وجدت ألوان أخرى كالقصة والمثل والخطبة.

لكن لو نمعن النظر في هذا العصر نجد أن بذور النثر الفني كانت موجودة لو نرجعه إلى السجع الذي كان غالبا في عبارات الكهان وبعض خطاباتهم، وربما كانت في طور الإثبات فهناك

---

[1] _ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، ط10، مصر، ص 19.

من يقول: «إنّ فن الترسل في الأدب الجاهلي، اتصفت رسائله بالإيجاز والبساطة في التعبير دون صيغة لفظية، وكانت عبارة الرسائل توصيات وحكم وأمثال كرسالة "المنذر الأكبر» إلى كسرى آنو شروان ورسالة عبد العزى بن قيس الكلبي إلى قومه»[1].

فإذا نظرنا في الرسائل نظرة فاحصة ظهر لنا أن بعضها: نقل إلينا عن طريق المشافهة لا الكتابة وهذا النقل يضعف الثقة.

إلا أنه قد جاء في كلام الأستاذ أحمد زكي صفوت حينما تحدث عن أدب الرسائل في عصر الجاهلية فقال: «كانوا يعتمدون في تراسلهم على المشافهة، فيبعثون برسالاتهم شفهية مع أمناء ينتخبونهم لإبلاغها، وكانوا يحتفظون بآثارهم الأدبية فيستظهرونها في الصدور، ويتناقلونها على الألسن، ولم يزاولوا من العلوم والفنون ما يقضي عليهم أن يدوّنوه ويقيدوه، أما أهل الحاضرة منهم فقد ألموا بالحضارة بعض الإلمام، وكانوا يمارسون الكتابة ويتبادلون الرسائل المكتوبة، ولكنهم لتقادم العهد لم يؤثر عنهم إلا رسائل قلائل محدودة [2].

-نماذج من رسائل العصر الجاهلي وخصائصها:

لقد كانت أقصر رسالة وصلت إلينا مكتوبة في سطر أو بعض السطر كالتي كانت من ملك الحيرة إلى عامله على البحرين جاء فيها الأمر بقتل المتلمس: «إذا وصلك كتابي هذا فاقتل المتلمس» .[3]

وأطولها يكتب في ثلاث صفحات كرسالة أكتم بن صيفي إلى النعمان بن خميصة البارقي، وهي مجموعة الأمثال والحكم تمثل عصارة فكر وخلاصة تجربة.

لكن أغلب هذه الرسائل كانت رسمية لا شعبية أي خاصة بالملوك والحكام كرسالة المنذر ملك الحيرة إلى أنو شروان ملك الفرس يصف له فيها جارية جاء فيها: «إني قد وجهت إلى الملك جارية

---

[1] _ غازي طليمات، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ط1، مكتبة الإيمان، دمشق، 1992، ص 575.

[2] _أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ط2، القاهرة، 1981ص: 10.

[3] _ المصدر نفسه ، ص: 10.

معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء حوراء عيناء، قنواء شماء، برجاء زجاء، أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء عريضة الصدر، كاعب الثدي...»[1]

ورسالة النعمان إلى كسرى يوصيه فيها بالاعتماد على زيد بن عدي.

أما فيما يخص الأعراب في البادية كانت رسائلهم غالبا منظومة لا مكتوبة، وأفضلها وأحسنها الرسائل المشفرة أو الملغزة التي تحتاج إلى ذكاء ودراية بحياة العرب وطبيعة بيئتهم، وأشهرها رسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه يحذرهم من إغارة اللهازم عليهم[2].

ب–الرسائل في صدر الإسلام:

لما طلع فجر الإسلام جدّت أحوال سياسية ألحّت على العرب أن يتراسلوا أكثر، وأن يطوروا كتاباتهم، وأن يرتقوا بها من أجل تواصل أكبر بين خليفة المسلمين في المدينة المنورة، وبين العمال والولاة وقادة الجيوش في شتى الأقاليم المترامية الأطراف الآخذة بالاتساع والامتداد، وكان أوائل الذين بدأوا التراسل النبي ﷺ امتثالا لأمر الله تعالى بتبليغ الدعوة الإسلامية إلى كافة ملوك الأرض ورؤساء الدول، فكانت أول هذه الرسائل إلى ملك الروم كسرى، ورسالة إلى قيصر الفرس، ورسالة إلى عظيم القبط.. [3].

شهد فن الرسائل انتشارا واسعا في هذا العصر، وهذا لانتشار الكتابة وتطورها بعد مجيء الإسلام الذي ساعد على ازدهارها ونموها، وهذا بالبعث على تعلمها واستخدامها.

فقد عمل الرسول ﷺ «جاهدا على نشر الكتابة بين أصحابه، وهذا لأنّها من أهم الوسائل

---

[1] _ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، مصدر سابق، ص:10.

[2] _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] _ غازي طليمات وأرعفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي (النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة) ، دار الفكر سوريا. ط1، 2007. ج4، ص 424

لنشر القرآن الكريم وتعلمه وإبلاغ مقاصده»[1].

مع مجيء الإسلام تغير الحال وظهرت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل فرسول الله ﷺ كان يشجع المسلمين عن تعلم القراءة والكتابة لذلك وجدناه في غزوة بدر الكبرى يطلب ممن يحسنون الكتابة والقراءة من كفار قريش الذين كانوا أسرى في أيدي المسلمين أن يعلموا عددا معينا من المسلمين مقابل إطلاق سراحهم وأخد حريتهم.

-خصائص رسائل صدر الإسلام:

رسائل صدر الإسلام عموما «غالبا ما تبدأ بالبسملة ثم يأتي بعدها تعابير من قبيل: "من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله، أو من أمير المؤمنين"، وقد تبدأ الرسالة باسم الرسول مباشرة مثل: "هذا كتاب من محمد رسول الله "، وإذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم فإنّ خير ما تستهل به "سلام عليك "، أما إذا كانت موجهة لغير المسلم فإن ما تستهل به فهو: "السلام على من اتبع الهدى ". وتأتي بعد السلام مباشرة التحميدات مثل: "فإنّي أحمد الله أو أحمد إليك الذي لا إله إلاّ هو"، وقد يرد فيها ذكر التشهد أيضا أو يكتفي فيها بعبارة أما بعد» [2].

وكان أسلوب الرسائل آنذاك تغلب عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع كما حدث ذلك لاحقا. إذا تأملنا رسائل رسول الله ﷺ نجدها تتفرع إلى فرعين: 3

أ-كتبه التي كان يوجهها إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام.

ب-عهوده ومواثيقه التي كان يكتبها للقبائل: وحينما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان عثمان رضي الله عنه كاتبه يكتب له الرسائل إلى القواد والعمال، فأصبحت الكتابة منصبا في الدولة.

---

[1] _ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6، 1984، ص 129.

[2] _ بوصوري ناصر، فن الترسل في العهد الرستمي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، طبعت سنة : 2007، ص 10.

3 ـ عمر عروة، النثر العربي، أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة للنشر، د ت، الجزائر ، ص 33.

-نماذج من رسائل صدر الإسلام: رسالة النبي - ﷺ - إلى النجاشي:

-«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى»[1].

-رسالة النبي - ﷺ - إلى المقوقس[2]:

-بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط فقال:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:64]

---

[1] _ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، مصدر سابق، ج 1، ص 34.

[2] _المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص:35 .

-رسالة محمد ﷺ إلى هرقل ملك الروم:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، اسلم تسلم، اسلم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله، فإن توليتم فقولوا: أشهدوا بأنّا مسلمون»[1].

إنّ الهدف الأساسي للرسالة هو دعوة هرقل ملك الروم للدخول في الإسلام حتى يسلم بإسلامه، وحتى يجازيه الله خيرا عن إسلامه وعن إسلام كل من سيسلم بإسلامه، ثم يدعوه إلى كلمة التوحيد ولشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

- ظهر نوع من التقنين لنظام الرسالة في هذه الفترة. وذلك في البدء والختام، فقد بدأت الرسالة بالبسملة، كما ذكر المرسل والمرسل إليه، وتقديم التحية له، كما اشتملت على عبارة "أما بعد" في صدر الموضوع، وقد ختمت الرسالة بآية من آيات الذكر الحكيم.

-نلاحظ على الرسالة الإيجاز الشديد، الذي يتجلى في قوله "اسلم تسلم" تنضوي الكلمتان على ما جاء به الإسلام من سبل خلاص المسلم وسلامته في الدنيا والآخرة.

واكب الميلاد الحقيقي للرسائل عصر التعبئة المحمدية، فكانت الحاجة الهامة أو الماسة إلى قيام هذا النوع من الرسائل بواجب نشر الإسلام «دعوة الملوك ورؤساء القبائل إلى الدخول في الدين الجديد أو اتفاقات المهادنة والمعاهدات بينهم وبين الرسول في شبه جزيرة العرب وخارجها، وغير ذلك من الأمور التي تتصل بشؤون الدين والدولة الجديدين»[2].

وبتوسيع الفتوحات جعل الخليفة عمر بن الخطاب كاتبا لكل ولاية، فمن رسائلهم رسالة عمر

---

[1] _ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، مصدر سابق، ج 1، ص 34.

[2] _المصدر نفسه، ص 31.

بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين أرسله إلى فتح مصر فجاء فيها: «بسم الله الرحمان الرحيم من الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عليك سلام الله تعالى وبركاته: أما بعد: فإن أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها، وأما إذا أدركك وقد دخلتها أو شيئا من أرضها... فامض واعلم أنني ممدك»[1].

وإذا كانت الرسائل من أكثر ألوان النثر سرعة وانتشارا في هذا العصر مع ظهور الإسلام واستيعابها لمعاني الدين فإنها سرعان ما ازدادت تطورا وتميزا في العصور التي تلته.

ج ـ الرسائل في العصر الأموي:

و لما حل زمن الأمويين واتسعت مصالح الدولة وتعددت، تطورت الكتابة في عهدهم، فكان في الدولة خمسة أصناف من الكتّاب وهم:كاتب الرسائل إلى العمال والأمراء والملوك، وكاتب الخراج وكاتب الجند، وكاتب الشرطة، وكاتب القاضي لتدوين الشروط والأحكام.

وتغيرت أساليب كتابة الرسائل من الأسلوب الموجز إلى الأسلوب المطول لما أصبح الكاتب موظفا أي أن الكتابة مهنة.

وتنوعت أساليب تلك الرسائل بين المرسل البسيط، والمنمق الجميل، والجزل المطول والمسجع كما تنوعت هذه الرسائل بين السياسية والحربية والاجتماعية والدينية.

وكان من أشهر كتاب هذا العصر "عبد الحميد الكاتب" الذي رجع إليه الفضل في تطوير فن الترسل الذي ضرب المثل ببلاغة إنشائه حتى قيل: «فتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد»، فهو أول من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات باسترسال.

إضافة إلى عبد الحميد هناك كتاب آخرون برزوا في العصر الأموي منهم "سالم" كاتب هشام بن عبد الملك، وعبد الله بن المقفع وغيرهم... [2].

---

[1] _ أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ط1، 2011، ص 105.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نمت الكتابة في العصر الأموي نموا واسعا، إذ عرف العرب فكرة الكتابة، وألفوا كتبا كثيرة شملت كل من قصص الأنبياء، وأخبار شعوبهم، وتحدثوا عن الملوك الأوائل كما كانت هناك رسائل سياسية تصدر عن دواوين الخلفاء والولاة أو عن خصومهم، ورسائل اجتماعية يتبادلها الناس في أمور حياتهم الشخصية، ورسائل دينية.

-خصائص فن الرسائل في العصر الأموي وأنواعه:

تعد الرسائل أو الترسل من «الفنون القولية ذات الأهمية البالغة من حياة الأفراد والشعوب، وكان للحضارة العربية الإسلامية نصيب وافر من العناية بهذا الفن، عبر العصور المختلفة، وفي شتى البلدان والدول»[1].

وتنوعت الرسائل وتعددت أغراضها حيث ازدهرت الرسائل الديوانية على يد عبد الحميد الكاتب في آخر عهد بني أمية، وكثرت الرسائل المتبادلة بين الخلفاء والولاة والأمراء، وهناك الرسائل الخاصة أو ما يسمى بالاخوانيات التي تتضمن شكرا أو تعزية أو تهنئة...، ففي عهد الأمويين تقلدّ مناصب الكتابة مجموعة من الموالي: «ويبدو أن التوسع في الدولة الإسلامية وعظم عمرانها، وتباين الأقوام فيها، وتشعب الأعمال أمامهم شغلتهم عن مباشرة الكتابة بأنفسهم، ولذلك أسندوها إلى من يقوم بها من العرب الذين تثقفوا بثقافات أخرى في مواطن التحضر، ومن الموالي الذين حذقوا اللغة العربية مع حذقهم لثقافات لغتهم الأصلية »[2].

إنّ الأمر الذي استدعى خلفاء بني أمية لإسنادهم شؤون الكتابة إلى الموالي، أنهم انشغلوا بالأمور السياسية والحكم، ومن الكتاب الذين أبدعوا في كتابة الدواوين والرسائل نجد سالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب، وهو زعيم الكتاب في عصره يعد أبلغهم وأفصحهم.

شاعت الرسائل في العصر الأموي، وعرفت بمختلف أنواعها، فقد تعددت مجالاتها بتعدد مجالات

---

[1] _ لفاني غنية، بلاغة النثر في العصر الأموي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 2018 جامعة باتنة، ص 56.

[2] _ المرجع نفسه، ص 57.

الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية. وزادت العناية بالكتابة لاتساع أعمال الخلفاء، وكثرة شؤون الحكم وتعدد الدواوين فقد: «زاد معاوية على ما كان منها في عهد الخلفاء الراشدين حيث أنشأ ديوان الرسائل وديوان الحاكم، وديوان الخراج، وهذا مما ساهم في نشر الكتابة الفنية وتوسعها وبلوغها مبلغا كبيرا لم يسبق مثله في العصور السابقة»[1].

وقد تميزت الكتابة في هذا العصر بالعديد من الخصائص الفنية، فبعد ما كانت تتميز به من البساطة والسهولة والإيجاز والوضوح في العهد الأول، وهو زمن «عبد الملك بن مروان ثم أخذت بالتطور والنمو في العصر الثاني، وهو أيام الوليد بن عبد الملك صناعة لها أصولها وقواعدها حيث تميزت بإشراقة البيان والصنعة، حيث كانت الكتابة على أيدي الكتّاب المثقفين بثقافة عربية واسعة كابن العلاء سالم كاتب هشام الذي نقل الكتابة إلى مرحلة جديدة واحتلت بهذا المرتبة الرفيعة»[2].

ثم جاء عبد الحميد الكاتب الذي نهض بفن الترسل، وجعل منه فنا قائما بذاته، وهذا بوضعه قواعد الكتابة الفنية وإرساء أصولها فقد «كان شيخ المترسلين ورائدهم، فكان أول من مهد سبلها، ووضع معالمها، ورسم لها رسوما خاصة في بدايتها وختامها والإطناب فيها مرة أخرى، فهو إمام المترسلين دون منازع»[3].

ولعبد الحميد بن يحيى الكاتب رسائل في موضوعات متعددة سياسية وأدبية، وله كتب إخوانية، ومن آثاره رسالة كتبها إلى الكتّاب، ورسالته مفردات في الشطرنج، ورسالة طويلة كتبها على لسان مولاه مروان بن محمد، ووجهها إلى ابن عبد الله حين أرسله إلى محاربة الضحاك ابن قيس رأس الخوارج، وكانت هذه الرسائل بمثابة دساتير، وهذا لأهمية مواضيعها وفحواها.

ومن خلال كل ما سبق يمكننا القول بأن فن الترسل في العصر الأموي كان من أبرز الألوان النثرية وأعلاها شأنا.

---

(1) _ عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصر الاموي والعباسي، دار الجيل بيروت، ط:1، 1990، ص 226

(2) _ المرجع نفسه، ص 268.

(3) _ سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 2012، ص 34.

-أنواع الترسل:

لقد قام النقاد بتقسيم الترسل إلى نوعين ترسل ديواني وترسل إخواني.

أ-الترسل الديواني:

أو ما يطلق عليه اسم الرسائل الديوانية "الرسمية العامة" وهي «الصادرة عن ديوان الخليفة أو الأمير يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، وإلى أعدائه أحيانا منذرا ومتوعدا »[1].

وهذا النوع من الرسائل يصدر عن ديوان الرسائل، الذي بدوره يختص بإدارة الدولة وشؤون الخلافة، فهو ديوان الدولة ومن خلاله يتم نشر المراسيم وتحرير الرسائل السياسية ومراجعة الرسائل الرسمية. «وقد كانت تعرف في الأدب العربي باسم رسائل الخميس، وهي رسائل يكتبها البلغاء في الدولة، ومنها الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن ديوان الدولة أو الواردة إليها في المجالات السياسية والإدارية»[2].

وقد بيّن شوقي ضيف في كتابه: الفن ومذاهبه في النثر العربي بأن رسائل الخميس هي تلك الرسائل الصادرة عن الجيش[3].

ولعل هذا ما يكسب الرسائل الديوانية أهمية كبيرة، وذلك باعتبارها الناطق الرسمي باسم الدولة، حيث تعتمد عليها في الحفاظ على هيبتها، وبهذا تعد سندا للدولة وقواما لأركانها.

ويدخل في هذا النوع من الترسل موضوعات عديدة منها: العهود والمواثيق والمراسيم...الخ

وقد شاع هذا النوع من الرسائل في العصر الأموي، وهذا لتعدد الأحزاب السياسية المعارضة للدولة، وكثرة الفتن والنزاعات، وتضارب التيارات الفكرية.

---

[1] _ عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ط1، ص 222.

[2] _ إبراهيم علي أبو الحسن، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، د ت، د ط، ص 193.

[3] _ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، مرجع سابق ، ص138.

ومن أمثلة هذه الرسائل ما كتبه الحجاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك وهو لا يزال واليا للعهد، فيها حدة وانفعال إذ يقول: «أنت نقطة من مراد، فإن رأيت في ما رأى أبوك وأخوك كنت لا كما كنت لهما، وإلا فأنا الحجاج، وأنّا شئت محوتك، وأنّا شئت أثبتك»[1].

وكأن الحجاج يحاول صرف الولاية عن سليمان بن عبد الملك، إلاّ أنه لم يتمكن من تنفيذ ذلك لأن المنية وافته.

ولا شك أن من أشهر كتّاب الرسائل الديوانية عبد الحميد الكاتب، ولقد كان من أكثر الكتاب توافرا على كتابة الرسائل التي تدل على سعة إلمام كبيرة، فقد تميز وبرع في هذا الفن حتى لُقّب بشيخ الكتاب، وإمام المنشئين والمترسلين في الأدب العربي «كان أمة وحده في بلاغة العبارة ورصانة الأسلوب، ودقة المعاني ولطفها، وعظمة الخيال وروعته، وشدة التأثير وامتلاك ناصية البيان وكان يفصّل الجملة تفصيلا، ويزينها بقليل من السجع، ويحليها بألوان الوشي الفني المطبوع»[2].

ولهذا يعتبر عبد الحميد رائدا من رواد فن كتابة الرسائل حيث منحها جلّ عنايته واهتمامه، سواء كان ذلك في بنائها أو مضامينها مما رقى بالكتابة رقيا جعل منها فنا قائما.

فلا غنى عن منزلته في الكتابة الفنية للرسائل، وهذا أنّه أول من مهّد «سبلها وميز فصولها، وأطال في بعض الشؤون، وقصّرها في البعض الآخر، وهذا مراعاة لمقتضى الحال، وأطال التحميدات في صدور الرسائل، كما أنّه تأنق في بدئها وختامها على حسب الأغراض التي تكتب فيها»[3].

فقد اتصف فنه بالكثير من الميزات التي بها أصبحت الكتابة صناعة «محررة الأصول مميزة الفصول مبنية القواعد، والتي اقتفى طريقها المترسلون من بعده»[4].

لقد تميز عبد الحميد الكاتب بطريقة خاصة في كتابة الرسائل قلده فيها من جاء بعده من

---

(1) _ سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، مرجع سابق، ص 346.

(2) _ محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعباسي، مرجع سابق ، ص : 290.

(3) _ أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الكتب العلمية، ج2، ص 285.

(4) _ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط8، 2004، ص 44.

المترسلين «فهو أول من فتق أكمام البلاغة، وسهّل طريقها»[1].

كما جعل من الترسل فنا قائما بنفسه له قواعده وأصوله، فهو من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات في فصول الرسائل، فهو شيخ الصناعة من دون منازع، ولعل من أشهر رسائله: رسالته إلى الكتّاب، ورسالته المفردات في الشطرنج:

-رسالته إلى الكتّاب:

«أما بعد، حفظكم الله، يا أهل صناعة الكتابة...فإن الله عزّ وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملائكة المقربين أصنافا، ولأن كانوا في الحقيقية سواء صرّفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات إلى أسباب معايشهم وأبواب رزقهم-فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجماعات، أهل الدب والمروءات، بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها...فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون.....-يا معشر-الكتاب-في صنوف الآداب تفقهوا في الدين، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط لأنه حلية كتبكم، واروا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسموا هممكم، ولا تضيعوه فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها....تزهوا صناعتكم»[2].

ففي هذه الرسالة نظر عبد الحميد الكاتب إلى كتّاب الدواوين نظرة زمالة، وأرشدهم إلى السبيل الصحيح في صناعة الكتابة، طالبا منهم اكتساب ما يلزم من المعارف للقيام بمهامهم على أكمل وجه، كما أوصى الكُتاب ببعضهم البعض، ودعاهم إلى المحبة والتعاون عند الحاجة.

---

[1] _ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3 ، ص 164.

[2] _ محمد علي كردين، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1973، ص 175-176.

-رسالته: المفردات في الشطرنج:

لـمّا تمادى الناس في اللعب بالشطرنج، وتهاونوا في أداء الفرائض والواجبات أمر الخليفة الولاة بنهيهم وزجرهم عن ذلك، فجاءت هذه الرسالة في هذا الإطار:

«أما بعد فإن الله يشرع دينه بأنهاج سبله، وإيضاح معالمه بإظهار فرائضه، وبعث رسالة إلى خلقه، دلالة على ربوبيته، واحتجاجا عليهم برسالته لأنّه مقدما إليهم بإنذاره ووعيده ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة ثم ختم بنبيه ﷺ وحيه، وقفّى به رسله، وابتعثه لإحياء دينه الدارس مرتضيا له حين انطمست له الأعلام مختفية، وتشتتت السبل متفرقة و....آثار الدين دراسة وسطح وهج الفتن، واعتلى قتام الظلم، واستنهد الشرك وأسدف الكفر، وظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام، ونطق زعيم الباطل بسكته الحث، واستطرف الجوار واستنكح الصوف عن الحق وأقطر لهب الفتنة، واستضرم لقاحها، وطبقت الأرض ظلمة كفر وغيابة فساد، فصدع بالحق»[1].

فقد جاءت هذه الرسالة على لسان الخليفة يأمر فيها أحد الولاة بنهي وزجر الناس من اللّهو واللّعب بهذه التماثيل من الشطرنج، ذلك لما ألحقته من ضروراتهم، لأنهم قد أدمنوا اللّعب بها حتى صرفت عقول الناس، وألهتهم عن ذكر الله، وعن مصالحهم ومهامهم.

لقد انقسمت الكتابة الفنية على عهد بني أمية إلى عهدين هما:

العهد الأول منها ما أورده عبد المنعم خفاجي «العهد الأول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد المالك، وكانت الكتابة فيه تسير على نمط صدر الإسلام من الإيجاز والوضوح والسهولة والبساطة، وقلة التكلف أو الصنعة، وكانت تصدر غالبا عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين الولاة».

أما العهد الثاني: «العهد الثاني من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة، وقد أخذت الكتابة في هذا العهد تتدرج في التأنق وأساليب البيان والصنعة والإطناب، وكان زمامها بأيدي الموالي، وأولهم سالم مولى هشام ابن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحي الكاتب، فاختلفوا بالكتابة وتأنقوا

[1] _ محمد علي كردين، رسائل البلغاء، مرجع سابق، ص 165

فيها وظهرت عليها الصنعة، وغلب عليها الإطناب، وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التي كانت عليها الخطابة»[1].

ومما استنتج عن كتّاب الدولة الأموية أنّهم جنحوا ببلاغتهم نحو هذا اللون من البيان، وقد خلت رسائلهم من محسنات البديع التي يميل إليها أهل الحضر، ومن حِكَم طُبعت على البساطة، فلا مبالغة ولا تهويل، ولا تصنع ولا تكلف، اللهم إلا ما جاء عفو الخاطر من سمع أو غيرهما من ألوان البديع، ومن هذا كله نلحظ أن الطابع الذي طبعت عليه الرسائل الديوانية عصر بني أمية هو السهولة واليسر والابتعاد عن التكلف والزخرف اللّفظي الذي اتسمت به كتابة الرسالة بعد هذا العصر.

– الترسل الإخواني (الرسائل الإخوانية):

وهي الرسائل التي تجري بين شخصين أو أدبيين في شؤون لا تتعلق بالدولة أو الحكم أو بقضايا رسمية، وإنّما هي رسائل شخصية تعرف بالرسائل الإخوانية، ولا تحتاج إلى تمهيد مطول في تعريفها كمصطلح أدبي، فهي «تشمل ما كان يجري من المكاتبات الشخصية بين اثنين أو أكثر من إخوان الأدب»[2]، وتوصف بأنّها «مخاطبة للغائب بلسان القلم، وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث أنّها ترجمان الجنان ونائب الغائب في قضاء أوطاره، ورباط الوداد مع تباعد البلاد»[3].

د–الرسائل في العصر العباسي:

تعددت أنواع الرسالة في العصر العباسي بتعدد موضوعاتها واختلاف أغراضها، فكان منها الاجتماعية والأدبية والديوانية وغيرها، سنقوم في حديثنا هذا بتسليط الضوء على نوعين اثنين هما: الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية.

ففي هذا العصر يعد الجاحظ إمام المنشئين إذ وضع أسلوبا جديدا حيث استعمل الجمل

---

[1] _ محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، مرجع سابق، ص 316.

[2] _ أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1965، ص 324.

[3] _أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، مرجع سابق، ج1، ص 45.

القصيرة المقطعة كأنها أبيات أشعار، ولكن من غير وزن أو قافية كما جاء عنه: «جنّبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة سببا، وبين الصدق نسبا، وحبّب إليك التثبت، وزيّن في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وشهر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل اليأس....»[1].

شهد العصر العباسي نشاطا واسعا في الكتابة الفنية، ولاسيما في الرسائل التي اهتمت بمظاهر الحياة الاجتماعية والصلات الإنسانية بين أفراد المجتمع، وشرع الكتّاب يصنفون رسائل كثيرة من خلال موضوعات متنوعة.

1- الرسائل الشخصية (الرسائل الإخوانية):

اعتنى المجتمع العباسي كغيره من المجتمعات الراقية بمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، فكان فيه التهنئة والتعزية والإهداء والزيارة، وغير ذلك من الصّلات الاجتماعية التي يتصل بها الناس بعضهم مع بعض. لقد نمت الرسائل الإخوانية في العصر العباسي نموا واسعا، تلك الرسائل التي تصور عواطف الكتّاب ومشاعرهم، من تهنئة أو تعزية، ومن عتاب واعتذار واستعطاف ومديح...الخ، وكانت هذه العواطف تؤدّى في العصر الأموي.. أمّا في العصر العباسي، فقد زاحم فيها النثر الشعر بكم هائل من النتاج النثري، ولا سيما الرسائل الإخوانية، وأتاح لوفرة ذلك النتاج ظهور طبقة ممتازة من الكتّاب الذين يجيدون كتابة الرسائل بوصفها تستحق أن تدرس من جوانب مختلفة، وأن تؤخذ بعناية الدّارسين والباحثين في مجال النثر العربي الفني في العصر العباسي، عصر البلاغة والثقافة العربية.

شاعت هذه الرسائل في بداية العصر العباسي الأول، وكان الكتّاب يتأنّقون في صياغتها ويعنون بديباجتها ويسندونها بآيات قرآنية كريمة، وبعض الأشعار والحكم والأمثال. من أمثال عبد الله بن المقفع، ومحمد بن زياد الحارثي، والجاحظ وغيرهم من الكتّاب المتميزين الذين تطورّت هذه الرسائل على أيديهم لأنهم نوّعوا في موضوعاتهم وتوسّعوا فيها، واهتموا بتنميتها وإيداعها ضروبا من

[1] _ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، مرجع سابق ، ص65.

البيان والفصاحة.

عرفت الرسائل الإخوانية تطورا ملحوظا على مستوى الأغراض والموضوعات وزيادة في نتاجها الأدبي، وقد أسهم في ذلك كلّه وجود كتّاب بارزين.

ومنه نستنتج أن الرسائل الديوانية والإخوانية كانت من أهم الرسائل المتداولة، والتي عرفت تنوعا على مستوى الموضوعات والأساليب، ولعل الفروق الجوهرية بينهما تنقسم إلى قسمين: أحدهما خاص باللفظ والآخر بالمعنى، فأما ما يخص اللّفظ نجد أن كاتب الرسالة الإخوانية حر فيما يكتبه لا تحده قواعد رسمية، ولا ألفاظ منتقاة كما هو الحال في الرسائل الديوانية، وبالنسبة لناحية المعنى فمواضيع الرسالة الديوانية متعارف عليها، فلا تخرج عن إطار الحكم، وما يتعلق به من عهود الخلفاء، وأخبار الولايات والجهاد، والإخوانية فهي بعيدة كل البعد عن الديوان، وكل ما يمد له صلة، فأغراضها جمة تتنوع بتنوع الروابط والصلات بين الأفراد.

وقد عبّر الأدباء ورجال الفكر في العصر العباسي عن تلك المظاهر الاجتماعية بعدة تعابير، عبر وسائل عديدة، وأهمها الرسائل التي صوّرت ملامح المجتمع، وروابط الأفراد وعلاقاتهم، وما يتعلق بجوانب حياتهم كلّها.

إن تلك الرسائل المتبادلة بين أفراد المجتمع العباسي تعطي صورة واقعية لمظاهر الحياة آنذاك، فالتهنئة لها أثر إيجابي في الأفراح، والتعزية ترسّخ مفهوم الوقوف بجدية تجاه أحزان الناس، ومحاولة التخفيف عنهم، وهكذا بقية المظاهر الاجتماعية لها آثار إيجابية ونتائج مستحبة، ومن هنا سارع الكتاب يصنفون رسائل شتى يتحدثون فيها عن مختلف الموضوعات الاجتماعية الثرية.

ومثالها–الإهداء:

كثرت الهدايا مع إرسال الرسائل في العصر العباسي إلى الخلفاء عن الوزراء وقواد الجيش وولاة الأقاليم وغيرهم، وذلك لتحقيق منفعة أو التعبير عن شكر أو تأكيد مودة ونحو هذه المعاني.

تنوعت الهدايا تنوعا ظاهرا للعيان، نتيجة اختلاف الطبقات الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية

فمن بين نماذج الرسائل الشخصية هدّية ملح مطيّب من أحد الفقراء إلى يحي البرمكي.

كانت من أحد الفقراء إلى الوزير يحي البرمكي، حيث عزم الوزير يحي البرمكي على ختان أحد أولاده، فأهدي إليه وجهاء الدولة وأعيانها، كل بحسب حالته وقدرته.

إلاّ أن رجلا فقيرا أحب المشاركة، فصنع وعائين من جلد، وملأ أحدهما ملحا مطيبا ووضع في الأخر نبتا معطرا وكتبت معهما «لوت تمت الإرادة لأسعفت العادة، ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمتُ السابقين إلى خدمتك، وأتعبت المجتهدين في كرامتك، لكن قعدت بي القدرة عن المساواة أهل النعمة، وقصرّت بي الجدة عن مباهاة أهل المكنة، وخشيت أن تطوي صحيفة البر وليس لي فيها ذكر، فأنقذت المفتتح بيمنه وبركته، وهو الملح والمختتم طيبه ونظافته وهو السعد، باسطا يدا المعذرة، صابرا على ألم التقصير متجرعا غصص الاقتصار على اليسير، والقائم بعذري في ذلك، ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ [التوبة: 91] الخادم ضارعٌ في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرته والإحسان إليه بالإعراض عن جراءته والرأي أسمى «[1].

تحمل هذه الرسالة فكرة إرسال الهدية مع التماس العذر، لأن المرسل أحسّ أنّ هديته لا تناسب المقام، فالمرسل إليه وزير عباسي غني، له مكانته وصولته، وما بالملح والنبت الطيب قيمة وعنده منهما الشيء الكثير ولئلا يحدث التباس وسوء تقديم الهدية، قدم المرسل اعتذاره منذ مطلع الرسالة وشرح وضعه المالي وقلة ذات يده، وهذا الإقرار وذلك العذر كاف في إعفائه عن التطاول لمباهاة الأغنياء ذوي السعة، وعلى الرغم من قلة الحيلة فإن هذا الفقير بذل كل استطاعته ليقدم هدية رمزية، فلم يجد سوى الملح رمز للبركة ونبات الطيب رمز للنظافة.

[1] _ أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، مصدر سابق، ج4، ص 13-14.

2- الرسائل الديوانية:

في العصر العباسي صارت الكتابة إلى الوزراء الذين يوكلون ذلك إلى موظفين منشئين، وأما هم فيوقعون عليها فقط، ومن ثم ازدهر فن التوقيعات، وكانت الرسائل موجزة ومختصرة وبليغة، وفي بعض الأحيان يستعيض عنها بآية قرآنية.

ولعّل الرسائل التي تختص بشؤون الدولة والديوان مصدرها الخلافة، وسميت أيضا بالرسائل الرسمية، فقد كانت «تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد.. ووعود الخلفاء لأبنائهم، ووصايا الوزراء»[1].

والواضح أنّ هذه الأخيرة في البداية خالية من المبالغات والتنميق اللفظي غير أنه «لما افتن الكتاب بأساليبها، واستبقوا إلى تجويدها لعب الخيال دوره وازدادت بغيره من المحسنات، وصارت مجالا فسيحا لأفانين البلاغة، وتفصيح الكتّاب فأطنبوا حيث يجب البسط والتفصيل، وأوجزوا إذا اقتضى ذلك المقام، وربما بلغوا بالإيجاز حدود التوقيع»[2].

وتسمى بالرسائل الرسمية والسلطانية والإدارية أيضا تتناول الشؤون الإدارية والسياسية للدولة وما تتبادله الدول من علاقات تختص بتصريف شؤون الدولة، ثم بمرور الزمن أخذ الكاتب يستقبل بكتابة الرسائل ثم يعرضها على الخليفة.

ومنه ما حكي أن المأمون قال لعمرو بن مسعدة: اكتب إلى فلان كتاب عناية بفلان في سطر واحد. فكتب «كتابي إليك واثق بمن كتب إليه، معني بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله، إن شاء الله تعالى»[3].

---

[1] _ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، مرجع سابق، ص 468.

[2] _ المرجع نفسه ، ص: 321

[3] _ أبي الأصبع المصري، صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق الدكتور حقي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط: 1963، ص 453.

وكتب ابن مسعودة يستعطفه على الجن «كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم، واختلت لذلك أحوالهم، وساءت أمورهم»[1].

خلاصـــة:

من هذا كله يمكن أن استخلص ما يلي:

-مهما اختلفت التعاريف وتباينت في مفهوم الرسالة فإنها تشترك في كونها عملية تواصلية بين متباعدين يقوم بإيصالها رسول مؤتمن على ذلك.

-امتازت الرسائل في العصر الجاهلي بالمشافهة والاختصار إذ ينقلها الرسول في صدره بكلمات موجزة مسجعة في غالب الأحيان، أو ملغزة لا يفهمها إلا المرسل إليه، ولا تحمل أية مقدمات أو تحيات أو استهلالات البسملة وإلقاء السلام.

-أما فيما يخص رسائل صدر الإسلام فجاءت بإضافات وتعديلات وتحسينات أهمها: الكتابة فكانت الرسائل تكتب في رقع من الجلد، وتبدأ بالبسملة وإلقاء التحية والسلام، وكذا ذكر وتوضيح اسم المرسل والمرسل إليه (من...إلى)...ثم يأتي بعد ذلك صلب الموضوع الذي في الغالب كان يحتوي على آيات قرآنية، أو حديث نبوي شريف، أو أبيات شعرية...وفي الختام تختتم بالسلام، فتعد الرسالة في صدر الإسلام نقلة نوعية، وتطور بارز في مسار فن الترسل.

وتواصل هذا التطور والتنوع في العصر الأموي بظهور كتاب متخصصين، تفننوا في كتابتها والإبداع في أساليبها حتى أضحت نوعين متميزين الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية.

-وبلغ هذا التطور الذروة في العصر العباسي وذلك بإدراج المحسنات البديعية في كتابة الرسائل إذا اهتموا بإبراز الموسيقى الصوتية التي تؤديها الكلمات بعضها مع بعض فيكون لها وقع وتأثير وجذب لشدّ انتباه السامع واستمالة لعواطفه مما يدفعه للقبول والإذعان، وهذا كله يشكل مرتكزات الحجاج وآلياته الذي هو موضوع البحث.

---

[1] _ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، (د ط ت)، لبنان ، ج:3 ، ص 205.

الفصل الأول:

الحجاج مفهومه وتاريخه وآلياته.

المبحث الأول: مفهوم الحجاج وعلاقته بالمصطلحات المصاحبة له

المبحث الثاني: إطلالة تاريخية لتطور الحجاج

المبحث الثالث: الآليات والتقنيات الحجاجية اللغوية

المبحث الأول: مفهوم الحجاج:

لا أحد ينكر بأننا نعيش عصر التواصل وتبادل الآراء والأفكار حيث أضحت المعلومة عصب حياة المجتمعات المعاصرة في مجالات شتى كالدعاية والإشهار والتعليم والسياسة والقضاء والبيداغوجيا وغيرها مما يستلزم حضور الإقناع والحجاج، بل إن التواصل الإنساني بات قائما على الحجاج إلى حد دفع المرء إلى التسليم على أنه لا تواصل بدون حجاج.

فما مفهوم الحجاج ودلالاته اللغوية والاصطلاحية في الدراسات الإنسانية قديما وحديثا ؟

أولا: الدلالة المعجمية اللغوية للفظ الحجاج:

1- في التراث العربي:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس قوله: «وممكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا لأنها تقصد أو بها يقصد الحق المطلوب»[1]. وهو مُوافق قول ابن منظور وما ذهب إليه

فورد في لسان العرب لابن منظور: «حاججته، أحاججه مَحَاجًّا: الطريق، وقيل: جادة الطريق.....والحجة البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل.

والتحاج: التخاصم، وجمعُ الحجة: حِجَج وحِجَاج، وحاجهُ مُحاجةً وحِجاجًا: نازعه الحجة وحَجّهُ يحُجُّهُ حَجًا: غلبه على حُجته».

قال الأزهري: إنما سُميت حُجة لأنها تَحُجُ أي: تقصد لأن القصد لها وإليها.

وفي الحديث عن الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه» أي مُحَاجُه ومُغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة: الدليل والبرهان....

---

[1] _أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقايس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج2، 1399هـ-1979، ص30.

ومنه حديث معاوية: «فجعلت أحجُ أحُجُّ خصمي أي أغلبه بالحجة....»[1].

واعتمد الفيروز أبادي (ت: 817هـ) المعنى نفسه للحجاج في "القاموس المحيط" بقوله: «والمْحَاجُ الجدلُ»[2].

فمن هذا تبين أن الحجاج محوره التنازع والتخاصم والغلبة باستخدام الدليل والبرهان، أي بمعنى التخاصم والتنازع والتغالب بالدليل والبرهان والحجة، فعملية الحجاج تتطلب تواجد طرفين في نشاط ذي طبيعة تواصلية تعتمد الفكر باستعمال الدليل والبرهان لبلوغ هدف معين لذاته إثباتا أو نفيا. كما أنه يرى أن الحجاج مرادف للجدل.

فنخلص من هذه التعريفات المعجمية أن لفظ الحجاج يحمل في مضمونه دلالة تُسْتمدُ من سياقه التخاطبي على أنه: تخاصم وتنازع وجدل وغلبة باعتبارها عمليات مأخوذة من معانيها الفكرية والتواصلية.

2- دلالة الحجاج في القواميس الأجنبية:

يقابل لفظ الحجاج في الفرنسية كلمة Argumentation وهي في معانيها قريبة من معاني العربية للفظ الحجاج فقد جاء في قاموس "روبير الكبير""le grand Robert"أن الحجاج هو:»القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة».

كما نجد لفظ: Argumenter أنها تشير إلى: «الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظرا معارضة مصحوبة بحجج»[3].

---

[1] _ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، المجلد الثاني، ج9، د ت، مادة (ح، ج، ج)، ص 779.

[2] _ مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ-2005م، مادة (ح، ج، ج)، باب الجيم فصل الحاء.

[3] _le grand Robert, Dictionnaire de langue Française, paris,1989,p53.

وورد في قاموس: Cambridge (كامبردج)أن: «الحجاج هو الحجة التي تُعلل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما»[1].

فكما تشير كلمة أو لفظة Argumentation إلى استعمال الحجة إما للدفاع أو الإعتراض عن فكرة ما فإن لفظة (Argue) في الانجليزية لم تخرج عن المعنى ذاته: إذ أنها تشير إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر برأيه أو وجهة نظره بتقديم البراهين والعلل التي تكون الحجة Argument تأييدا أو اعتراضًا عن رأي أو فكرة أو سلوك ما[2].

ففي ختام هذه النظرة السريعة في كل من المعاجم العربية والقواميس الأجنبية لمسنا أن هناك تشبه توافق بين المعنيين أو الدلالتين لكل من كلمتي الحجاج وl'argumentation المعبران عن استخدام الحجج والبراهين من أجل تبيان وجهة نظر أو إثبات أو إبطال فكرة ما أو رأي ما وهو أمر واقع بين طرفين مختلفين يحاول الواحد منهما الغلبة على خصمه.

ثانيا: الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج:

لقد ورد في معجم التعريفات للجرجاني أن الحجة: «ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد»[3].

فالحجاج عنده يحمل معنيين أحدهما القصد والآخر الإقناع باستعمال الجدل الفكري والحقيقة أن للحجاج مفهوم عام شامل يصعب حصره أو الإحاطة به، فهو يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله:

---

(1)_Cambridge advanced learners, Dictionary Cambridge university, press,2end, pub,2004, p56.

(2)_Longman ,Dictionary of contemporary,English,lengman,1989,p56.

(3) _الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، د ط، دار اللسان العربي، لبنان، 1992 ص482.

«إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية، والبلاغية التقليدية والدراسات القانونية وفي المقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة»[1].

كما عرف التهانوي الحجة بأنها: «مرادفة للدليل والحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته»[2].

فالحجاج عنده إذن هو الدليل والحجة والبرهان المبني على الاستدلال بداية من المقدمات والمسلمات وصولاً إلى النتيجة مما يلزم الخصم السكوت.

فالحجاج عنده معتمد على المنطق الذي لا يعارضه أحد فيلزم خصمه بذلك الحجة فيسكت اعترافًا وتسليمًا.

أما ما جاء في المعجم الفلسفي فإن «الحجاج يقوم على جمع لإثبات رأي أو إبطاله والمحاجة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها»[3].

وتوافق هذه الدلالة ما جاء في موسوعة "لالاند" أن: «الحجاج طريقة عرض الحجج وترتيبها، أو سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها»[4].

فالحجاج من منظور المعجم الفلسفي وموسوعة لالاند هو عملية تنظيمية لعرض الحجج وفق استدلالات منطقية متتالية وصولاً إلى خلاصة عامة تُعدُ الغاية من هذا الحجاج الذي هو عبارة عن نشاط لغوي مقامي، أي يتحكم فيه السياق على اعتبار أن اللغة: «نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق»[5].

---

[1] _ محمد طوس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 6.

[2] _محمد علي التهانوي، كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم علي دحروج، ط1، ج1، ص45 .

[3] _إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 67.

[4] _اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص 93.

[5] _عمر بلخير، "تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 120.

فالمتكلم يهدف من وراء عمليته التواصلية التخاطبية إلى نقل تصوراته وأفكاره للمستمع في إطار سياقاتها الواقعية من خلال الإخبار أو التبليغ أو التأثير في هذا المستمع، محاولاً إقناعه بما يلقيه عليه خاصة إذا ظهر بينهما اختلاف مما يرفع من حدة الخطاب الحجاجي.

«فالحجاج ملازم لكل خطاب إلا أنه يتزايد إن وُجد خلاف بين المتكلم والمستمع، فالحجاج جنس من خاص من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدًا إقناع الآخرين بصدق دعواه والتأثير في موقعه أو سلوكه تجاه تلك القضية»[1].

فمن خلال ما تتبعناه من مفاهيم متباينة للحجاج اتضح لنا أن له وجهين أحدهما: متعلق بالجانب التواصلي الحواري الذي تلعب اللغة فيه الدور الأساسي

أما الآخر فهو وجه منطقي يعتمد على الاستدلال والبرهان وهذا ما ذهب إليه عبد الله صوله إذ يقول: «إذ أننا نجد بعضهم يرى أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين: أحدهما: أنت فيه لا تخرج من مجال المنطق وبذلك يكون مرادفًا للبرهان والاستدلال، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ»[2]. ويقصد بالتقنيات البيانية: الأساليب الكلامية التي تعتمد على التراكيب اللغوية.

خلاصة عامة:إن الحجاج هي كلمة لغوية فلسفية تعني: توجيه خطاب إلى متلقي ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، علما أن تناول الحجاج ومزاولته لا يخلو من فاعليته في هتك أسرار الخطاب واستجلاء خباياه وترسيخ قيم الحوار والإقناع واحترام الاختلاف حتى غدت الدراسات الحجاجية لا تشكل جانبا من معرفة الحاضر فحسب بل جزءا لا يتجزأ من معرفة المستقبل.

---

[1] _محمد العيد، النص الحجاجي العربي، دراسته في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ص 44.

[2] _عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط:2، 2007، ص8.

ثالثا: مصطلحات مصاحبة للحجاج:

لقد رافقت الحجاج مصطلحات اعتبرت كمرادفات له رغم وجود فوارق رفيعة بينها وبينه ينبغي الوقوف عندها لإزالة اللبس وتوضيح التباين الحاصل فيها وتمييز حدود التداخل فيما بينها، وهي كثيرة منها:

1ـ الجـــدل:

اعتبرت العرب لفظ الجدل مرادفا للحجاج كما ورد في قول ابن منظور: «وهو رجل محجاج أي جدل، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة »، غير أن الجدل ارتبط بالقدرة على الخصومة والمغالبة وهذا ما بينه كذلك ابن منظور بقوله: «والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها » [1].

كما أن المحدثين ومنهم "طه عبد الرحمان " يعرف الحجاج بأنه: عملية جدلية ذات فاعلية فيقول: «وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية » [2].

إلا أن عبد الله صولة اعتبر ذلك مغالطة وتضييقا على مفهوم الحجاج إذ يعتبره أوسع مجالا من الجدال فيقول: «إن كل جدل حجاج وليس كل حجاج جدل» [3] فالحجاج عنده أعم من الجدل وأشمل منه إذ أن الجدل عنده يمثل طريقة طرح الحجج وبسطها فهو الصورة النهائية للحجاج.

---

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (ح ج ج).

[2] ـ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 15.

[3] ـ المرجع نفسه، ص173

2 ـ الحوار:

المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور[1] والمحاورة المجاوبة من الفعل حاور الدال على المشاركة، والتحاور التجاوب تقول أحرت له جوابا وما أحار بكلمة[2].

فالمحاورة معناها التفاعل بين طرفين، فالأول يطرح سؤالا أو يبدي رأيا وينتظر من الثاني الرد أو المناقشة وهذا هو الحجاج في أوضح صوره إذ أن كل طرف يحاول إقناع الآخر بوجهة نظره دون أن يضغط عليه مستعملا في ذلك كل الآليات الحوارية المتاحة من أجل الإذعان.

3 ـ البرهان:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «البرهان: الحجة الفاصلة، يقال برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة » [3].

فالبرهان عنده هو نمط من أنماط الاستدلال المميز والمنفرد باليقين والدقة والقطيعة أما عند ابن حزم فهو: «البرهان كل قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم الشيء » [4].

ويقول طه عبد الرحمان: «البرهان هو الاستدلال الذي يعتني بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها وهو شبيه بالحجة المجردة "[5].

فالبرهان إذن هو الإتيان بدليل قاطع وحجة بالغة لإثبات صحة الدعوى، فيُزال كل شك أو احتمال، ومن هذا فإن البرهان يخص الجانب المنطقي العقلي للحجاج، ومن ثم بات البرهان جزء من الحجاج، فالحجاج أعم منه لأنه يتعدى العلاقات المنطقية إلى العلاقات العاطفية التأثيرية.

---

[1] ـ الراغب الأصبهاني، مفردات غريب القرآن، ت: صفوان عدنان داودي، دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط:3، مادة (ح، و، ر).

[2] ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة: (ح، و، ر)، مصدر سابق، ص 381.

[3] ـ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص: 182.

[4] ـ ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص: 39.

[5] ـ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، الدار البيضاء، ط: 1، 1998، ص 225.

4 ـ المناظرة:

هناك أمور واضحة جلية لا تحتاج إلى برهان أو إثبات، إلا أنه يوجد من يكابر ويسعى إلى إثارة الشكوك وتمويه الحقائق، مما يستدعي مواجهة ذلك بالحجة والإقناع لإلزامه الإذعان والاعتراف فجاءت المناظرة كأحد الأساليب الإقناعية الناجعة لتحقيق ذلك فهي تحمل دلالة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته[1].

ومنه جاء في لسان العرب: «والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر: إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه... ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة » [2].

فالمناظرة هي تخاطب وتحاور بين اثنين يحاول كل واحد منهما إقناع الآخر بما يراه صائبا من وجهة نظره وفي هذا يقول عبد الله العشي أن المناظرة: «تحوي خطابين متباينين يتبادلان الأدوار الكلامية ينتمي كل منهما إلى أحد الطرفين المتناظرين، وينمو النص ويتوالد بفعل تبادل الأدوار الكلامية بين الطرفين حسب قانون الفعل ورد الفعل » [3].

فالمناظرة هي الطريقة أو الأسلوب الذي يؤدى به الحجاج وبالأحرى هي تلك الآليات والآداب والأخلاقيات التي يقدم بها الحجاج، وهذا ما أكده ابن خلدون فيما ذكر عنه عبد الله صولة حينما قال: «وأما الجدال وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول...»[4].

---

[1] ـ الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس، ت: عبد الحليم الطحاوي، ج: 14، مطبعة الكويت، 1974، ص: 254.

[2] ـ ابن منظور، مصدر سابق، ص:217.

[3] ـ عبد الله العشي، زمام الخطابات مدخل تصنيفي، دار الأمل، تيزي وزو، 2005، ص 36.

[4] ـ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 15.

ومن هذا فإن المناظرة هي مجموع الآداب والأخلاقيات التي يجري عليها الحجاج بينما الحجاج أوسع من ذلك، ومن هنا تبين لنا الخيط الرفيع بين الحجاج والمناظرة.

5 ـ الإقناع:

الإقناع لغة: الرضا، وتقول العرب: قنع بنفسه قنعا وقناعة: رضي، وتقول: أقنعني فلان أي أرضاني، ومن أمثالهم: خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع[1].

وجاء في المعجم الوسيط أن الإقناع هو: القبول بالفكرة أو الرأي والاطمئنان إليه، واقتنع: قنع بالفكرة أو الرأي وقبله واطمأن إليه [2].

أما اصطلاحا فهو: «حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده» [3].

ويعرفه آخرون بأنه: «تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما"[4]

فالإقناع هو محاولة حمل المخاطب على الإذعان في قبول ما يطرحه المتكلم بعد طرح الحجج، ومعنى هذا أن الإقناع هو غاية الحجاج والهدف منه أما الحجاج فهو الوسيلة الموصلة إلى الإقناع إلا أن ثمة فاصل بينهما يتمثل في درجة التوكيد كما يرى: "أستين فريلي": أن الحجاج والإقناع جزء من عملية واحدة ولا اختلاف بينهما إلا في التوكيد الذي يرتكز عليه الإقناع في إبطال ضده[5].

---

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة: (ق، ن، ع)، ص: 3753.

[2] ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ط: 3، 1998، ج:2، مادة قنع، ص: 763.

[3] ـحازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ت: محمد الحبيب بن الخولة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، 198، ص: 20.

[4] ـ المصدر نفسه ، ص 32 .

[5] ـ محمد العيد، النص الحجاجي العربي، مجلة فصول، ص: 45.

إن المتتبع لمفهوم هذه المصطلحات وما تحمله من معاني يتبين له أنها لا تعبر عن المعنى الحقيقي والمفهوم الكامل والتام للحجاج بل هي أوجه وأطراف تخدمه مجتمعة كأعضاء الجسد الواحد إذا نقص منه عضو وقع في أدائه خلل ونقص، ومن ثمّ فإن مفهوم الحجاج أوسع من مفهومها وأشمل منها، فهي منضوية تحته، فلا تتحقق فاعليته إلا باجتماعها له.

المبحث الثاني: إطلالة تاريخية للدراسات الحجاجية:

لم يكن الدرس الحجاجي وليد الدراسات الحديثة والمعاصرة، ولم يكن مجهول المعالم، ومنقطع البيان، بل كان له امتداد طويل، واهتمام كبير، وغور عميق في الدراسات التاريخية والعلوم الإنسانية، ولعلّ أول ما وصل إلينا منها في شأنه تلك الأفكار اليونانية والأبحاث الأرسطية، فيا ترى كيف نظر الفكر اليوناني إلى الحجاج وكيف تمّ التنظير له عندهم ؟

أولا – الحجاج في الفكر اليوناني:

لقد ظهر الفكر الحجاجي عند اليونان حينما حاول السفسطائيون التنظير لفني الخطابة والجدل باستخدام إستراتيجية الإقناع التي هي الحجاج ذاته فقد قدم أرسطو مفهومًا للحجاج كان جامعًا بين الخطابة والجدل، فما مفهوم الحجاج عنده ؟ وما علاقته بالخطابة ؟

1 ـ مفهوم الحجاج عند أرسطو:

يرى أرسطو أن الحجاج ذو علاقة وطيدة بالخطابة ذلك أنها عنده هي: «فن الإقناع عن طريق الخطاب»[1].

فالخطابة ترتكز على الإقناع، كما أن الجدل له دور كبير في العملية الحجاجية إذ يقول في شأنهما بأنهما: «قوتان لإنتاج الحجاج»[2].

ومن هذا ينجم ضربان من الحجاج هما: **الحجاج الخطابي**: الذي يرتكز على توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه وهو موجه للجماهير.

والحجاج الجدلي: الذي هو ذو مجال فكري خالص فهو في الغالب يجري بين شخصين

---

[1] _هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص 142.

[2] _ أرسطو، الخطابة، تعريب: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986المقال1الفصل 2، نقلا عن عبد الله صوله الحجاج في القرآن الكريم، ص 17

يحاول الواحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظر معينة[1].

فالحجاج الخطابي بلاغي يتخير الأساليب البلاغية الإقناعية في حين الحجاج الجدلي فكري ينطلق من مقدمات في شكل حوار مرتب يصل به إلى نتائج مرتبطة بتلك المقدمات.

الضربان متكاملان في تحديد مفهوم الحجاج عند أرسطو إذ يحدده في ثلاثة أنواع: الاستشاري والقضائي والقيمي[2].

فالحجاج الاستشاري يتعلق بالخطابة الاستشارية من حيث ملازمتها الخير والشر في مجلس الحاضرة، أما **الحجاج القضائي** فيتعلق بالخطابة القضائية من حيث ملازمتها العدل والظلم، **والحجاج القيمي** يتعلق بالخطابة الاحتفالية في الجمعية العامة من حيث ملازمتها الجميل والقبيح.

والمقامات الثلاثة هي الحلبة التي يتبارى فيها الخطباء وفي هذا يقول أرسطو: «لكل واحد من هذه الاجناس غاية مختلفة وبما أن هناك ثلاثة أجناس من الخطابة فإن هناك أيضا ثلاث غايات فبالنسبة إلى الخطيب المشاور نجد الخير والشر إذ أن الذي ينصح يقدم ما يوصي به باعتباره الأحسن وذلك الذي ينهى عما ينكر باعتباره شرا، أما كل الاعتبارات الأخرى مثل العدل والظلم، والجميل والقبيح فمندرجة كلواحق» [3].

2 ـ أنواع الخطاب عند أرسطو:

ميز أرسطو ثلاثة أنواع من الخطاب هي:

الإيتوس (Ethos): ما يقابل الباث أو الخطيب يصف فيه خصائص الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه، فيرى أرسطو أنه ينبغي للخطيب أن يتصف بجملة من الصفات تجعله موضع قبول لدى المتلقي لحظة بث الخطاب وهذه الصفات هي بمثابة أخلاق حميدة ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أهمها السداد والفضيلة والبر، وفي هذا يقول أرسطو: «إن العوامل التي تدعو

---

[1] _سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، 2008، ص18.

[2] _محمد طروس، النظرة الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط:1، ص15.

[3] _ أرسطو، الخطابة، ت: عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الشؤون العامة، وزارة الثقافة والإعلام، 1986 ص:195.

إلى بعث الثقة في الخطيب ثلاثة إذ أن هناك ثلاثة أسباب من غير البراهين تدفعنا إلى هذه الثقة هي السداد والفضيلة والبر، لأن الخطباء إذا كانوا يتعرضون للإحباط في محاولتهم للدفاع عن موقف ما أو لبذل نصائح فإن ذلك ناشئ عن هذه الصفات أو عن واحدة منها، فهم إما أنهم بسبب عدم سدادهم يعجزون عن تكوين رأي سليم، وإما أنهم مع قدرتهم على تكوين رأي سليم لا يقولون بسبب شرهم فيما يفكرون فيه، وإما أنهم سديدون وفضلاء يفتقدون البر ولهذا فإنهم لا يدلون بأفضل النصائح على الرغم من أنهم يعرفونها، وإن ذلك الذي يبدو أنه متصف بكل هذه الصفات ينال ثقة سامعيه » [1].

حقيقة أنه لا يمكن للخطيب أن يكون ناصحا إن لم يكن سديد الرأي فالغافل أو المختل لا يمكنه فعل ذلك، وإن لم يكن فاضلا لا يمكنه النصح وإن كان سديد الرأي فالأشرار لا ينصحون وإن فعلوا لا يلتفت إلى نصائحهم، كما لا يمكنه النصح إن لم يكن بارا فالكراهية قد تمنعه من إسداء النصح فكل هذه الصفات مجتمعة تشكل أساس الإقناع المستند إلى الجوانب الأخلاقية للخطيب ولكن هذا المقوم يكون مطلوبا في الأجناس الخطابية المتعلقة بالاستشارية والاحتفالية حيث الجمهور أما الخطابة القضائية فإن هذا المقوم يضعف دوره لأنه يرتكز على مقارعة الدليل بالدليل

– **الباتوس** (**pathos**): ما يقابل السامع أو المتلقي وهي مجموعة من الانفعالات التي يرغب الخطيب إثارتها في السامعين، وفي هذا يقول ميتشال مايير: «إن القدرة على الحجاج الجيد أي القدرة على الإقناع يقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب أي معرفة ما يحركها » [2].

إلا أن كل جنس من الخطابة يناسبه جنس واحد أو جنسان من النوازع ففي الخطابة القضائية مثلا يكون المطلوب هو إثارة الغضب على الجاني والشفقة على الضحية والتخوف والثقة ملازمان للخطابة الاستشارية حيث يتم التخطيط لمستقبل الجمهور المخاطب.

---

[1] _ أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص:27

[2] _مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 30.

ومن هنا يكون الباتوس الذي ينبغي للخطيب أن يكون علي علم به لكي يتمكن من التحكم في الانفعالات التي يجب إثارتها هو ما بينه أرسطو بقوله: «الغضب والسكينة، فالحب والكراهية، فالتخوف والثقة، فالخجل والاستهتار، فالإحسان والشفقة، فالسخط والحسد والمنافسة» [1].

– **اللوغوس(logos)**: الخطبة أو الرسالة وهي الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي فيربط بالقدرة الخطابية على الاستدلال الحجاجي[2].

وهذا يرتكز على ثلاثة أنواع من العوامل وهي:

أ ـ القياس المضمر: وهو يمثل البرهان المنطقي الذي يسمى القياس وهو يقوم على مقدمة كبرى تليها مقدمة صغرى ثم الاستنتاج في الأخير

– كل الناس فانون

–سقراط إنسان

– سقراط فان

غير أن القياس حينما يكون خطابيا قد لا يكون صادقا مثل الشعار الذي حمله الفرنسيون خلال الحرب العالمية الثانية ضد النازية:

–الأقوياء ينتصرون

– نحن أقوياء

– إذن نحن منتصرون

وهذا مجرد احتمال لأن الأقوياء لا ينتصرون دائما.

---

[1] _مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص 30.

[2] _ المرجع نفسه، ص 31.

ب ـ الشاهد أو المقارنة:

وتقوم على علاقة الجزء بالجزء والشبيه بالشبيه فقط يقول أرسطو: «لا يقوم الشاهد على علاقة الجزء بالكل، ولا على علاقة الكل بالجزء ولا على علاقة الكل بالكل ولكنه يقوم على علاقة الجزء بالجزء والشبيه بالشبيه، فحينما تقدم لنا قضيتان من الجنس نفسه وتكون إحداهما أشهر من الأخرى فإننا نكون بصدد الشاهد أو المقارنة »[1].

إذن يكون الشاهد أو المقارنة في الجزئيات المتشابهة المتفاوتة الشهرة والظهور وهذا يرتكز على:

1 ـ **الشاهد التاريخي**: وهو الذي يستخدم في أغلب الأحيان لأن عماده الحقيقة مما جعله الأكثر إثارة للتصديق.

2 ـ الشاهد المبتكر (المحتمل):يعتمد على تخيل شبيه ممكن الحدوث في الواقع مماثل للمسألة المطروحة للنقاش مثال ذلك: أن الأساتذة لا يختارون بالقرعة وإنما بالشهادات والكفاءات والخبرة فلا يمكن اختيار ربان السفينة أو قائد الطائرة على سبيل القرعة لكن يختارون على سبيل الإتقان للقيادة.

3 ـ الخرافة: وهذا إذا كانت الخرافة مشهورة مشابهة للقضية المطروحة فيمكن الأخذ بها كشاهد أو من أجل المقارنة.

ج ـ التفخيـــــم: وهو متعلق بالخطابة الاحتفالية يعتمد على التعظيم أو الحط من شأن شخصية ما تكون محل إجماع، كما أنه يعتمد على تفخيم أفكار معينة يدعو لها الخطيب أو العكس.

---

[1] ـ مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص 32.

ثانيا – الحجاج عند العرب:

لقد عرفت العرب الحجاج منذ العصر الجاهلي من خلال خطاباتها الدافعة إلى التحفيز على أخذ الثأر والدفاع عن القبيلة وغير ذلك فكان قوام الحجاج عندها الخطابة باستخدام العبارات الحماسية والحجج والبراهين المنطقية والعقلية لحشد الهمَم وتقوية العزائم، فما الخطابة عندها وما خصائصها ومميزاتها ؟

1 ـ مفهوم الخطابة عند العرب:

أ ـ الخطابة لغة: الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما: الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك وهي الكلام المخطوب.

أما الأصل الآخر: اختلاف لونين، قال الفراء: الخطباء الأتان التي لها خط أسود على متنها، والحمار الذكر يسمى أخطب، والأخطب طائر ولعله يختلف عليه لونان[1].

ب ـ الخطابة اصطلاحا: تنوعت وتباينت تعريفات الخطابة بحسب تنوع اختصاص المعرفين لها فهي:

* **ـ عند الفلاسفة والمناطقة:** «هي القياس المؤلف من المضنونات أو المقبولات لترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور في معاشهم ومعادهم » [2].

* **ـ عند أهل الأدب:** «هي اسم من الكلام المنثور، مسجوعا كان أو مرسلا يُلقى لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل» [3].

* **ـ عند علماء الاتصال:** هي موقف اتصالي جماهيري يتصل فيه شخص بجمهور من الناس لينقل إليهم رسالة معينة بطريقة مقنعة مؤثرة وفق خماسية "هارولد لاسويل ": «من ؟ ـ

---

[1] ـ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، د ط، القاهرة، ص:198 ـ 199.

[2] ـ محمد أبو زهرة، الخطابة: أصولها تاريخها في أزها عصورها عند العرب، القاهرة، دار الفكر العربي، د ط د س ص15.

[3] ـ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، مصر، د ط، د س، ص 95.

يقول ماذا ؟ ـ لمن ؟ ـ بأي وسيلة ؟ ـ بأي تأثير ؟» وهي عناصر العملية الاتصالية التي تقوم عليها:

ـ الخطيب (المرسل)

ـ الخطبة (الرسالة الإعلامية)

ـ الوسيلة الناقلة للرسالة: (قد تكون منبرا أو منصة أو جهازا مرئيا أو مذياعا أو إنترنات.)

ـ الجمهور (المستقبل) الذي توجه إليه الرسالة أو الحطاب

ـ رد فعل الجمهور (الاستجابة للرسالة الإعلامية) التجاوب.

***ـ عند علماء اللغة:** «هي فن من فنون النثر قوامه الكلمة الفصيحة، والعبارة البليغة يتوسلها الخطيب لإقناع سامعيه بصواب فكرة، أو لنشر عقيدة، أو لنقل مشاعر وأحاسيس تراود نفسه أو تساور وجدانه، مستعينا على إبلاغ غرضه بما يضاعف طاقة النطق الشفهي من نبر مستساغ وإشارة موحية، ووقفة مهيبة وصوت إيقاعي مؤثر، وبما يستحوذ على قلب جمهوره من بث عاطفة وإثارة خيال، ويستهوي عقله من نطق سديد، وبرهان أكيد وحجج لا يقف بوجهها ريب ولا شكوك» [1].

الخطابة وسيلة من وسائل التواصل بين الناس بغية تحقيق التأثير والإقناع والاستمالة لتحقيق التغيير في المفاهيم والآراء والأفكار وتلبية الحاجيات والأغراض.

2 ـ خصائص الخطبة: من مجمل التعريفات السابقة يمكننا استخلاص خصائص الخطبة:

ـ هي فـن أي علم ومعرفة ومـران ودربـة تقويه الملكة الفطرية

ـ قوامها المشافهة للجمهور بمواجهته بالكلام

[1] ـ ميشال عاصم، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987، ج1، ص602.

ـ تقوم على الإلقاء فهي ليست قراءة سردية رتيبة بل تفاعلية

ـ أساسها الإقناع والاستمالة والتأثير.

ولكي تتحقق هذه الخصائص وتتمايز ينبغي توافر صفات في عناصر العملية الخطابية الثلاثة:

(الخطيب، الخطبة، الجمهور): فالخطيب ينبغي أن يتحلى بالشجاعة والجرأة والثقة بالنفس وقوة في الشخصية والإيمان بما يدعو له ومُلما به متمكنا من اللغة التي يخاطب بها جمهوره ضابطا لأساليبها وعباراتها المألوفة، صاحب عاطفة جياشة، ورغبة صادقة، عارفا ما يثير ويحرك انتباه وعاطفة مخاطبيه وهذا ما يقابل الإيتوس عند أرسطو.

أما الخطبة ينبغي أن تكون موجزة ومختصرة ومعبرة عما يريد الخطيب إيصاله للجمهور مليئة بالألفاظ الفصيحة والعبارات العميقة والأساليب الإنشائية الراقية والصور البلاغية المعبرة عن المعاني الرفيعة، مفعمة بالأدلة والبراهين القاطعة من أجل تحقيق الإقناع وهذا ما يقابل اللوغوس عند أرسطو، أما الباتوس عنده يقابله التأثيرات والانفعالات التي ينبغي للخطيب إثارتها في جمهوره لشد انتباهه ونيل إعجابه ومن ثم قبول فحوى دعواه.

3 ـ أنـواع الخطـب:

إن الذين ألفُوا في هذا الفن أوعزوا معيار التنويع والتصنيف فيها وأخضعوه إلى المناسبات والأماكن التي تلقى فيها تلك الخطب ومن هنا يمكن ذكر أهم أنواعها:

ـ **الخطب الوعظية:** ومحورها العام التذكير بالله عز وجل وباليوم الآخر وتعليم الناس أمور دينهم وما ينفعهم في معاشهم ومعادهم.

ـ **الخطب الاجتماعية:** وموضوعها النكاح والخِطبة وغيرها مما يتعلق بالشؤون الاجتماعية.

ـ **الخطب الحفلية:** وهي التي تلقى في الحفلات والمناسبات كمحافل التكريم والتهنئة والتأبين.

ـ **الخطب القضائية:** تلقى في المحاكم ومجالس القضاء كمرافعة المحامين.

ـ **الخطب الحربية العسكرية:** يلقيها القائد العسكري على جنوده ليلقي الحماسة في نفوسهم ويثبت قلوبهم ويحشد هممهم.

ـ **الخطب السياسية:** يلقيها غالبا الزعماء والساسة والمرشحون في الانتخابات وهدفها تعبوي.

وبصفة عامة فإن الخطبة تنقسم إلى نوعين:

ـ **خطب شعائرية:** وهي الخطب التعبدية كخطبة الجمعة والعيدين وعرفة والاستسقاء...

ـ **خطب تعبوية:** وهي أكثر الأنواع شيوعا في مخاطبة الجماهير ويصاحبها الانفعال والحماسة[1].

4 – الحجـاج في القرآن الكريم:

ورد الحجاج في القرآن الكريم بألفاظ عدة منها: الحجة، حاج، الجدال، البرهان والحوار ومن الأمثلة على ذلك نذكر ما يلي:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾[البقرة: 258]

يقول الطاهر بن عاشور (ت: 1393 هـ، 1973 م) في تفسيره لهذه الآية: «معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا تستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة وأن الأغلب يفيد الخصام بالباطل»[2].

كما أنه أشار إلى أن المخاصمة تجمع بين الحجاج والجدال وأن الجدال منه ما هو على حق ومنه ما هو على باطل ومنه صنف ابن حزم الجدال إلى صنفين:

ـ **صنف محمود ومشروع:** وهو الجدال بالتي هي أحسن من أجل إظهار الحق

---

[1] ـ عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، باتنة، دار الشهاب، ص 45.

[2] ـ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1396، ج:3، ص 31، 32.

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:125]

فأوجب الله على رسوله ـ ﷺ ـ والمؤمنين الجدال المحمود لما فيه من التزام بالحق ورجوع إلى ما أوجبته الحجة بعد رفق وبيان.

ـ صنف مذموم وله وجهان:

1 ـ وجه يجادل فيه المجادل بغير علم أي عن جهالة قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾[الحج:03]

2 ـ ووجه آخر يجادل المجادل فيه نصرة للباطل بعد ما تبين له الحق قال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ ﴾[الكهف:56]

وعن وروده بلفظ البرهان فسر الزمخشري قول الله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: 111]

فقوله: «قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، فقل هاتوا برهانكم، ألموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم » [1].

أما عن وروده بكلمة حوار فقد ذكر محمد حسين فضل الله في كتابه: "الحوار في القرآن قواعده أساليبه ومعطياته" «أن الإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادي والعميق» [2]، ذلك بأن الحوار إذا كان بين العقول وبين الشعوب يكون من أسباب التواصل والتفاهم والتعايش والتقارب بين الأفكار المختلفة، قال تعالى:

---

[1] ـ أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ت: الشريف علي بن محمد السيد، أحمد بن محمد الأسكندري، دار الفكر للطباعة والفكر، بيروت، ج: 1، ط: 2006، ص 305.

[2] ـ محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار المنصورة للنشر، الجزائر، ص:32.

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾[الكهف: 37]

5 ـ الحجاج في السنة النبوية:

لقد ورد مفهوم الحجاج في السنة المطهرة في عدة أحاديث منها ما جاء في الأربعين النووية قوله ﷺ: «**الصلاة نور والصدقة برهان، والقرآن حجة لك أو عليك**» [1] فهنا معنى الحجة: البيّنة أو البيان كما يوحي إلى معنى الشاهد الذي يشهد لك أم عليك.

كما ورد حديث آخر جاء فيه قوله ﷺ: «**إنكم تختصمون إلي ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار** » [2] فهنا جاءت كلمة حجّة بمعنى: أبين وأوضح وأظهر أي أن حجته أقوى من حجة أخيه ولكن في الباطل لكون هذا المحاجج أقدر على التعبير وأخبر بالحيل.

6 ـ تطور الحجاج عند العرب:

ثم تنامت الخطابات فيما بعد وتبلورت في كثير من العلوم كالفقه وأصوله، وعلم الكلام وعلوم اللغة، فقد كان الإقناع مطية للخطاب في تلك المحاورات والمناقشات، وكانت إستراتيجيته بمختلف آلياتها هي الطريق الأقوم والأبرز لمقاصد تلك العلوم وأفكارها وآرائها[3].

ولئن كان اعتماد الخطابة عند العرب على البلاغة إلا أن هذه الأخيرة لم تكن تولي اهتماما بالمخاطب بادئ الأمر مما جعل حضورها لاحقا عاملا قويا في تغيير الخطاب البلاغي العربي الذي

---

[1] ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، شرح الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك، الجزائر، ط3، 2019م، ص 30.

[2] ـ صحيح مسلم، إشراف أبي عتيبة نظر الفاريابي، دار طيبة الرياض، ط:1، كتاب الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، ص 204.

[3] ـ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 447.

أدى إلى بروز بلاغة جديدة قوامها البيان والحوار والحجاج وهذا ما أكده الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" إذ يرى أن مدار الأمر والغاية التي يسعى إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام باعتبار أن أول البلاغة عنده هو اجتماع آليتها، فهو ينقل الكلام إلى البلاغة وكأنها مرادف للبيان فنجد كلمة خطيب تزاحم كلمة بليغ وتخصصها[1].

فالحجاج عنده هو البلاغة: إنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير.... فالحجاج هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي.

«فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان»[2].

فالحجاج هو البيان لذا اهتم الجاحظ بالفعل اللغوي، الذي اعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية وأثبت ذلك من خلال رسالته الخاصة: «تفضيل النطق على الصمت» التي استعمل فيها أنواعًا شتى من الحجاج فيه أدلة قرآنية وشعر ومنطق[3].

كما أورد لنا عن بعض أهل الهند أن مفهوم البلاغة عندهم: «جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواقع الحجة » [4] مشيرا بذلك إلى مناسبة الحجة للمقام الذي تذكر فيه.

وسئل ابن المقفع ما البلاغة ؟ فأجاب: «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج...» [5] فجمع بهذا التعريف وجوه البلاغة وجعل الاحتجاج وجها من وجوهها.

---

[1] _محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن 20، دار إفريقيا لشرق المغرب، ط1، 2001، ص 126.

[2] _ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 211.

[3] _الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج:1، ص 57.

[4] _ المصدر نفسه، ص 56

[5] _ المصدر نفسه، ص56.

وجاء عن مراتب البلاغة عند أبي هلال العسكري أن أعلاها: «فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرج في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم » [1] فهو يرى أن أعلى مراتب البلاغة أن تؤدي فيه الحجة وظيفتها في بلوغ المراد من تحسين القبيح أو تقبيح الحسن أي من إثبات الشيء إلى إثبات نقيضه وهذا من أصعب الأمور.

كما بين أن الغاية من البلاغة هي: «كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن» [2] وهي عند الرماني: «توصيل المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»[3]. فقد عبرا عن البلاغة بأنها تمكين المعنى، والتمكين لا يكون إلا بحجة مقنعة قادرة على التأثير في المتلقي.

فمن خلال ما أوردناه من تعاريف للبلاغة تبين لنا أنها اتسمت بسمة حجاجية تداولية إلى جانب السمة الإبداعية الإمتاعية.

7 ـ بعض صور الحجاج في البلاغة العربية:

أ–المذهب الكلامي: وهو إيراد الحجج عن طريق الاستدلالات العقلية وفي هذا يقول القزويني: «هو أن يورد المتكلم حجته على ما يدعيه على طريق أهل الكلام»[4]. إذ أن علم الكلام هو إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة [5].

---

[1] _ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، 1986، ص 56.

[2] _ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل، ت: محمد خلف الله ومحمد بغلول إسلام، دار المعارف، مصر، ط:4، ص75.

[3] _ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد القادر الفاضلي، صيدا، ط:1، 2001، ص360.

[4] _ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد ال...الفاضلي، مكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001، ص 360.

[5] _ خزانة الأدب وغاية الإرب، ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شعينو، دار مكتب الهلال، بيروت، ط1، 1987، ج1، ص 348.

وهو عند الزركشي: «الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه»[1].

فقد انتهج الخطباء والبلاغيون وغيرهم منهج المذهب الكلامي في تقديم وبسط حججهم بغية التأثير والإقناع.

ب – القياس: مصدر الفعل قاس، فقد ورد في القاموس المحيط «قاسه بغيره وعليه يقيسه قيسا وقياسا، واقتاسه: قدره على مثاله فانقاس»[2].

وهو في التعريفات للشريف الجرجاني «القياس في اللغة عبارة عن التقدير....وهو عبارة عن ردّ الشيء إلى نظيره»[3].

«وهو في البلاغة القياس العقلي الخطابي فالعقل متعلق بنطق التعليل والتبرير وهو يرادف التمثيل والتشبيه والاستعارة، فهو ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية خطابية يتم بموجبها اتحاد علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهدا ومثالا على شيء أو صفة من صفاته»[4].

فالخطيب يعمد إلى إبراز وإظهار شاهد يكون معلوما ومسلما لدى المخاطب (المتلقي) ويقيس عليه ليكون حجة لما يدعيه.

والقياس هو وجه من وجوه الاستدلال وأسلوب من أساليبه الثلاثة: القياس، الاستنباط، الاستقراء.

وقد بين ابن وهب في كتابه: "البرهان في وجوه البيان" «أن القياس في اللغة التمثيل والتشبيه وهو ما يكون في بعض المعاني المتشابهة في الأشياء»[5].

---

[1] _ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، 2009، ج3، ص 488.

[2] _ الفيروز آبادي، القاموس المحيط محمد بن يعقوب بيروت، 1987، ط2، مادة: ق وس، ص 733.

[3] _ الشريف الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص 147.

[4] _ الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلالي الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 32.

[5] _ البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ت: عبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، د ط، د ت بيروت، ص 70.

فالقياس هو: «آلية استدلالية من آليات الذهن البشري يربط بين شيئين على أساس ما بينهما من عناصر مشتركة أو علة للوصول إلى نتيجة ما»[1].

ج – الشاهد: وهو من الأدلة الجاهزة ويقابلها عند أرسطو بالحجج الغير صناعية، وهو لفظ أو عبارة قدسية لها مكانة تاريخية تجعلها محل القبول أو التقديس عند عموم الناس، وقد تكون نصاً مقدسا كالقرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، أو شكلا شعريا كشطر بيت أو بيت أو حكمة أو مثلا أو قولا مشهورا، وهو طريقة في تقديم الخطاب ينتمي إلى المواضعة الاجتماعية[2].

و المتكلم يعمد إلى الاستعانة بهذا النوع من الحجج معتمدا على موقفه وموقف الجمهور من الشاهد موظفا إياه في السياق، مراعيا متطلبات المقام، متحريا ما يلائم الغرض المطلوب الاستدلال عليه[3].

ومن بين النقاد العرب وأدبائهم الذين اعتنوا بالشاهد عناية نظرية وعملية الجاحظ الذي أكد أن: «مدار العلم على الشاهد والمثل » [4]. وقد ورد مصطلح الشاهد في مصنفاته كثيرا، ومن ذلك قوله: «ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل » [5].

فالناظر للحجاج عند العرب يجده قائما على ركائز ثلاث: الخطابة والبلاغة والمنطق العقلي حيث يدار هذا الخطاب باستخدام الأساليب البلاغية وفق الاستدلالات العقلية التي تعتمد القياس والشاهد، فالحجاج عندهم إذن يخاطب العقل بما يحمله من مسلمات تجعله يدعن لها.

---

[1] _ عبد السلام عسير، عندما نتواصل نغير، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 91.

[2] _ أحمد الوردني الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب: نحو المعنى والمبنى، باتريك شارودو، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط:1، بيروت 2009، ص96.

[3] _بلقاسم حمام الأثر البلاغة العربية وآلية الحجة، مقال: مجلة الأدب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد:4، ماي 2005، ص: 245، 246.

[4] _ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج:1، ص: 166.

[5] _ المصدر نفسه، ج:3، ص: 605.

ثالثا: الحجاج في الدرس الغربي الحديث:

عانت البلاغة الحجاجية عند الغرب سنوات طويلة من الإهمال والإقصاء بعد أن كانت في أوج ثرائها عند اليونان في عهد أفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة اليونان ولعل هذا راجع إلى جنوح البلاغة إلى التقعيد والتبسيط والاختزال في الأسلوب والصياغة مما حدّ حركتها وجعلها لا تخرج عن إطار التدريس في شكل قواعد وأمثلة ونماذج متكررة حالها حال البلاغة العربية اليوم: «فبعد ازدهار وتوسع عرفتها البلاغة القديمة عربية وغربية على حد سواء أسهمت ظروف مختلفة في انكماشها فتخلت عن مناطق واسعة كانت تحت سلطتها وصارت مجرد لوائح من الصور البديعية منفصلة عن النص والإنسان » [1].

إلا أنه عاد الاهتمام من جديد بالبلاغة والخطابة والحجاج ولكن من غير زاوية التطلع إلى اليقين والعلم والمعرفة أي بعيدا عن المنطق الأرسطي الصارم المتوغل في العلوم التجريبية والرياضيات والفلسفة بل التحول إلى الاهتمام بالخواص الاحتمالية للموضوعات فظهرت الحاجة سلسلة من الأبحاث التي انصرفت إلى دراسة الأجناس اللاصورية واللابرهانية من التراث اليوناني وبدأت العودة إلى النظر في كتب أرسطو حول الجدل والخطابة والشعر والسفسطة فظهرت الحاجة إلى إحياء الخطابة وتطور الدرب الحجاجي [2].

ومن هذا ظهر فرع علمي جديد هو الحجاج، اهتم به في البداية الفلاسفة وأهل المنطق والقانون وسرعان ما أخذ الحجاج مكانه في أوساط الباحثين من تخصصات مختلفة وأصبح حقلا مستقلا تقوم حوله الدراسات التخصصية والأبحاث المتواترة [3].

ونتيجة لذلك تعددت توجهات النظريات التي عالجت الحجاج بين نظريات بلاغية وأخرى

---

[1] _محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 19.

[2] _ رشيد الراضي، السفسطائية في المنطقيات المعاصرة، التوجه ال الجدلي التداولي، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 218، 219.

[3] _المرجع نفسه، ج3، ص 220.

منطقية وثالثة تعكس الجانب النفسي والاجتماعي..[1].

ومن هذه النظريات شهد الحجاج انبعاثه ممثلا في مؤلفين صدرا سنة 1958 على يد الفيلسوف والقانوني البلجيكي الأستاذ في جامعة بروكسل (شاييم بيرلمان 1912-1984) وزميلته: (لوسي أولبريشت تيتكا) بعنوان الخطابة الجديدة أو البلاغة الجديدة.

أما المؤلف الآخر وجوه استخدام الحجاج، لصاحبه ستيفان تولين «الذي حاول فيه إضفاء الطابع العلمي على البحث الحجاجي من خلال وضع نموذج يفيد في تمثيل بنية العملية الحجاجية[2].

فما مفهوم الحجاج عند أصحاب هذين المؤلفين ؟ وما هو الشيء الجديد الذي جاءوا به؟ وما هي منطلقاتهم وتقنياتهم في ذلك؟

1 – الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:

أ ـ مفهومه عندهما: لم يأت مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتكا من عدم بل كان مستمدا من الخطابة الأرسطية القديمة حيث تم بعثها من جديد في ثوب جديد هو الحجاج الذي موضوعه عندهما: «هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤذي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[3].

فالحجاج عندهما هو ما يسمى ب (la nouvelle rhétorique) ومعناه الخطابة الجديدة عند عبد الله صولة، والبلاغة الجديدة عند صلاح فضل وقد سميت بالجديدة: "لحداثة الأبعاد التي تهتم بها، ثم لأنها أيضا ذات خصائص إنسانية عميقة ويؤكد ذلك كونها قد أجريت داخل قسم

---

[1] _ فليب برونون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تحقيق: محمد صالح محمد الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط:1، جدة، 2011، ص 41.

[2] _ المرجع نفسه، ص 221.

[3] _ محمد سالم الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 104.

الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة بروكسل-بلجيكا»[1].

والغاية من الحجاج عندهما: «غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة «[2].

ومن هنا كان الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا يرتكز على صناعة الجدل من جهة وصناعة الخطابة من جهة أخرى إلا أن هناك اختلاف بيّن وواضح بينهما يمكن تلخيصه في أمور ثلاثة هي:

أ ـ 1 – نوع الخطاب: فهو عند أرسطو خطاب شفوي موجه إلى جمهور بعينه أما عند بيرلمان فقد يكون خطابا شفويا أو خطابا مكتوبا مركزا على هذا الأخير لأن مجال تحليله وتأويله أوسع مما هو متاح في الخطابة المنطوقة (الخطاب الشفوي) [3].

كما أن غايته ليست تكوين خطيب مفوه وإنما هو إنتاج خطابة مفكرة معللة مبرهنة تذعن لها العقول ويستجيب لها السلوك حينما اشترط بيرلمان معقولية الحجاج لتلخيص الخطابة من تهمة التلاعب بمشاعر العامة وإثارة انفعالاتهم وهذا يجعل خطابته عامة تتسع لمخاطبة أي نوع من الجمهور[4].

أ ـ2 – نوع الجمهور: فالجمهور عند أرسطو ماثل أمام الخطيب حاضرين لديه في فضاء مكاني أما عند برلمان فهو جمهور عام قد يكون حاضرا أو غائبا وقد يمثل الجمهور شخصا واحدا بالتحاور معه وقد يكون هذا الشخص هو نفسه الخطيب حينما يحاور نفسه ويتشاور معها عن

---

[1] _ محمد سالم الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة لمعاصرة، مرجع سابق، ص 107.

[2] _ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ميسكيلياني للتوزيع والنشر، ط: 1، تونس، 2011 ص13.

[3] _ المرجع نفسه، ص 75.

[4] _ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، د ط، القاهرة، 2000، ص 115، 116.

طريق التفكير بمحاولة إقناع النفس بقبول فكرة أو ردها أو الإقدام على عمل أو الإعراض عنه وبهذا سمح الحجاج عند بيرلمان إلى فتح آفاق جديدة لم تكن متاحة عند الخطابة الأرسطية وهذا حينما: «تخرجه من الدائرة الضيقة التي حصرته فيها الدراسات التقليدية كأداة تقنية صرفة توظف في المجالات العقلية أو التجريبية الصرفة إلى عالم الآراء والقيم والتفاعلات بين الأفراد والجماعات»[1].

أ ـ 3- نوع الحجة: ترتكز الحجة عند بيرلمان على الصورة الخطابية البلاغية التي تحدث تغييرا وتأثيرا في المتلقي أما التي لا تؤدي هذا الغرض فهي مجرد صورة شكلية أسلوبية فإذا لم تؤد الصورة إلى موافقة المتلقي فإنها تكون حينئذ تجميلا، أي صورة أسلوبية فقط [2].

ومن ثم بات الخطاب الحجاجي عند بيرلمان يستند بعد المحاجج والمتلقي على المقام الذي يحدد تقنيات هذا لخطاب وأنساقه وهذا يتطلب جهدا عقليا لإقامة الحجة لأن المتلقي هو المعني باستيعاب هذا الخطاب وتنميته فهو يسهم كما المتكلم في تشكيل المعالم الكبرى للمادة الحجاجية المقدمة [3].

وإضافة إلى هذا اشترط بيرلمان في الحجاج حتى يكون حجاجا أن يحصل فيه ضرب من التفاعل والالتقاء الثقافي بين البات والمتلقي وذلك من خلال الاهتمام بالظروف النفسية والاجتماعية، فالحجاج عنده ليس استدلالا تعليليا يدور في حقل البرهان المنطقي بل هو علاقة تفاعلية بين الباث والمتلقي [4].

وبهذا يكمن الفرق بين الحجاج عند بيرلمان والحجاج عند أرسطو حيث أن الحجاج عند هذا

---

[1] _ محمد طوس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار النشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ط:1، الدار البيضاء، 2005، ص 44.

[2] _ فيليب برونون، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 45.

[3] _ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج عند برلمان، مقال كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص 182-183

[4] _ علي الشبعان الحجاج في المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسير الطبري، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط:1، تونس، 2008، ص 16.

لأخير يرتكز على المنطق الصوري الحازم الذي لا يقبل الشك أو الرد بينما هو عند بيرلمان احتمالي يعتمد على الاجتهادات العقلية ومن هنا يمكن تلخيصه فيما يلي:

- أنه يوجه إلى مستمتع أو قارئ.
- يعبر عنه بلغة طبيعية (مراعاة الالتقاء الثقافي والاجتماعي)
- مسلماته احتمالية.
- تقدمه وتناميه لا تلزم ضرورة منطقية بأتم معنى الكلمة.
- نتائجه ليست ملزمة.

ب ـ منطلقات الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:

بنى بيرلمان وتيتيكا حجاجها على منطلقات هي جملة من القضايا والتصورات والفرضيات تعد هي الأساس في توسل المتكلم بها في سياق حجاجه ونسج خطته الحجاجية وما يعينه على بناء استدلاله أهمها:

ب .1 –الوقائع: (les faits): وهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس سواء أكانت وقائع مشاهدة أو مفترضة وتكون غير قابلة للدحض ولا للشك [1]، والوقائع المشاهدة هي الأكثر أهمية في المقدمات، أما المفترض أي الممكنة والمحتملة فهي تأتي تباعا وهذه الوقائع صالحة لتأسيس نقطة البداية بحكم ثبوتها[2].

ب .2 –الحقائق: les réalités: وهي تقوم على فكرة الربط بين الوقائع وبذلك فهي تتعلق بالنظريات العلمية والتطورات النفسية والدينية المتعالية عن التجربة [3].

---

[1] _ شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، من إصدار فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة تونس، 1999، ص 24.

[2] _محمد سالم الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 111.

[3] _ المرجع نفسه، ص 112.

ب ـ 3 –الافتراضات: les présomptions

هي أحكام قبلية أو آراء مسلم بها من طرف المعنيين ولا يقوى التسليم بها إلا من طرف المعنيين ولا يقوى التسليم بها إلا في سياقها الحجاجي ليست ثابتة وإنما متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين لأنها تقاس بالقياس العادي وهو متغير ومختلف[1].

ب ـ 4–القيم: les valeurs: وهي عنصر أساس من عناصر الحجاج فعليها مداره ولها دور بارز في مجال العلوم الإنسانية إذ يعتمد عليها في تغير مواقع السامعين ودفعهم إلى الفعل المطلوب وهي نوعان:

قيم مجردة مثل العدل والشجاعة: وقيم محسوسة: وهي القيم التي ترتبط بشخص أو جماعة أو مؤسسة منظورا إليها في أحاديثها مثل الوطن والمسجد.. [2].

ب ـ 5 –الهرميات:les hiérarchies: أي أن هذه القيم تخضع إلى ترتيب وهرمية فهي ليست على درجة واحدة، ووعي المحاجج بترتيبها أهم من القيم نفسها لأن هذا التراتب يختلف من مجتمع إلى آخر.

ب ـ 6 –المواضع:les lieux: أي المقدمات العامة التي يلجأ إليها المحاجج لبناء القيم وترتيبها، وقد وصفها برلمان بالمقدمات العامة وهي متمخضة عنده للاستدلال الجدالي وهي قسمان:

مواضع الكم: وهي التي تثبت أن شيئا ما أفضل من شيء آخر لمعايير كمية مثل أن الكل أفضل من الجزء.

مواضع الكيف: وهي التي تستمد خاصيتها الحجاجية من وحدانيتها الشكلية في مواجهة الجمع مثل: موضع الحق الذي يباين ما عداه من الباطل [3].

---

[1] _ محمد سالم الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 112.

[2] _ المرجع نفسه، ص 113.

[3] _ المرجع نفسه ، ص 113.

ولا يكفي أن يمتلك المحاجج هذه المقدمات بل عليه أن يحسن توظيفه بما يتوافق مع المتلقي والمقام وعناصر العملية الحجاجية الأخرى.

فهي: ليست ذات فعالية في ذاتها ولا هي بمعزل عن كفاءة الخطيب ووعيه اللذين بهما تكتسب عناصر الحجاج شحنتها الحجاجية»[1].

ج ـ تقنيات الحجاج عند بيرلمان وتتيكا:

وزع بيرلمان وتتيكا، التقنيات إلى طرائق اتصالية وأخرى انفصالية حيث أنها تقنيات خطابية مستمدة من بنية التراكيب اللغوية التي يتم توظيفها فالأولى تقرب بين العناصر وتشمل كل الحجج التي اهتمت بها البلاغة القديمة فهي: «الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة، ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا»[2].

أما الثانية فهي تقوم على الفصل بين عناصر التراكيب اللغوية لممارسة سياقات ما، إن ربطت بينها وهي: «تلك الطرائق التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود ودة بينهما ولها مفهوم واحد»[3].

ويمكن توضيح ذلك بما يلي:

---

[1] _ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص:32.

[2] _ المرجع نفسه، ص 113.

[3] _ المرجع نفسه، ص 114.

ج ـ 1–طرائق الوصل:

وهي ترتكز على ثلاثة أنماط أو أشكال، هي:

1–الحجج شبه المنطقية: وهي التي أخذت من بنية المنطق فهي تقبل الصياغة المنطقية إلا أنها تخالفه في كونها غير ملزمة فتشابهت بذلك البلاغة أي الحجاج ولهذا سميت شبه المنطقية[1] ومن أمثلتها ما يلي:

–الحجاج بالتناقض وعدم الاتفاق ويقصد به وجود قضيتين إحداهما نفي للأخرى أما عدم الاتفاق فمتعلقة بوضع ملفوظين على محكي الواقع والمقام مما يحتم اختيار إحدى الأطروحتين وترك الأخرى.

–الحد والتعريف: يكون فيه المعرف والمعرف به متماثلين لفظا مما يحملنا على عدّ اللفظ الثاني واردا على سبيل المجاز ويمثل ببرلمان بقوله: «المرأة هي المرأة وهي عبارة لها قيمتها الحجاجية في مقامات خاصة » [2].

–**الحجج القائمة على العلاقة المتبادلة:** وهي تقوم على تمرير حكم ما من حالة معينة إلى أخرى لاحقة عليها [3]. ويمثل لها عبد الله صولة بقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4].

–حجج التعدية: تقوم على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر سالب يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول والثاني...[5].

---

[1] _ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، دار الفارابي، د ط، د ت بيروت، ص 324.

[2] _ المرجع نفسه، ص 327.

[3] _ المرجع نفسه، ص 327.

[4] _ محمد بن حنبل، المسند، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008.

[5] _ محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 129.

2-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

وهي حجج تبنى على واقع معترف به دون وصفه مع تبيان العلاقات الرابطة بين عناصره ومكوناته وتعرض الآراء المختلفة فيه سواء أكانت هذه الآراء وقائع أو حقائق أو افتراضات [1].

فهي: «حجج تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة ومسلما بها » [2].

3-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

حيث إن الخطيب يعيد بناء الأساسيات الكاملة في الواقع بخلق روابط تظهر علاقات لم يكن يراها المتلقي بالضرورة، وذلك بخلق الروابط وتشكيلها التي لم تكن معطاة مسبقا بين عناصر من هذا الواقع وتقديمها في شكل علاقة ملائمة، والروابط نوعان: نوع يرتكز على المثل والتبيين والنموذج، وآخر يرتكز على الاستدلال بالمماثلة والكناية [3]

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ﴾[النحل: 43، 44]

فإن في الآية اعتراض بما هو حقيقة على ما يمكن أن يكون محل شك أو تردد (من كون الرسل رجالا يختارهم الله عز وجل)

فالآية فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون هي إثبات وتأكيد على الحقيقة والتي هي أن الرسل الذين أرسلهم الله قبل محمدﷺ إنما هم رجال يوحى إليهم من قبل ربهم سبحانه وتعالى.

---

[1] _ محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق ، ص 128-129.

[2] _ شكري المبخوت، نظرية الحجاج، مقال: ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص:49.
فيليب برونون، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص:52.

ج - 2 - طرائق الفصل:

وتستند على فصل علاقة أولية موجودة في مصطلح ما أو عبارة ما مقدمة كوحدة مترابطة فلكي يتأسس الحجاج فلابد للخطيب من كسر هذه الوحدة وإظهار المصطلحات المتمايزة التي تغطيها[1].

وهذا الفصل مرده إلى إحداث تحييد بين المصطلح (أ) غير ذي قيمة لأنه يعبر عن ظاهر والمصطلح (ب) صاحب القيمة لأنه يعبر عن الحقيقة والواقع وهذه الثنائية (مظهر/حقيقة) ترد إليها كل ضروب الفصل بين المفاهيم[2].

ومن الأمثلة على ذلك في البلاغة العربية:

حيث يمكن الفصل الحجاجي في أسلوبين من أساليب الإطناب (التتميم والاحتراس) في قول الشاعر ابن المعتز:

صببنا عليها ظالمين سياطا فطارت بها أيد وأرجل

وموضع التتميم قوله ظالمين وبه تم الفصل

أما الاحتراس في قول طرفة:

سقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهيمي

أمّا في قوله غير مفسدها قال ابن القيم: «فاحترس بقوله: بغير مفسدها لأن تكرار الماء على الديار بما يوجب الدمار وبها تم الفصل » [3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة: 54]

---

[1] _ شكري المبخوت، نظرية الحجاج، مقال، مرجع سابق، ص 49، 54.

[2] _ فيليب برونون، تاريخ نظرية الحجاج، مرجع سابق، ص 57، 58.

[3] _ ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، مكتبة الهلال، بيروت، ص 273.

يقول الزركشي في تفسيرها: فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة لتوهم أن ذلك لضعفهم فلما قيل: أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع [1].

فقد فصلت هذه الآية بين الوهم والعلم اليقين أي الظاهر والحقيقة

مآخذ على نظرية بيرلمان وتيتكا:

صحيح أن الفضل يعود إلى برلمان وتيتكا في إحياء البلاغة القديمة واسهامها في إثارة قضاياه الجوهرية من جديد من منظور استفيد من تطور معطيات المنطق الحديث وشارف أفق علوم الاتصال الجديدة، وكذا اسهامها في الحد من غلواء التحليلات الشكلية، والاهتمام بالوظيفة على المدى البعيد في الخطاب[2].

إلا أن هناك جوانب أهملتها نظريتهما في الحجاج كالتركيز على العديد من القضايا والعناصر التداولية والتواصلية، وكذا اقتصار نظريتهما في الحجاج على قيامها على طرائق الوصل والفصل فقط وفي هذا يأخذ عبد الله صولة على نظرية الحجاج عندهما باعتبارها أن الحجاج: «قائم أساسا على الوصل والفصل الحجاجيين وهو تصور للحجاج اعتمد فيه صراحة أو ضمنيا رسوما منطقية ورياضية شكلية عامة، وهذا ما شأنه أن يجعل أفق الدرس الحجاجي في أي نص من النصوص أو قول من الأقوال أفقا ضيقا جدا ذلك أن من الحجاج في الكلام ما يرد على غير هذين المظهرين أي الفصل والوصل فضلا عن كون هذا مبعثه على جعل الحجاج في النصوص مهما اختلفت وتنوعت ذا نمط واحد لا يتغير » [3].

---

[1] _ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د ط، صيدا 2009 لبنان ج3، ص 65.

[2] _صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص مقال: مجلة عالم المعرفة، عدد: 164، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1992، ص 72.

[3] _ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص 133.

2 ـ الحجاج عند تولمين:

صدر كتاب تولمين (وجوه استخدام الحجاج) متزامنا وكتاب (الخطابة الجديدة) ليبرلمان وتيتيكا كما أسلفنا ذكره في المقدمة.

فالحجاج عنده لا يتعارض مع المنطق الصوري بل يحاول إرجاعه إلى علم ممارسة، فتولمين يرفض إقصاء الممارسة التطبيقية للمنطق من الحياة اليومية ويدعو إلى تبني المنطق العملي ويتخذ نظرية القانون نموذجا لهذا المنطق العملي [1].

وانطلاقا من هذا فقد وجه تولمين اهتمامه إلى الحجج التعليلية الموجهة إلى دعم الاثباتات، فالحجة بالنسبة إليه هي كل قضية تقدم كتأكيدات ومصاغة بشكل أسباب مما جعل تولمين يعتقد أن الحجة تمارس وظيفة تبرير أصلية، وكل وظيفة أخرى لها تبقى ثانوية فعالة على وظيفة التبرير[2].

ويقوم نموذج تولمين للحجاج على عناصر أساسية ثلاث هي:

(المقدمة أو المعطى، الضمان، النتيجة) إذ أن المعطى هو المقدمة أي الخطاب الذي يريد المتكلم إيصاله للسامع أو المتلقي، أما الضمان فهو: ما يستلزمه هذا الخطاب أو المعطى أو ينجم عنه بالضرورة أمّا النتيجة فهي الغاية المتوخاة من الخطاب وهي الغاية الحجاجية ومثال ذلك:

ولد محمد في قسنطينة وهو المعطى، وبما أن من يولد في قسنطينة فهو عموما مواطن جزائري وهو الضامن، إذن فالنتيجة أن محمد مواطن جزائري.

3 – الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

ارتبطت نظرية الحجاج عند ديكرو وزميله أنسكومبر باللغة حيث أنهما يقرران أن الحجاج يندرج ضمن بنية اللغة ويتأتى ذلك من بنية الأقوال اللغوية لا من مضمونها الإخباري [3]. وهذا ما

---

[1] _ محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال لدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مرجع سابق، ص 60

[2] _ فيليب برونون، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 61.

[3] _ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مقال: ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ص 225.

اتضح من خلال كتابيهما (الحجاج في اللغة) الذي صدر أواسط السبعينات وهذا في إطار اللسانيات بمقتضى مناهجها وقضاياها وأغراضها.

كما أنها تستند في مرجعيتها إلى الإسهامات التداولية التي ميزت نظرية الأفعال اللغوية عند أوستين وسورل وكذا بعض أبحاث (ميل بنفيست) حول التلفظ ولهذا فإن نظريتهما تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يمتلكها المتكلم ويستعملها للتأثير في المتلقي[1].

وقد بيّن كل من ديكرو وأنسكومبر أن البنية التركيبة للغة مستقلة تماما عن معطيات النشاط التلفظي معتبرين أن مهمة الدلاليات هي إبراز هذه القضية ومعالجتها في سياق الدراسة اللسانية[2] ناظرين إلى أن معطيات السياق التداولي ووقائع النشاط التلفظي لا ينفصل عن اللغة الطبيعية التي ينبغي استحضارها أثناء الوصف الدلالي للملفوظات[3] فموضوع النظرية عندهما هو: «بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما «[4].

فالحجاج عن ديكرو كامن في بنية اللغة ذاتها ويكون ذلك بأن يقدم المتكلم قولا (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2)، وسواء أكان (ق2) صريحا أو ضمنيا، فعملية قبول (ق2) على أنه نتيجة للحجة (ق1) تسمى عمل محاجة [5].

فهو إنجاز لعمليتين هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من (ق1) [6].

والغاية من الحجاج هو التوجيه الذي يحدث على مستويين: مستوى السامع وذلك بالتأثير

---

(1) _ المرجع السابق، ص 217.

(2) _ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب، د ط، بيروت، 2009، ص 20.

(3) _المرجع نفسه، ص 219.

(4) _ نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 352.

(5) _عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص: 33.

(6) _ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص: 33.

فيه أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي فعلا ما، أو إزعاجه أو احراجه أو غير ذلك، وعلى مستوى الخطاب حين يكون القول (ق1) مؤديا بالضرورة إلى ظهور (ق2) صراحة أو ضمنيا[1].

أ–مفاهيم النظرية:

تقوم نظرية ديكرو وأنسكومبر على جملة من المفاهيم هي:

أ ـ 1 العلاقة الحجاجية:

الحجاج عند ديكرو عبارة عن علاقة دلالية تربط بين الأقوال، بحيث يقدم المتكلم قولا يعتبر حجة يحمل به المخاطب على قبول قول آخر يعتبر نتيجة (صراحة أو ضمنا) وهذ العلاقة التي تربط بين الأقوال الحجج، والأقوال النتائج تسمى العلاقة الحجاجية وهي علاقة خطابية لا يحكمها الاستلزام المنطقي بل تسيرها وتؤطرها المواضع الحجاجية [2].

أ ـ2 –المواضع الحجاجية:

الموضع هو فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع يتخذها المتكلم كمبدأ حجاجي عام لحمل السامع على قبول نتيجة ما، وعلى هذا يرتكز الاستدلال في اللغة [3].

فالمواضع هي آليات تحتية تسمح بإنجاز النشاط الحجاجي من خلال العلاقة التي تبنيها مع العامل والرابط الحجاجين وهي لا تستمد مقبوليتها من صورتها الاستدلالية وإنما من ارتباطها بالآراء المشتركة العامة (المقبولة لدى جمهور واسع أي مسلم بها) وهي تتحكم بالخاصية التدرجية السلمية للحجج التي تعد الخاصية الأساس لنظرية ديكرو [4].

وكل علاقة حجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة والنتيجة أي مسارا مبررا يعتمد في

---

[1] _ أحمد انزك نرمت، الحجاج في المناظرة، مقارنة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي، مقال ضمن كتاب:(الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 15.

[2] _ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، د ط، بيروت، 2013، ص 98.

[3] _ شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة مقال ضمن كتاب أهم نظريات التقاليد الغربية، مرجع سابق، ص 300.

[4] _رشيد الراضي، الحاجيات اللسانية عند ديكرو وأسكومبر، مقال: مرجع سابق، ص 237.

الانتقال الحجاجي [1]. وهذا الموضع هو الذي يجعل الحجة تفضي إلى نتيجة بعينها دون أخرى كما أن تغيره يغير النتيجة.

واختيار موضع دون غيره يعني اختيار اتجاه حجاجي دون غيره كذلك.

أ ـ 3 –الاتجاه الحجاجي:

الاتجاه الحجاجي هو إنشاء اتجاه معين إلى قول من أجل الوصول إلى نتائج محددة وهذا التوجيه يوسع أو يضيق الاحتمالات الحجاجية ليوصلها إلى اتجاه معين تحدده البنية اللغوية للخطاب [2].

وهذا الخطاب يتضمن قرائن حجاجية تشكل وسائل لغوية مختلفة يوظفها المتكلم لتوجيه خطابه وتنظيم العلاقات في حجاجه [3].

والحجج إما ان تكون متساندة وهي التي يكون ملفوظها اللغوي يتكون من أكثر من حجة تشترك في توجيهه تعزيزا أو دحضا، وإما أن تكون متعاندة وهي التي تكون متباينة أي بعضها معزز والبعض الآخر داحضا.

فالتوجيه الحاصل من دلالة الملفوظ يتمثل الوظيفة الحجاجية عند ديكروا وأنسكومبر وهذا يكون في مستويين: مستوى السامع ومستوى الخطاب وما يكمن بينهما من تداخل[4].

أ ـ 4 ـ القرائن الحجاجية:

وهي تمثل المكونات اللغوية المختلفة للجملة التي توجه الملفوظ وجهة حجاجية معينة وهي نوعان:

---

[1] _ المرجع نفسه، ص 237.

[2] _ المرجع نفسه، ص 276.

[3] _ كورنيليافون راد صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2003، ص 32.

[4] _ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 36.

-العوامل الحجاجية:

وهي أدوات لغوية تربط بين مكونات الكلام لتعطي إمكانات حجاجية فهي إذن «عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد [1] فهي لا تقوم على الربط بين مجموعة من الحجج ولكنها تحصر وتقيد الإمكانات الحجاجية لقول ما، مثل النفي والحصر التي تدخل على الإسناد، أو مكونات معجمية مثل: (ربما، وكاد، وقليلا وكثيرا...)، ومن أهم وظائف العوامل الحجاجية هي رسم المسار الحجاجي الذي يضمن الوصول إلى النتيجة، فالعامل الحجاجي لا يضيق من احتمالات المحاجة المسجلة في جملة من الجمل ولكنه يقيدها بمسارات تربط بين الحجة والنتيجة، وبهذا يصبح الفعل الحجاجي شبكة من المواضع التي تمثل مسارات حجاجية ينبغي إتباعها لبلوغ نتيجة ما»[2].

-الروابط الحجاجية:

وهي مكونات لغوية تداولية تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر داخلتين في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة[3]. وهي نوعان:

-روابط مدرجة للحجج مثل: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن....)

-روابط مدرجة للنتائج مثل: (إذن، لهذا، وبالتالي، أخيرا...).

أ ـ 5 -القسم الحجاجي:

هو عدة حجج مجتمعة، وتضافرها يخدم نتيجة واحدة مع تباينها في القوة الحجاجية وهو ذو طبيعة نسبية لتغيره بحسب الوضعية التي يتلفظ فيها المتكلم (اجتماعية، مكانية، زمانية...) وبما أنه محكوم بالنتائج التي لا...فمتى تغير اختيارها تغير القسم الحجاجي[4].

---

[1] _ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص: 100.

[2] _شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مرجع سابق ص 383.

[3] _ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 31.

[4] _ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 100.

أ ـ 6 –القوة الحجاجية:

تتفاوت الحجج التي تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي في درجة قوتها في تعزيز النتائج، فمنها الحجج القوية ومنها الحجج الضعيفة وهذا التدرج في قوة الحجج تمكن من معرفة النشاط الحجاجي انطلاقا من عبارات كأكثر أو أقل كما أن الروابط الحجاجية ك (لكن وحتى) لها دور في تحديد درجة قوة الحجج إلا أن الأمر لا يتعلق بالروابط فحسب بل يتعدى ذلك إلى الملفوظات التي ترد في الخطاب تتميز بخاصية معيارية تجعلها تشير إلى قيمة موجبة أو سلبية [1].

ب ـ السلم الحجاجي:

وهو عملية ترتيب الحجج فيقول ديكرو: «إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية للحجج نسميه سلما حجاجيا»[2].

وهو عند طه عبد الرحمن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التالين:

–كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الذي يقع في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

–كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه [3].

وتحكم السلم الحجاجي مجموعة من القوانين منها:

1–قانون النفي.

2–قانون القلب

3–قانون الخفض

---

[1] _ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو مقال، مرجع سابق، ص 230.

[2] _ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 277.

[3] _ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 277.

وسيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي من فصول البحث. (الآليات)

ج –مقارنة بين نظرية برلمان وتيتيكا ونظرية ديكرو وانسكومبر

– نقاط الاختلاف بينهما:

–الحجاج عند ديكرو وتولمين كامن في اللغة ذاتها لا فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى منطقية أو شكلية كما هو الحال عند برلمان وتيتيكا[1].

–كل قول هو حجاج عند ديكرو وزميله بمعنى أن تتكلم يعني أنك تحاجج ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية أما عند بيرلمان فإن القول الذي يحتوي على فعل إقناعي هو الذي يكون حجاجا ما عداه فهو أدب [2].

–أفق الحجاج عند ديكرو وزميله واسع الأفق ليشمل كل قول. بينما عند بيرلمان فهو ضيق جدا لاقتصاره على الوصل والفصل.

– نقاط الاتفاق:

–تطبيق قانون الأنفع حجاجيا الذي تخضع له عملية تأويل الخطاب في إطار الإجابة عن السؤال، (لماذا قال المتكلم، ماذا قال؟) حيث: «يعتبر بيرلمان وتيتكا من ناحية، وديكرو وانسكومبر من ناحية أخرى، كل على طريقته أن بنى وحدات اللغة تتفاوت في درجة التعبير حجاجيا عن فكرة ما، بحيث يعتمد التعبير بالعنصر (أ) دون العنصر (ب) تطبيقا لقانون الانفع حجاجيا [3].

---

[1] _ أحمد انزك نرمت، الحجاج في المناظرة مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي، مرجع سابق، ص 152.

[2] _ عبد الرزاق بنور، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، مقال: ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجلاته، ج2، ص 311.

[3] _ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، مرجع سابق، ص 79.

د ـ مأخذ على النظرية:

يرى عبد الله صولة أن حصر دلالة الملفوظ في التوجيه عند ديكرو غير صحيح في غالب الأحيان لأن التوجيه جزء من دلالة الكلام فقد يكون للكلام دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه بحسب المواقف التأويلية التي يضعها المتلقي [1].

فمفهوم الحجاج عند صولة واسع جدا إذ يرى أن اللغة بكل وحداتها المعجمية ليست ذات طاقة حجاجية وهذا ما ذهب إليه ريبول أن بعض أنماط الإبداع ليس حجاجا ولا يراد به الاقناع أصلا ومنه فإن قول ديكرو بأن كل قول فهو حجاج على اختلاف غاياته ودوافعه إليه وأنه قائم على جوهر اللغة نفسها بغض النظر عن استعمالها مما يجعل الحجاج يشمل كل قول غير صائب دائما [2].

كما يرى شكري المبخوت أن تعريف ديكرو وصاحبه أنسكومبر للحجاج بأنه: كل قول هو حجاج بمعنى أن القول (1) مثلا أو مجموعة الأقوال حجة تفضي إلى التسليم بقول آخر(2). أو مجموعة أقوال غير كاف لأنه يقوم على أمرين عامين يمكن دخول صور القياس، البرهان أو الجدل فيهما وهذا مناف لما نبها إليه بأن الحجاج عندهما لا يقوم على الاستدلال بالضرورة فقد توجد استدلالات لا تفضي إلى محاجة وقد يوجد حجاج لا يعتمد على الاستدلال ومعنى هذا أنهما يفصلان بين الحجاج والاستدلال وهذا أمر مبالغ فيه فالقول بأن الحجاج تحدده النسبة اللغوية للقول لا يعني أن الحجاج ليس صورة من صور الاستدلال وإذا اعتبرنا أنه صورة من صور الاستدلال لا يعني بالضرورة الأشكال القياسية المعلومة في المنطق [3].

---

[1] _ المرجع السابق ، ص 36.

[2] _ المرجع نفسه، ص 40.

[3] _ شكري مبخوت، نظرية الحجاج، مقال، مرجع سابق، ص 79.

4 ـ مفهوم الحجاج عند (ميتشال ماير) (فلسفة الاستشكال)

يكمن مفهوم الحجاج عند ماير بتحديده لطبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية لأن الكلام عنده يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته[1]فالوحدة الأساسية للغة عنده هي الزوج (سؤال/جواب) إذ يقول في هذا: يمثل الزوج (سؤال/جواب) الوحدة الأساسية للغة ومن تم فإن استعمال اللغة يحدد دائما تبعا لها فالكلام يعني إتارة سؤال أو التصدي له ولو باسم الحل أو على صورته [2].

ويمكن توضيح هذا من خلال ما يلي:

أ – علاقة الحجاج بالبلاغة في نظرية المساءلة:

يرى ما ير أن البلاغة تشغل حيز مركزي في التصورات التي يشكلها الإنسان عن نفسه وعن العالم لأن موضوعها هو أساليب استخدام الخطاب للإقناع والتداول والاستدلال وغيره من تم فإن البلاغة عنده: «لا تكون إلا حجاجية لأنها ترتبط بالمحتمل والخلافي في المجال الإنساني، فالناس يتواجهون ويتعارضون لأنهم يبحثون عن مكان أو معنى مشترك يسعهم جميعا ويبدو لهم مقبولا ومهمة الحجاج الاشتغال في خضم هذا التواصل الاجتماعي [3].

وترتكز العلاقة القائمة بين البلاغة والحجاج عنده على:

أ ـ 1 ـ بنية الصور البلاغية:

إذ يرى مايير أن الصورة البلاغية تلعب دورا كبيرا في جذب السامع وتحريك خياله حتى يستوعب الأفكار والصور المقدمة إليه، فالمجاز عنده مثلا:

«يخلق المعنى، ويصدم كل من يشاطر المتكلم وجهة نظره وهو إلى ذلك طريقة للتعبير عن

---

[1] _ محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية مرجع سابق، ص 394.

[2] _ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 107.

[3] _ ميتشال ماير اللغة والمنطق الحاج الباب2: اللغة والسياق: ترجمة محمد أسيداه، مقال ضمن كتاب،:الحجاج مفهومه ومجالاته، ج5، ص 16.

الأهواء والانفعالات والمشاعر الي هي صور ما الإنسان مثلما يكون المجاز صورة عن الأسلوب فاستخدام المجاز والصور البلاغية ما من شأنه خلط مسارات المعنى ويبعد الجواب الصريح مما يستوجب البحث عن إمكانيات أخرى وراء ظاهر السؤال ومن ثم يتسع التأويل فيقوي الحجاج وتتشعب مساراته[1].

أ ـ 2 –العلاقة الخطابية:

أعاد ماير صياغة الوسائل الخطابية الثلاث....(صفات المتكلم) و...(التأثير في الآخر) و....(الخطاب أو اللغة) على شكل أركان أساسية ثلاثة هي: الأخلاق والسؤال والجواب فألحق المخاطب بالمتكلم وفرع الخطاب إلى فرعين هما سؤال وجواب. اللذان....الاستشكال [2].

ويركز ماير على أن تتوفر في المتكلم طاقة تأثيره وثقافة عميقة ووعي بمستويات مخاطبية، بحيث يستطيع صياغة التساؤلات الجوهرية الحجاجية التي يستدعيها المقام ويستطيع كذلك إذكاء التفاعل بينه وبين مخاطبيه[3].

ب **–الحجاج ونظرية المساءلة:**

ما دام الحجاج يستند على بذل الجهد لغاية الإقناع وباعتباره استدلالا غير صوري وغير ملزم فإنه يصب في نتيجة مفادها أن الحجاج يعود إلى نظرية المساءلة فما الحجة إن لم تكن رأيا في إثارة السؤال؟ فإثارة السؤال معناه ممارسة الحجاج واحتمال طرح الرأي المخالف حين ينشأ عن ذلك النقاش والجواب استنتاجا ينتجه السياق [4].

فانفتاح مايير على التصورات الفلسفية واللغوية انطلاقا من نظرية بيرلمان جعل نظريته ذات أبعاد ثلاثة:

---

[1] _ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 108.

[2] _ المرجع السابق، ص 108.

[3] _ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 137، 138.

[4] _ محمد أسيداه، اللغة والمنطق والحجاج، مقال، الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ج5، ص 45، 46.

–بعد تداولي: من حيث ظروف إنجاز الخطاب وآلياته

–بعد تأويلي: من حيث علاقة السؤال بالجواب وما يتطلبه من تأويل

–بعد بلاغي: من حيث ربطها بالحجاج وفتحها له على مختلف وسائل الاتصال الكائنة والممكنة[1].

بعد استعراضنا ولو بإيجاز لأبرز نظريات الحجاج المعاصرة في الدرس الحجاجي الغربي لاحظنا تنوع النظريات الحجاجية وتعدد منطلقاتها وغاياتها والتقائها مع البلاغة إلى حد كبير.

[1] _ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 138.

المبحث الثالث: تقنيات الحجاج وآلياته اللغوية:

هناك جملة من الآليات اللغوية التي تساهم في تقديم الحجج أو بالأحرى هي تلك التقنيات التي يستخدمها المخاطب في تقديم حججه فهي تعينه على تقصي الطريقة التي تناسب سياق كلامه وتنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج التي يصبو إليها فيعمد إلى توظيف هذه الأدوات اللغوية التي منها:

أولا: الأدوات والروابط:

وهي تلك الحروف والألفاظ اللغوية سواء أكانت (أسماء أم أفعالا) التي تمكّن المتكلم من تركيب كلامه وترتيبه وربط بعضه ببعض وفق المعاني التي يريد إيصالها إلى المخاطب بحسب السياقات التي ترد فيه، لتجعله يحمل وظيفة حجاجية، وهي عديدة في اللغة فالحروف مثل: (لأن، لكي، حتى...)، وأما الألفاظ مثل: (سبب، لأجل...)، ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

1-ألفاظ التعليل:

وهي ألفاظ تستعمل لتبرير الفعل أو تعليله ككلمة (سبب) و(لأن) (لكي) والمفعول لأجله... وغيرها. وذلك بناء على سؤال ملفوظ أو مفترض، ومثال ذلك مايلي:

-**لأن**: أوجب الله الإحسان للوالدين لأن فضلهما على الأولاد كبير

فعلّة الإخبار بوجوب الإحسان للوالدين هي فضلهما الكبير على الأولاد، وهو جواب لمن يسأل عن سبب وجوب الإحسان للوالدين.

- **لكي**: قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[الحشر: 07]

قال الشاعر المتنبي[1]:

خلـــت الـــبلاد مـــن الغزالـــة ليلهـــا فأعلضـــهاك الله لكـــي لا تحزنـــا

وكذلك استعمالها لنصب الفعل المضارع عند تبريرها له نحو قولنا لأولادنا: «اجتهدوا في دراستكم كي تنجحوا في مستقبلكم »، «اجتهد كي تضمن مستقبلك»، وقد تجيء مقرونة باللام وتسمى لام التعليل واللام الناصبة للفعل المضارع واللام الجارة نحو قولنا: «جلست بقربك لكي أسمعك جيدا »، «أديتُ فرضي لكي أرضي ربي ».

-اشتريت مجموعة من الكتب لأنتفع بما فيها من العلوم.

-أطالع الجرائد باستمرار لأطّلع على الأحداث اليومية.

-أحب تناول السمك لاحتوائه على قيمة غذائية عالية.

كذلك كلمة: "**سبب**" «تعمل نفس العمل فهي تقوم بتبرير الأفعال وتعليلها وذلك بتبرير علة النتيجة المتوصل إليها:

أغلب حوادث المرور سببها العنصر البشري.

توقفت الحركة المرورية بسبب كثافة الثلوج.

فالعنصر البشري علة وقوع حوادث المرور، وكثافة الثلوج علة توقف حركة المرور».

كلمة لأجل: قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:32]

[1] _ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مصدر سابق، ص: 15

2 ـ روابط الوصل السببي:

وهو الربط بين أحداث متتابعة كالمقدمة والنتيجة لتصبح النتيجة الأولى مقدمة للنتيجة الثانية وهكذا.

كما جاء في حديث النبي ﷺ في مقدمات خطبه: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[1].

فكل من أحدث في الدين أمرا فهو بدعة، وكل بدعة فهي تؤدي إلى الضلال، والضلال يؤدي إلى النار، فالبدعة نتيجة المحدثة وهي أيضا مقدمة للضلالة وهكذا.

والضلالة موصلة إلى النار، فهذا وصل تتابعي تسلسلي بين المحدثة في الدين باعتبارها العلة وبين النار بوصفها النتيجة النهائية للعلة

كما يرد الحجاج بالتعليل السببي مثل قولنا على لسان الحكمة، من أكل كثيرا شرب كثيرا ومن شرب كثيرا نام كثيرا، ومن نام كثيرا فاتته خيرات كثيرة[2].

وهذا يكون باستخدام التراكيب الشرطية المبنية إذا تحقق الأكل الكثير كان سببا في الشرب الكثير وهكذا...

3ـ الأفعال اللغوية:

إن للأفعال اللغوية أدوارا مختلفة تسهم في إدارة الحجاج، إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب حيث أنها تترتب بحسب احتياج الاستعمال إلى أفعال تقريرية وأفعال إلزامية وأفعال توجيهية.

فالأفعال التقريرية هي الأكثر استعمالا في العملية الحجاجية لأن المخاطب يلجأ إليها ليعبر عن وجهة نظره ويحدد موقفه من نقطة الخلاف كما يستخدمها في تدعيم وتأكيد إدعائه أو

---

[1] ـ محمد بن أحمد عبد العزيز، من خطب الجمعة والعيدين، مكتبة الملك فهد، ط:1، الرياض، 1999، ص 99.

[2] ـ المرجع نفسه، ص 123.

للتراجع عن ذلك عند إقناعه بعكس ما أدعاه، ومثال ذلك ما تقرر في القرآن عن مراحل خلق الإنسان لتبطل كل الادعاءات جاء صدفة أو كان أصله قردا ثم تحور وتطور.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[المؤمنون: 12-14]

فجملة هذه الأفعال (خلقنا، جعلنا، كسونا، أنشأنا) كلها أفعال تقرر من خلق الإنسان وما أصل خلقته ثم كيف تحولت إلى نشأة أخرى ومراحل تلك النشأة، وهكذا وبذلك شكلت إدعاءً وحجة أبطلت كل الإدعاءات وأبعدت كل الشكوك والظنون وأوقعت التسليم والإذعان.

أما الأفعال الإلتزامية فهي تستعمل عند قول وجهة النظر أو للتعبير عن الموافقة على مناصرة الدعوى أو معاداتها وكذلك باتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه.

أما الأفعال التوجيهية فهي قليلة الاستعمال لأنها لا تتناسب مع طبيعة النقاش فأفعال الأوامر والتحريم والنهي التي لا تأتي إلا بعد إنهاء الحجاج وانقضاء المناقشة فهي كنتيجة لازمة عن قبول الدعوى والإذعان لها، ومثال ذلك حينما يقنع المخاطب السامع بوجود الله ووحدانيته ويقتنع السامع بذلك فتأتي التوجيهات بعد ذلك بضرورة إتباع أوامر الله والابتعاد عن نواهيه وهذا إنما يتم باستخدام أفعال الأوامر والتحريم والنهي.

ثانيا: الآليات اللغوية باستخدام العلاقات الشبه منطقية:

وهي تقنيات لغوية تقوم باستخدام الأدوات والروابط اللغوية بين التراكيب الكلامية من أجل الوصول إلى علاقات شبه منطقية كترتيب الحجج ترتيبا تصاعديا أو تنازليا أو إلقائها بحسب قوتها أو ضعفها وأهمها:

1-السلم الحجاجي:

هو علاقة ترتيبية للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية معينة. إذ تصبح العلاقة الشبه منطقية الناتجة عن العلاقة المجازية بين الدعوى الحجة مجسدة من خلال الأدوات اللغوية فيتشكل فعل الحجاج من خلال تدافع الحجج اللغوية وترتيبها بحسب قوتها إذ لا يبقى أي تأثير إلا عند الحجة التي فرضت نفسها بقوة الإلزام الذي يدعم هذه الدعوى.

وبعبارة أخرى فإن السلم الحجاجي: «هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التالين:

1-كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف إلا على جميع الأقوال التي دونه.

2-كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه وله ثلاثة قوانين هي:

1-القانون الخفض.

2-قانون التبديل.

3-قانون القلب »[1].

-كان أحمد نبيل الأخلاق، فهو:

[1] _ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 278.

- بار بوالديه.

- متأدب مع إخوته.

- محترما لأصهاره.

- حسن التعامل مع جيرانه.

-طيّب مع أفراد أبناء عمومته.

-طيّب مع زملائه.

- يدفع بالحسنى خصومه.

فهذه كلّها حجج، يؤكدّ كلّ منها نبل أخلاق أحمد وتكون كلّ حجّة أعلى هي أقوى في دلالتها على طيبة أحمد ؛ فدفعه بالحسنى خصومه أقوى دلالة على نبل أخلاقه من طيبته مع زملائه، وطيبته مع زملائه أقوى دلالة على نبل أخلاقه من طيبته مع أفراد أبناء عمومته وهكذا. وبهذا فكل دليل يستلزم منطقيّا ما تحته من أدّلة.

ويترتب على ذلك أنّ نفي أحد الأدلة، أي إحدى الحجج، يؤدّي إلى نفي مدلول الخطاب، وهذا هو ما يسميه طه عبد الرحمن بقانون تبديل السلّم وهو القانون الثاني: «إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[1]. إذ يمكن أن ينفي المخاطب نبل أخلاقه بالقول: سيء التعامل مع جيرانه.

وقوّة النفي تترتّب ترتيبا عكسيّا، إذ إنّ نفي ما يقع في أدنى السلّم، هو نفيّ أقوى لمدلول الخطاب، فنفي ابراره بوالديه دليل أقوى من كل الأدلّة الأخرى على عدم نبل أخلاقه.

إلا أنّ نفي أي درجة أو دليل في السلّم، لا يستلزم نفي ما يقع في المرتبة التي تعلوه. وهذا هو القانون الثالث، وهو عند طه عبد الرحمن قانون القلب، فيقول: «أنّه إذا كان أحد القولين

[1] _ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص 278.

أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوّل في التدليل على نقيض المدلول»[1].

ومع هذا فإن السلّم الحجاجيّ لا يضل مقتصرا على العلاقات اللغويّة أو شبه المنطقيّة، بل يمكن توسيع مفهومه بإدراج كثير من أدوات الحجاج وآلياته ضمنه، ليصبح إطارا عامّا لتفاضل الحجج، وتغليب بعضها على البعض الآخر، انطلاقا من المخزون اللغويّ ونظامه والترتيبات المتوفرة في ذهن الإنسان، بتفعيل الكفاءة الحجاجيّة.

وقد يأتي السلم الحجاجي في بعض الخطابات منتميا إلى سلمية يتخذها المخاطب اعتمادا على كفاءته لوجود علاقات بينها تحكم منطق تراتبها والسياقات التي ترد فيها، مثل علاقات التوكيد، وما يسمى بالأدلّة أو الشواهد الجاهزة، مثل الأدلّة القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال السلف والحكم والأمثال. ولا يقتصر ترتيبها السلّمي على متنها، بل تتجاوز قوته إلى سند الرواية إن وجد كالحديث الصحيح والحسن والضعيف...

فالآية القرآنية أقوى حجة من الحديث الصحيح الذي هو بدوره أقوى حجة من الحسن وهكذا، ومثال ذلك حينما يتوجه الخطيب إلى الناس بموعظة أو إرشاد أو تذكير، فإنه يبدأ بذكر الأمر الذي يريد وعظ الناس به، ثم يأتي بتوكيد دعواه بشاهد من القرآن، ثم من أقوال النبي ﷺ ثم من أقوال السلف والعلماء ليدعم موعظته ويؤكد حجته، ومثال ذلك ما جاء في بعض الخطب عن الترغيب في أداء الصلاة والحفاظ عليها:

«أيها الناس اتقوا الله في أمور دينكم عامة، وفي صلاتكم خاصة، واعلموا أن قدر الإسلام عندكم على قدر الصلاة في قلوبكم، لأن الإسلام لا يقوم إلا على الصلاة، قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج:78] فأمر سبحانه وتعالى عباده بإقامة الصلاة، وجعلها عمادا لهذا الدين، فقد قال ﷺ: «الصلاة عمود الإسلام»

[1] _ المرجع السابق، ص 278.

«فالإسلام يرتكز على الصلاة فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين » [1].

فاستخدم الخطيب هنا الحجج الجاهزة في حث الناس على الصلاة من القرآن والسنة ورتب تقديمها فبدأ بالقرآن الذي يمثل أعلى حجة وأقواها ثم أتى بالسنة التي هي في المرتبة الثانية

كما أنه يمكن للمحاجج أن يستعمل السلّم الحجاجي في المراتب المتعلقة بالكم، إذ يمكّن السلّم من ترتيب الألفاظ، من الأدنى إلى الأعلى، أو العكس، مثل الألفاظ الدالة على الأوزان، والمقادير، ومن ذلك الأسعار، كما يتلفّظ بها المخاطب لشراء السلع في المزادات مثلا، إذ تنحو الأسعار من الحدّ الأدنى نحو قطب الزيادة حتّى تبلغ السعر الذي يعتقد المخاطب أنّه أعلى سعر تستحقّه البضاعة، ويكون كل سعر ملفوظ به خلال المزايدة بمثابة درجة في السلّم الحجاجي لإقناع البائع.

2-أدوات السلم الحجاجي اللغويّة:

يتحقّق الحجاج بالسلّم الحجاجيّ باستعمال أدوات لغوية، وآليات شبه منطقية كالتالي:

-الأدوات اللغويّة، كالروابط الحجاجية مثل (بل، لكن، حتّى، فضلا عن، ليس كذا فحسب)

ـ درجات التوكيد

ـ التعدية

-الصيغ الصرفيّة (أفعال التفضيل، صيغ المبالغة).

ونستعرض كلاّ منهما كما يلي:

[1] ـ عزيز ضياف، منبر الجمعة، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، سطيف، (د، ط)، (د، ت)، الجزائر، ص: 63.

أ-الروابط الحجاجيّة.

هناك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصفها حججا في الخطاب. ومن هذه الروابط: لكن، حتّى، بل، فضلا عن، وغيرها. وهذه الروابط هي ما يسميه المناطقة اللفظ الأداة «وهو لفظ لا يدلّ بحدّ ذاته على أي معنى، وإنّما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها. وهو لا يصلح أن يكون موضوعا ولا محمولا في القضايا المنطقية»[1].

ومن هذه الأدوات حرف (لكن) وهو «حرف استدراك ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنّك لما اخبرت عن الأوّل بخبر، خفت أن يتوهّم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا، وإن إيجابا. ولذلك لا يكون إلا بعد كلام، ملفوظ به، أو مقدّر ولا تقع لكنّ إلاّ بين متنافيين بوجه ما» قال الزمخشريّ: «لكنّ للاستدراك، توسّطها بين كلامين متغايرين، نفيا وإيجابا. فتستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ»[2].

وهذا يوضّح أنّ المخاطب يستدرك بها بعد نفي أو نهي، مثل ما جاء في كتاب معاوية لأحد عماله: «لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعا، فيمرح الناس في المعاصي ولا نشتد جميعا، فنحمل الناس على المهالك، **ولكن** تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة »[3].

إذ عمد إلى نفي سياسة الناس سياسة واحدة في الدرجة الأولى، ثمّ ارتقى بحجاجه درجة وهي إثبات السياستين الشدة واللين.

---

[1] _ نجم الدين القزويني، الشمسّية في القواعد المنطقية، تقديم، تحليل، تعليق، وتحقيق مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998م، ص 48.

[2] _ الحسن بن قاسم المراديّ، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تحقيق الدّكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ص 591.

[3] _ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص 42.

ب –درجات التوكيد:

وقريب من ذلك استعمال التوكيد، بترتيب درجاته لغويّا، وذلك عند إنتاج الخطاب الخبريّ في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاثة سياقات كما يصنّفها السّكاكي[1]:

1–الخبر الابتدائي: ومثاله في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾[الكهف:46] .

هنا أخبرنا الله سبحانه بأن المال والبنون من متاع الدنيا، ومتاع الدنيا فان إلا ما كان منها من ذكر لله والصالحات من العمل ولكن دون أن يستخدم التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من الخبر فلا هو متردد فيه ولا منكر له فهو مقبول من المتلقين له.

2–الخبر الطلبي: هو أن يكون المخاطب عارف بالخبر ولكنه متردد فيه فهو يحتاج إلى توكيد ليزيل تردده، ومثاله إذا سمع الوالد بنجاح ابنه في الامتحان وأراد أن يتأكد، سأل ابنه، فيجيب الولد: نعم يا أبي فإني قد نجحت.

3–الخبر الإنكاري: أن يكون المخاطب منكرا للخبر فهو يحتاج لتوكيده بمؤكد أو مؤكدين يجعله يقتنع بما ادعاه المتكلم.

لا يقتصر ترتيب الحجج في سلم واحد ما تقدم من إيراد المقولات/القضايا وربطها ربطا حجاجيّا، أو على استثمار بعض الأدوات ذات المعاني، بل يمكن ترتيب الحجج أيضا باستعمال بعض الصيغ الصرفيّة وتوجيهها في سياق الإقناع.

ج –التعدية:

التعدية هي ترتيب الأشياء في سلّم، بعقد العلاقة بينها، رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب[2].

---

[1] _السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص ص 170-171.

[2] _ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 76.

د –أفعل التفضيل:

ومن ذلك استعمال أفعل التفضيل في الإثباتات، «وتعريفه: أنّه اسم مشتقّ، على وزن: أفعل يدلّ –في الغالب–على أنّ شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه، فالدعائم التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحيّ–في أغلبها حالتين"

1–صيغة أفعل، وهي اسم مشتق.

2–شيئان يشتركان في معنى خاص وتكون المفاضلة بينهما.

ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرا حميدا، أو ذميما»[1].

وستأتي تفصيل ذلك وضرب الأمثلة في القسم التطبيقي

هـ –صيغ المبالغة:

ومن الآليات الصرفية التي تستخدم في الحجاج صيغ المبالغة، فرغم شروطها الأصليّة التي تتحد فيها، إلاّ أنها تفضل غيرها من الأوصاف مثل اسم الفاعل، كما تتفاضل فيما بينها.

ولإدراك المخاطب لهذا التفاضل بحكم تكوينه اللغويّ، ومهارته التداوليّة، فإنه يستعمل منها ما يعبّر عن درجة الحجة التي يريد أن يعبّر بها في خطابه؛ لأنّها «تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثيّ الأصليّ ما لا تفيده إفادة صريحة كصيغة: فاعل وأشهر أوزانها: خمسة قياسيّة؛ هي: فعّال، ومفعال، وفعول، وفعيل، وفعل، وهناك بعض الصيغ القليلة مقصورة على السماع عند القدماء؛ أشهرها من الفعل الماضي الثلاثيّ: فعّيل»[2].

مثل قول السموأل عندما كان يفخر بقومه:

إذا سـيّد منّـا خـلا قـام سـيّد قـؤول لمـا قـال الكـرام فعـول

فقد استعمل في بيته صيغتين كلاهما على وزن فعول وهما: قؤول وفعول، للدلالة على كثرة

---

[1] _عباس حسن، النحو الوافي، ج3، مرجع سابق، ص 395.

[2] _ المرجع نفسه، ج3، ص ص 257-259.

القول والفعل إلى درجة الاتصاف به كخلق حسن .

ويمكننا توضيح ذلك في التطبيق.

ثالثا: الآليّات البلاغيّة:

1-ترتيب أجزاء القول (الخطاب):

بعد التفكير في مكونات الخطاب وتحديد أجزاءه الكبرى والحجج اللازمة لذلك، يقوم الخطيب أو المتكلم أو المحاجج بترتيب أجزاء هذا الخطاب حيث يضع كل جزء في موضعه المناسب فيبدأ بذكر الموضوع الذي يبحث فيه، ثم يأتي بأجزائه جزءا جزءا.

مع تقديم الأدلة والبراهين اللازمة لكل جزء، متدرجا في ذلك ببسط الحجج والبراهين اللازمة لكل جزء، بشكل تصاعدي من أضعف الحجج إلى أقواها ليصل إلى الخاتمة وفي هذا يقول أرسطو: «الكلام يتضمن جزئين إذ لا بد من ذكر الموضوع الذي تبحث فيه ثم بعد ذلك تقوم بالبرهنة ولهذا فمن المستحيل بعد ذلك الموضوع أن نتجنب البرهنة أو أن تقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا»[1].

وأولى هذه العمليات هي العرض والثانية الدليل ومن هذا ينتج الاستهلال والعرض والدليل والخاتمة ويشكل كلا من الاستهلال والخاتمة الكتلة العاطفية التي تخاطب الشعور وستهدف الاستمالة[2].

ويشكل العرض والدليل الكتلة البرهانية التي تخاطب العقل وتستهدف الإقناع.

---

[1] _ عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، ط:1، إربد الأردن، 2012، ص160.

[2] _ المرجع نفسه، ص 161.

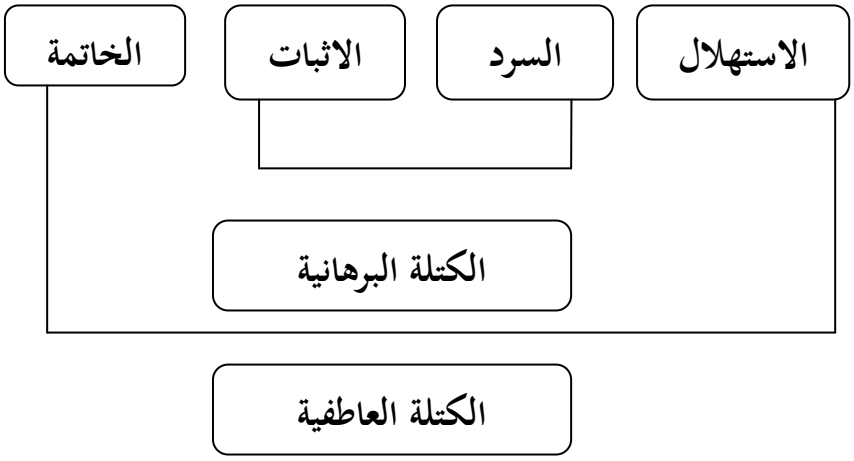

متبعا في ذلك ترتيب الحجج وتسلسلها لتدل في مجموعها على حجية الموضوع الذي طرحه، متجنبا في ذلك الانتقاص منها أو حذف بعضا منها لأن في ذلك ضعف لدعواه، ويكون هذا الضعف بقدر حذف أو إلغاء بعضها.

2-تقسيم الكل إلى أجزائه:

قد يذكر المخاطب حجّته كليّا في أوّل الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوّتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه، مثل: «الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب:72] والصلاة والسلام على النبي الأمي القائل في حديثه الشريف أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك وعلى آله أمناء سره وأصحابه، حماة وحيه، وحملة راية دعوته، أما بعد: فيا أيها المسلمون الأكارم: قال بعض العلماء: الأمانة هي لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وقال آخرون: الأمانة هي الإسلام، وقال ثالث: الأمانة هي رسالة محمد ﷺ، وهناك من قال: « أن الأمانة كل من ائتمنك الله عليه من قليل أو كثير، فهو سائلك عنه يوم العرض الأكبر »[1].

فهذه حجج متفرقة لتدلّ بمجموعها على معنى الأمانة التي ينبغي على الإنسانية عامة،

[1] _ عزيز ضياف، منبر الجمعة، مرجع سابق، ص 149.

والمسلمين خاصة الحفاظ عليها، فإن تم حذف تعريف لها باتت الأمانة غير واضحة المعالم فلا تمكّن السامع من فهمها وبالتالي الحفاظ عليها، فإذا حذف منها، فإنّ دعوى الخطيب تضعف، ويتنامى هذا الضعف فيها بقدر حذف أو إلغاء بعض الحجج أو التعاريف.

3 الصور البيانية:

أ –الاستعارة:

قد يلجأ المخاطب إلى استعمال الاستعارة لوثوقه بأنّها أبلغ من الحقيقة حجاجيّا، وهذا ما يجعلها تصنف ضمن أداوت السلم الحجاجي أيضا، إذ «تعرّف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكريّ أو العاطفي للمتلقيّ»[1]. وهو ما يودّ المخاطب تحقيقه، قال عروة بن الورد:

ثعالـــب في الحـــرب العـــوان، فـــإن تـــبخ وتنفـــرج الجلـــى، فـــإنّهم الأســـد.

فاستعمل عروة بن الورد استعارات حجاجيّة، لأجل وصف قومه في حالتي الحرب والسلم، فاختار لهم الوصف الذي يجعلهم في مرتبة أعلى من غيرهم، ولذلك نظر في السمات التي يمكن أن تحقق لهم ذلك، فوجد أنّها الدهاء والحيلة في الحرب فاستعار لهم كلمة ثعلب، والحرص مع الشجاعة في السلم فاستعار لهم كلمة أسد وبالتالي اختار مستعارا منه وأورده بلفظه في خطابه، وبهذا يمكن القول: «إنّ قوّة الحجاج في المفردات، فتبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسّه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي »[2].

وهذا يثبت مرونة العلاقات اللغويّة، إذ تستجيب للمخاطب في صياغة حجته في أوضح صورة، فلا يقف اختياره عند الحقيقة، وهذا ما جعل نظام الاستعارة ينبني على علاقات مرنة، ولذلك لا تصلح إلا في الخطاب الطبيعي، كما يقول الغزالي: «والمستعار ينبغي أن يجتنب في

---

[1] _ عمر أوكان، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، 2001م، ص 134.

[2] _ ميشيل لوجيرن، الاستعارة والحجاج، مجلة المناظرة، المغربة، السنة الثانية، العدد4، شوال 1411هـ/ مايو 1991م، ص 87-88.

البراهين، دون المواعظ، والخطابات، والشعر، بل هي أبلغ باستعماله فيها»[1].

ويفترض طه عبد الرحمن عددا من الافتراضات لبناء النظريّة التعارضيّة للاستعارة في الحجاج، وهي[2]:

1-أن القول الاستعاري قول حواري، وحواريته صفة ذاتية له.

2- القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيّته من الصنف التفاعلي .

3- القول الاستعاريّ قول عمليّ، وصفته العمليّة تلازم ظاهره البيانيّ والتخييليّ.

أن المخاطب يستعمل الاستعارة من خلال المعنى من حيث التأويل والإظهار، أو التبليغ والإضمار، وذلك بتدخل آليتي الإدعاء والاعتراض، فالوظيفة الحجاجية للاستعارة من حيث الإظهار هو إدعاء المخاطب في وجود المعنى الحقيقي للخطاب أي المطابقة بين المستعار منه والمستعار له، وأما الوظيفة الحجاجية من حيث التأويل تكمن في الاعتراض بإنكار المطابقة وهكذا...

وتكمن فعاليّة الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق، إذ تمثّل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللغوية، رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر. ويظهر التوجّه العمليّ للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، إذ تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المخاطب إلى الاقتناع؛ إذ يهدف إلى تغيير المقاييس التي يعتمدها المخاطب في تقويم الواقع والسلوك، وأن يتعرّف على ذلك من المخاطب ليكون سبب القول والتسليم وليس التخييل أو الصنعة اللفظية.

«وخلاصة الأمر أنّ الاستعارة من الوسائل اللغويّة التي يستغلّها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلّم بفرضية الطابع

---

[1] _ أبو حامد الغزالي، معيار العلم في المنطق، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م، ص 57.

[2] _ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص ص 310-313، وكذلك: ص ص 229-235.

المجازيّ للغة الطبيعيّة»[1].

ب –التمثيل:

هو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المخاطب من المحاججة وبيان حججه، وقد جاء عند الجرجانيّ: «أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلّية إلى صورته، كساها أبّهة، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر»[2].

وهذا ما يعمد إليه كثير من أهل البيان لبيان الحال، والإقناع بما يذهبون إليه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: 261-262] .

ضرب الله عزّ وجلّ لعباده الذين ينفقون أموالهم في سبيله مثلا لتضاعف الأجر لهم عنده كمثل الحبة من القمح التي تزرع في الأرض فتأتي بسبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، أي أن الأجر يتضاعف من الحسنة إلى سبعمائة حسنة والله يضاعف لمن يشاء، وفي هذا التمثيل حجاج يدعو إلى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله، كما يرغب الطامعين في الثواب والأجر من عنده سبحانه بأن الحصول عليه سهل من خلال الإنفاق في سبيله، وبالتالي فإن هذا التمثيل قد أتى بثماره بإقناع الناس والتأثير فيهم لينفقوا أموالهم في سبيل الله، وبهذا فقد ساهم التمثيل في إذكاء الحجاج وتفعيله.

4 ـ المحسنات البديعية:

يستعمل المخاطب المحسنات البديعية لتزيين كلامه، ولكن لا يقف دورها عند الوظيفة الشكليّة المتمثلة في تحسين الكلام بل لها دور حجاجيّ يهدف إلى الإقناع، حتى لو تخيّل النّاس

---

[1] ـ أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، العدد 4، شوّال، 1411هـ/مايه 1991م، ص 81.

[2] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروني الطبعة الأولى، 1411هـ، 1991م، ص ص 118-119.

غير ذلك، والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أنّ الحجاج من وظائف هذه الصور، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، وإن كان لا يمنع المخاطب من أن يبدع كيفما شاء. «وإذا أدركنا أنّ الآليّات القياسية التي تتحكّم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأن هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام، تبيّنا أنّ أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنّما هي أصلا، أساليب للإبلاغ والتبليغ»[1].

مثل مخاصمة أبي الأسود الدؤلي وامرأته عند زياد بن أبيه: «جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام، في ابن كان لها منه، وأراد أخذه منها، فسار إلى زياد وهو والي البصرة. فقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني، كان بطني وعاءه، وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتى إذا استوفى فصاله، وكملت خصاله، واستوكعت أوصاله، وأمّلت نفعه، ورجوت دفعه، أراد أن يأخذه منّي كرها، فآدني أيّها الأمير، فقد رام قهري، وأراد قصري. فقال أبو الأسود: أصلحك الله، هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظره في أوده، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله ويستحكم فتله، فقالت المرأة: صدق أصلحك الله، حمله خفا، وحملته ثقلا ووضعه شهوة، ووضعته كرها، فقال له زياد: اردد على المرأة ولدها، فهي أحقّ به منك، ودعني من سجعك، أو قال: إنّها امرأة عاقلة يا أبا الأسود، فادفع ابنها إليها فاخلق أن تحسن أدبه»[2].

ففي الخطاب السابق صور كثيرة كالطباق وذلك بين: خفّا-ثقلا، شهوة-كرها. فالمرأة هي صادقة في حججها، وبذلك الشكل البديعي استطاعت أن تغلب بحجّتها وتحتفظ بولدها.

ولا يقتصر المخاطب على توظيف المفردات في حجاجه، بل يتجاوزه إلى توظيف ما هو أكبر، فهاهو الفضيل بن عياض أيضا استطاع أن يحاجج من سأله، وان يثبت الدعوى بأنهم أزهد منه باستعماله ما هو أوسع من الطباق، أي باستعماله المقابلة في قوله: «قيل للفضيل بن عياض:

---

[1] _ طه عبد الرحمن، مرتاب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب، العدد التاسع، (1987م)، ص 18.

[2] _ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب: العصر الأموي، مرجع سابق، ج2، ص 394.

ما أزهدك؟ قال: أنتم أزهد منيّ، قيل: كيف؟ قال: لأنيّ أزهد في الدنيا وهي فانية، وأنتم تزهدون في الآخرة وهي باقية»[1].

إذ قابل بين الدنيا الفانية-الآخرة الباقية.

وختاما فإن اللغة تمتلك أدوات كثيرة وآليّات متعدّدة تسهم في بناء الخطاب حجاجيّا بما يتناسب مع السياق، فيختار المخاطب ما يفي بقصده ويحقق هدفه الإقناعي، إذ أنها تتوفر على إمكانات لا حصر لها، يمكن أن يستعملها المخاطب في حجاجه، طبقا لمقتضيات السّياقات التي يتلفظ بها في خطابه.

خلاصة الفصل الأول :

مما سبق ذكره يمكن أن نستخلص ما يلي:

-تركز مفهوم الحجاج في المجادلة والمخاصمة بغية التأثير والإقناع ومن ثم الإذعان لتغيير رأي أو سلوك في المتلقى.

-تبيّن أن الحجاج هو ممارسة خطابية اجتماعية عقلية تستهدف التأثير والإقناع.

-ارتباطه عبر مساره التاريخي بعدة مصطلحات كالجدل والمناظرة والحوار...

- كان ممثلا في البلاغة منذ القدم فعند أرسطو شكلت جهوده نقطة تحول كبرى في نظرية الحجاج حينما تحققت المفارقة النهائية مع الحجاج السفسطائي إذ جعل الحجاج قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة.

-أما عند العرب فلم يكن الحجاج أرسطيا ولكن كان قوامه البيان والإفهام باستخدام البلاغة التي اهتمت بالمباحث الحجاجية واستراتيجيات الإقناع وآلياته.

-كما اهتم اللغويون والمفسرون والأصوليون والفلاسفة بممارسة الحجاج اهتماما كبيرا حتى ظهر علم جديد اختص بقضايا المجادلة والحجاج وآدابهما وشروطهما سمي بعلم المناظرة.

أما الحجاج في العصر الحديث عند الغرب فقد تنوعت منطلقاته وتوجهاته بمنأى عن الخطابة

---

[1] _ أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مرجع سابق، ج2، ص 548.

والجدل الأرسطي وإنما هو من منظور فلسفي قام على إحياء بلاغة الحجاج والاقناع عند أرسطو بما سمي بالبلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتيكا، أو من منظور منطقي مثل نظرية تولمين، أو من منظور لساني مثل نظرية ديكرو واكسمبر.

فأما بيرلمان فقد اهتم بالتقنيات اللغوية والبلاغية والمنطقية التي تدفع بالعقول إلى الإذعان.

-أما تولمين قام بتحويل المنطق الصوري إلى منطق عملي بعيدا عن المنطق الرياضي الصوري وركز في هذا على وظيفة التبرير في الحجاج على اعتبارها الوظيفة الأصلية وما دونها فهو ثانوي.

-أما ديكرو فكانت نظريته الحجاجية مركزة على اللغة باعتبار أن الحجاج قائم فيها، إذ أن كل بنية لغوية تمتلك في ذاتها قوة حجاجية وقد جمع بين معنى الجملة وبين استعمالها في السياق (المجال التداولي).

أما ميتشال ماير فكانت نظريته تتميز بارتباطها بالثلاثية بلاغة، تداولية، فلسفة استشكالية مبنية على سؤال جواب، حيث أن المتلقي يقدّر ضمنيا السؤال انطلاقا من السياق فيكون الجواب حجة قائمة بذاتها.

وأخيرا اهتم المبحث من هذا الفصل الأول بالآليات والإمكانات اللغوية التي يمكن أن تقدمها لأداء الفعل الحجاجي، ولا يمكننا حصر كل الإمكانات لأنها واسعة جدا بشساعة هذه اللغة، وإنما قدمت بعض الآليات، وضربت لها بأمثلة حتى يتضح للقارئ فهم ما يمكن للغة أن تقدمه من إمكانات تسهم بها في إذكاء الحجاج وتفعيله.

الفصل الثاني:

الحجاج بالاستدلال والشرح والتفصيل

المبحث الأول: التعريف بالمدونة مدار الدراسة

المبحث الثاني: الحجاج بالاستدلال العقلي

المبحث الثالث: الحجاج بالشرح والتفصيل.

المبحث الأول: التعريف بالمدونة مدار البحث والدراسة:

ازدهرت الكتابة الديوانية في عهد بني عباس ازدهارا كبيرا، وبلغت مبلغا عاليا من الجودة والإتقان، ومستوًا رفيعا في الأسلوب والبلاغة ولعل السّر في ذلك أنها كانت تحضى باهتمام كبير، واحترام وتقدير من عامة الناس وخاصتهم ، كما أنها كانت طريقا إلى المناصب العالية، فالكاتب في الديوان قد يصبح رئيسا له، وقد يتدرج في منصبه إلى أن يصير واليا على إحدى الجهات أو يرتقي إلى الوزارة.

فتوسع الدولة العباسية أدى إلى توسيع الدواوين وتخصصها مما دعا إلى تنافس الكتّاب والعاملين فيها فهناك ديوان للخلافة وديوان للخراج وآخر للرسائل وغيرها.

ولعل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى إثراء الكتابة وبروز أهميتها وفي هذا أورد لنا بن عبد ربه أقوالا لعدد من أعلام العصر العباسي فمن ذلك قول بعضهم «كُتاب الملوك عيونهم الناظرة وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة ، والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهي صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة»[1].

وقال سهل بن هارون: «الكتابة أول زينة الدنيا التي إليها يتناهى الفضل وعندها تقف الرغبة»[2].

وقد تميزت الرسائل الديوانية في العصر العباسي بنمطين مختلفين الأول منهما كان يُحتدى به بما كانت عليه الرسالة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدون حيث كانت رسائلهم تمتاز بالوضوح وتحري الإيجاز والدقة في التعبير.

كما سبق وأن بينّا ذلك في التمهيد

أما النمط الثاني فقد أخذ به بعض الكتّاب في هذا العصر وذلك بميولهم إلى الإطالة والإسهاب والمبالغة في التأنق.

حيث أضيف إلى الاستهلال بالقول: «من فلان إلى فلان»، التحميد والصلاة على النبي

---

[1] _ ابن عبد ربه: العقد الفريد، مصدر سابق، ج4، ص 232.

[2] _ المصدر نفسه، ص: 232.

ﷺ والمبالغة في الإطالة فيهما حتى بلغ صفحة كاملة أو عدة صفحات ناهيك عن الموضوع والخاتمة.

ولعل مدونتنا التي اخترناها للبحث والدراسة الحجاجية فيها كانت عبارة عن رسالة مطولة من هذا النمط وعلى هذا المنوال.

أولا ـ التعريف بمرسل الرسالة وكاتبها والمرسل إليه:

1–التعريف بصاحب الرسالة (هارون الرشيد):

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور وأمه هي الخيزُران وهي جارية تسرى بها أبوه وله منها أخ هو موسى الهادي وأخت هي الباذوقة ولد سنة 145هـ بالرّي، ولما شبّ كان أبوه يرشحه للخلافة فولاّه مهام الأمور فجعله أميرا للصائفة سنة (163 هـ) وفي سنة (164 هـ) ولاّه المغرب كله من الأنبار إلى أطراف إفريقية فكانت الولاة تُرسل من قبله، وفي (سنة 166هـ) جعله أبوه وليا للعهد بعد أخيه موسى الهادي إلا أن في سنة (169هـ) وهي سنة وفاة أبيه محمد المهدي أراد أن يقدمه على أخيه للخلافة لما ظهر له من شجاعته وعلو شأنه ونباهته وقدرته على مقاليد الحكم وتمكنه منه لكن المنية حالت دون ذلك[1].

بويع الرشيد بالخلافة يوم وفاة أخيه موسى الهادي في 14 ربيع الأول سنة 170هـ (14 سبتمبر 786م) وسنه 25سنة.

كان أبيض البشرة متدينا ورعا محافظا على التكاليف الشرعية متمسكا بنصوص الكتاب والسنة، يصلي في اليوم مائة ركعة كان يغزو عاما ويحج عاما وإذا حج حج معه مائة فقيه وإذا لم يحج أحجّ ثلاثمائة شخص بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة وحجّ ماشيا ولم يحج خليفة ماشيا غيره، كما أنه لم يهمل الحياة العائلية[2].

---

[1] _طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، ط: 1،المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي،ج1،ص: 85.

[2] _ المرجع نفسه، ج1، ص: 86.

يحب الشعر والأدب والفقه ويقرب الشعراء والفقهاء والأدباء والمغنيين ويكرمهم شجع حركة التعريب ويكره المراء في الدين، اتسمت جلساته الليلية بالمناقشات الفكرية الرفيعة التي ميزته عن سائر الخلفاء.

فشكّل عصره الثقافة والعلم والأدب والشعر والفكاهة والترف والتنوع في اختيار السلع والبضائع مما جعل بغداد كعبة رجال العلم والأدب فكان الرشيد من أوسع الخلفاء العباسيين شهرة فقد تجاوزت بلاد الشرق إلى أن وصلت إلى الغرب حيت تناولها المجتمع الغربي بالتحليل والدراسة وحاول بعض ملوك أوروبا التقرب منه واكتساب مودته فهو سياسي بارع فيه عزم جده المنصور وعنفه وأساليبه مع مرونة واضحة وسخاء بالمال والنفس لاصطفاء الناس، شديد الاهتمام بشؤون الرعية يطوف الأسواق ويغشى المجالس متنكرا ليقف على أحوال الناس، شديد الإحساس حاد المنهاج سريع التأثر يثور غضبا ويفرط في الانتقام وترق عواطفه فيبكي ويظهر رحمة متناهية وعطفا كبيرا[1].

عاصره في الأندلس الأمير عبد الرحمن الداخل (138، 172) تم هشام بن عبد الرحمن (172هـ، 180هـ) تم الحكم بن هشام (180، 206).

وفي المغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابن طالب (172هـ، 177هـ).

وعاصره في فرنسا شارل الكبير المعروف ب شارلمان (767م-814م)

وعاصره كذلك في مملكة الروم بالقسطنطينية قسطنطين السادس (780م، 797) [2].

حيث قام الخليفة هارون الرشيد (786-790م) بإرسال رسالة إلى ملك الروم قسطنطين السادس الذي تولى مُلك الروم سنة 780م يدعوه فيها للإسلام وللإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، كتبها له أبو الربيع محمد بن الليث فمن يكون ؟

---

[1] طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 87، 88.

[2] _ المرجع نفسه، ص: 89.

2-التعريف بكاتب الرسالة (أبو الربيع):

هو محمد بن الليث الخطيب صاحب الرسائل، وهو ابن أدرباد بن ميروز بن شاهين بن أدرهرمز ساروشان بن يَهمَن بن أفرندار ويتصل نسبه إلى دارا بن دارا الملك، يكنى أبا الربيع.

له عدة رسائل مجموعة، كتب ليحي بن خالد البرمكي، وكان له ولاء بنو أمية، ويعرف بالفقيه، وكان بليغا مترسلا وكاتبا فقيها ومتكلما بارعا، يقال أنه من أسمح خلق الله فكانت البرامكة تقدمه وتحسن إليه، له من الكتب: ـ كتاب الهليلجة في الاعتبار

ـ كتاب الرد على الزنادقة

ـ كتاب جواب قسطنطين عن الرشيد

ـ كتاب الخط والقلم

ـ كتاب عظة هارون الرشيد

ـ كتاب يحي بن خالد في الأدب.

وكان لأبي الربيع ميل على الروم، وكان متهما بالزندقة مما جعل البرامكة تبغضه[1].

فذكر بن الجوزي طرفا من موعظة محمد بن الليث للرشيد، قال تمامة بن أشرس: «فرفع محمد بن الليث رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ويقول: إن يحي بن خالد لا يغني عنك من الله شيئا وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف أنت إذا وقفت بين يدي الله، فسألك عما عملت في عباده وبلاده فقلت استكفيت يحي أمور عبادك، أتراك تحتج بحجة يرضاها ؟، مع كلام فيه توبيخ وتقريع، فدعا الرشيد يحي وقد تقدم إليه خبر الرسالة فقال: أتعرف محمد بن الليث ؟ قال: نعم، قال: فأي الرجال هو ؟ قال متهم على الإسلام، فأمر به فوضع في الحبس دهرا، فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه فأحضر، فقال له بعد مخاطبة طويلة: يا محمد أتحبني ؟ قال: لا والله يا

[1] ـ ابن النديم، الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 181.

أمير المؤمنين، قال: أتقول هذا، قال: نعم، وضعت رجلي في الأكبال، وحُلت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت ولا حدث أحدثت سوى قول حاسد يكيد للإسلام وأهله، ويحب الإلحاد وأهله، فكيف أحبك ؟ قال: صدقت، وأمر بإطلاقه ثم قال: يا محمد أتحبني ؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ولكن ذهب بما في قلبي فأمر أن يعطى مائة ألف درهم فأحضرت فقال: يا محمد أتحبني ؟ قال: أمّا الآن فنعم، فقد أنعمت علي وأحسنت إلي، قال انتقم الله ممن ظلمك وأخذ لك بحقك ممن بعثني عليك "[1].

3-التعريف بقسطنطين السادس الذي وجهت إليه الرسالة:

هو الابن الوحيد ل: ليون الرابع ملك بيزنطة وأمه إيرين أتينا ولد سنة 771م بالقسطنطينية تولى العرش بعد وفاة أبيه لكن تحت وصاية أمه التي كانت تدير الحكم بدلا عنه حتى يبلغ السن القانونية تزوج "ماريا تيودور" «استلم الحكم سنة 786 م تعرض للعمى بمؤامرة حاكتها أمه ضده وهذا بعد قراره الخروج على الرشيد توفي بعدها بمدة قصيرة سنة 805 م» [2].

ثانيا ـ أسباب كتابة الرسالة:

كانت الملكة "**إيرين أتينا**" «الوصية على عرش روما إلى أن يبلغ ابنها قسطنطين السادس السن القانونية لتولي العرش فكانت امرأة في غاية الحسم حتى أن المؤرخين قالوا لو أنها كانت تملك القدرة على قيادة الجيوش لتغير مسار التاريخ الروماني، وكانت في نفس الوقت لها طموحات ليس لها سقف، حتى أنها سملت عيني ابنها ليخلو لها الطريق نحو الصعود إلى القمة والاستمرار في حكم الدولة البيزنطية».[3]

هذه الملكة كانت تعرف جيدا أنه لا قدرة لها أمام القوات الإسلامية في عهد هارون الرشيد

---

[1] _ طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج1، ص:89.

[2] _ المرجع نفسه، ج1، ص 89.

3 ــ المرجع نفسه، ج1، ص: 90.

ومن ثم قررت أن تهادن المسلمين وأن تدفع لهم الجزية لأنها خسرت عدة معارك معهم فهي تعرف سلفا أنها لن تستطيع أن تحوز النصر عليهم، ولربما دفعتها المغامرة إلى خسائر هي في غنى عنها، ولكن ابنها لما بلغ الرشد واعتلى العرش لم يكن على قدر كاف من الحنكة السياسية والتدبير الحكيم للحكم واعتقد أن هذه الجزية التي يدفعها للرشيد فيها من الإذلال ما يكفي لنقضها وأن يواجه الجيوش الإسلامية، كما خيل له أنه يستطيع أن يوقف الانتصارات التي يحرزها المسلمون في المعارك التي خاضوها حتى أنهم سيطروا سيطرة تامة على جزر البحر الأبيض المتوسط.

ولكن غروره وعدم تقديره للأمور سول له أن يقف في وجه هارون الرشيد، فقرر إلغاء الاتفاقية القائمة بينهما ورفض إعطاء الجزية للرشيد بل لم يقف عند هذا الحد فخرج بجيشه لمواجهة الرشيد ضنا منه أنه بذلك سيعيد الهيمنة للإمبراطورية البيزنطية التي لم تكن تخل من الفتن الداخلية فيكسب مجدا من ناحية ويقضي على هذه الفتن من ناحية أخرى[1].

ولما كانت حكمة المسلمين من عهد النبي ﷺ ألا يواجهوا أحدا أو يقاتلوا عدوا حتى يدعوه للإسلام ويبينوا له معالم هذا الدين بالحجة البالغة وبالبرهان الساطع وبالآيات البيّنات فإن سمع وأطاع أمن وسلم وإن أبى وتولى واجهوه بالحرب والقتال، فجاءت هذه الرسالة داعية إلى دين الله الذي اختاره للناس أجمعين، هادية لهم إلى الطريق السوي المستقيم الذي يقوم على توحيد الله عزّ وجلّ ونبذ الشرك والإيمان بمحمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين نذيرا وبشيرا وسراجا منيرا بالمحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، حاملة في طياتها البيّنات العظمى والعلامات الكبرى على صدق نبوته وثبوت رسالته، محذرة من مغبة مخالفة العهود والمواثيق ومقاطعة المهادنات ودفع الجزيات.

ولكن الملكة «إيرين «ذات الشخصية الطموحة لا تريد أن تتنازل عن السلطة ولا أن تسلم القسطنطينية إلى الرشيد، وحتى تحافظ على الهدنة فقد حاكت مؤامرة أطاحت بابنها قسطنطين السادس ولم تتركه يركب رأسه ولم تراع بذلك أنه ابنها، فقد أعماها حب السلطة على كونها أمًّا

[1] _ طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق،ج1، ص 90.

فقررت أن تسمل عيني ابنها بعد خروجه مما اجبره الحال على العودة خائبا آخذة منه السلطة فحكمت البلاد تحت اسم الإمبراطورة "أوجستا "وهادنت الرشيد ودفعت له الجزية»[1].

وذكر القاضي عبد الجبار في كتابه «تثبيت دلائل النبوة «بيانا لظروف تأليف هذا الكتاب (الرسالة) ومحتواه فقال: «وقد كان هارون الرشيد ضغط الروم وحاصرهم في بلادهم، وأذلهم إلى أن أدوه الجزية واتقوه بها فأخذها منهم وكتب إليهم كتابا بين لهم توحيد الله وانفراده بالقدم، وصدق نبيه محمد ﷺ وذكر فيه قطعة كافية حسنة من أعلام النبوة... والكتاب من إنشاء أبي الربيع محمد بن الليث الكاتب القرشي... وقد ذكر في هذا الكتاب آية الشهب وانقضاض الكواكب واستوفى الحجة فيها [2]».

والمتصفح للرسالة يستشف سبب كتابتها إذ تطالعه في المقدمة أن سبب كتابتها هو الدعوة إلى سبيل الله كما أمر الله جلّ وعلا نبيه ﷺ بذلك والمؤمنون بالحكمة والموعظة الحسنة والنصح والتوجيه لما فيه من الخير والنفع في دنياهم وآخرتهم، فجاء في قوله:

«**فرأى أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله أن يكون إلى سبيل ربه داعيا، وبرسوله ﷺ متأسيا وبقوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت:33] **موافقا، وكنت من كتب الله المنزلة، وآياته المفسرة، وخلقه الكثير، حيث رجا أمير المؤمنين إسماعك لموعظته، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم قد بؤت بأوزارهم إلى وزرك، واحتملت من آثامهم إلى إثمك، فأحبّ أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله"**[3].

إلا أنه ورد في آخرها أن سبب كتابتها هو نقض العهد والاستخفاف بالمواثيق والتهاون في

---

[1] _ طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص: 25.

[2] _ القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، مرجع سابق، ص: 45.

[3] _ أنظر الملحق : ص: 1

أداء الجزية من قبل ملك الروم قسطنطين السادس بل جرأته على الله في أداء حقه واستهزائه بأمر المسلمين، فورد فيها قوله: «**ألاّ إن أعجب عذركم وأفظعه كان عند أمير المؤمنين، إذ بلغه جرأتكم على الله عزّ وجلّ في نقض عهده، واستخفافكم بحقه في خفر ذمته** "[1].

فجاءت هذه الرسالة ساخطة ومعاتبة ومعنفة لما بدر من ملك الروم من نقض للعهد ومخالفة للمواثيق آملة وراجية في نفس الوقت عدوله عماّ ذهب إليه من خلال ما قدمه إليه من حكمة واعية وحجة بالغة وموعظة حسنة وآيات بينات وعلامات واضحات، فقد جاء فيها قوله: «**ثم أمير المؤمنين بخاصة، لما جعل الله عليه رأيه، وفيه نظره من البر والرحمة والإقساط والوفاء بالعقود والعهود والشروط، نظرا لدينه، وخوفا من ربه، ولما قذفه الله في قلبه وقلوب المؤمنين من المحبة والطاعة والأثرة** »[2].

ثالثا –قراءة في فحوى الرسالة:

بدأت الرسالة بذكر من كتبها وإلى من أرسلت إليه (من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم).

ثم بإلقاء السلام (السلام على من اتبع الهدى).

ثم أتبعت بحمد الله وشكره والثناء عليه وتوحيده وإجلاله وتعظيمه وتعاليه عن الخلق أجمعين في كل شيء.

أما بعد: تمهيد ذكر فيه سبب إرسال هذه الرسالة إلى عظيم الروم وهو بغية الهداية والانتفاع بها والدعوة إلى كلمة سواء ألّا نعبد إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وعدم اتخاذ عيسى عليه السلام إله من دون الله والانتهاء عن التثليث.

ويمكن تقسيم محتوى هذه الرسالة إلى أفكار أساسية ثلاث هي كالآتي:

---

[1] _ أنظر الملحق: ص:48

[2] _ أنظر الملحق :ص :50

الفكرة الأساسية الأولى: الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ونبذ الشرك والتثليث ، وذلك من خلال ما يراه كل إنسان من حوله من مخلوقات الله ، من سماء وأرض ، وليل ونهار ، وفلك تجري في البحر ، وماء ينزل من السماء يحيي الأرض بعد موتها ، وما يقابل ذلك في خلق الإنسان نفسه من أعضاء وأجهزة وأطراف متماسكة متآلفة تجعل الصنعة واحدة ليس فيها من تفاوت توحي بأن الخالق واحد لا شريك له .

الفكرة الأساسية الثانية : إثبات صدق نبوة محمد ﷺ انطلاقا من عدة دلائل وحجج كقضية الرجوم والنجوم وحراسة السماء واستراق السمع ، وقضية أمية النبي ﷺ وثقته بنصر الله له رغم اجتماع الأحزاب عليه وهو وأتباعه في أضعف حال وأسوء بال وغيرها ....

الفكرة الأساسية الثالثة: إثبات وحدانية الله تعالى بنفي التثليث وربوبية عيسى عليه السلام وذلك بجملة من الحجج والبراهين المستوحاة من التوراة والإنجيل ومعجزات الأنبياء السابقين .

واختتمت الرسالة بتجديد الدعوة إلى وحدانية الله مع التهديد والوعيد بالحرب في حال رفض دفع الجزية ، وأمل كبير في القبول والتسليم .

ويمكننا إبراز هذه الحجج بتقسيم الرسالة إلى فقرات تحمل كل واحدة منها حجة متكاملة مستقلة في حد ذاتها مشكلة مع غيرها قوة حجاجية كبيرة وبراهين ساطعة وحجج قاطعة لا يردها قلب نابض ، ولا عقل راجح ولا صاحب رأي صائب وذلك كما يلي :

-الفقرة الأولى:

من قوله: «فإن الله جل ثناؤه، وتباركت أسماؤه... إلى قوله: فإن ذلك فكرا للمبصرين، وبصرا للمعتبرين، وذكرا للعابدين والحمد لله رب العالمين».

الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وعدم الاشتراك به مبينا ذلك بالحجة البالغة والبرهان الساطع مما يراه الإنسان ويشاهده من ملكوت الخلق من سماء وأرض وليل ونهار وفلك تجري في البحر فيها نفع للناس وماء ينزل من السماء يحي الأرض بعد موتها ودواب كثيرة بثها الله فيها وسحاب

مسخر ورياح مصرفة وما يقابل ذلك في خلق الإنسان نفسه من أعضاء وأجهزة وأطراف متماسكة متحدة متآلفة تجعل الصنعة واحدة ليس فيها تفاوت توحي بأن الخالق واحدا لا شريك معه ولا ندّ له.

ـ الفقرة الثانية:

من قوله: « وأمير المؤمنين واصف لكم ومقتص من ذلك إن شاء الله عليكم.... إلى قوله: وهو على ثقة من أمره ويقين من حاله ».

انتقل في هذه الفقرة من البرهان على وحدانية الله والدعوة إلى نبذ الشرك، إلى سرد دلائل صدق نبوة محمد ﷺ . وذلك باعتباره تبعا لما سبقه من الأنبياء والرسل فهو امتداد لهم ومكمل لرسالتهم ومتمم لها، محتجا على ذلك باختيار الله له واصطفائه فلا يزال يرعاه ويتعهده بالآباء الأخاير والأمهات الأطاهر حتى أضحى خير خلق الله أدبا وأعظمهم شرفا وأعزهم قدرا، ومن كان هذا وصفه يستحال منه ادعاءه النبوة من غير حق.

ـ الفقرة الثالثة:

من: «وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في أفاق الأراضي القاطعة لحجج المبطلين.... إلى: قوله: بل كيف والمنجم يقيس ويخطئ ويشك فيما يدعي وهو أخو صواب لا شك فيه وفارس صدق لا قياس معه».

في هذه الفقرة أراد أن يبرهن على صدق نبوة محمد ﷺ بآية النجوم إذ بين لهم بان الشياطين كانت تسترق السمع وتحتفظ العلم وتتنزل على كل أفاك أتيم من السحرة والمشعوذين ليضلوا الناس عن الهدى والحق فحينما أنزل الله وحيه على رسوله حرست السماء بالنجوم ورميت الشياطين بالشهب وانقطعت بذلك الأباطيل وزالت الأكاذيب.

وقد عزّز حجته بأمرين اثنين أولهما: أمية النبي ﷺ إذ أن سيرته وحياته كانت تشهد له بأنه لم يكن صاحب علم ولا طالب معرفة وكانت العرب أدرى الناس بأمر النجوم.

وثانيهما: كيف له أن يترك ما يراه ماثلا أمامه من أمور الدنيا والأمم ويذهب إلى السماء ليدعي فيها ما أدعى من أمر الشهب والنجوم وهو بعيد عن علمها جاهل لأمرها إن لم يكن ذلك وحي من الله تعالى إليه.

ـ الفقرة الرابعة:

من قوله: «ومن ذلك أنه إذا قالت العلماء من المسلمين كان نبينا محمد ﷺ عالما بباطن أخبار النبيين وخفي قصص القرون الأولين حتى قوله: فاتق الله ولا تكن من الجاحدين ».

أراد أن يبين أن النبي ﷺ علمه ربه ولم يتعلم من أحد إذ أنه لو تعلم على يد الشيطان لما هداه لهذا لأن الشيطان لا يريد إلا غواية الناس وإضلالهم، ولو أنه كان ذا بلاغة وفصاحة عالية لما يقول من كلام أوحاه الله إليه لما عجزت العرب على الاتيان بمثله ولما اعترفت بإعجازه، ولو أنه أخذ العلم عن رجل من العرب كان يتدارس معه لعلمت به العرب ولما خفي ذلك عنهم فإنه عاش بين أظهرهم يعلمون أحواله وأفعاله فلا سبيل لما جاء به إلا الوحي الإلهي الذي نزل به الروح الأمين.

ـ الفقرة الخامسة:

وتبدأ من قوله: « ومنها أنه إذا قالت الفقهاء والحكماء: أتانا محمد ﷺ بكلام لم تسمع الآذان بمثله... إلى قوله: ولا يخالطها ريب إن شاء الله تعالى ».

وفيها احتج على صدق نبوة محمد ﷺ بالقرآن الذي أعجز العرب فصاحة وبلاغة فكان مخالفا تماما لكلامهم رغم أنه نزل بلغتهم ذلك لأنه كلام الرب المخالف للخلق أجمعين، كما أنه احتج بالمعجزات المادية التي كانت للنبي ﷺ كإطعام الجموع الكثيرة بالأطعمة اليسيرة، وشجرة ناداها فأقبلت ثم أمرها فرجعت، وبعير تظلّم وغيرها... كما حدثت من قبل عند الأنبياء السابقين مثل موسى وعيسى عليهما السلام لاهي بسحر السحرة ولا تكهن الكهنة.

ـ الفقرة السادسة:

من: «ومن ذلك أنه إذا قال المسلمون: ما من فعال محمود ولا مقال معروف ولا خلق كريم

ولا أدب فاضل.... إلى قوله: أن يقولوا أن محمدﷺ غلب العرب وقهر العجم أو قال في أمر السلطان والنجوم بكذب»

أراد أن يبين فيها أن ما اتسم به النبي ﷺ من خلق كريم وأدب رفيع وخصال محمود إنما هو حجة وبرهان على صدق نبوته وصلاح رسالته إذ أن الله تعالى هو الذي تكفل بتأديبه حيث قال: «أدبني ربي فاحسن تأديبي» مفندا بذلك أقاويلهم بأنه حمل نفسه على هذه الأخلاق وصبر عليها طلبا للدنيا وهو أزهد الناس فيها حبّا في الآخرة وقد جعل نفسه أسوة للمسلمين، وطلبا للملك والنعيم فكان أيبس الناس معاشا وأخشنهم ريشا، وطلبا للصوت والذكر الحسن فقد لاقى العقوق والقذف بالجنون والسحر والكذب، وتوطئة للولاية لأقاربه فكيف يطلب لقومه ما زهد هو فيه.

ـ الفقرة السابعة:

من قوله: « فإن قلتم أن محمد ﷺ كان في قوة عقله وبيان فضله على ما قلنا وقلتم حتى قوله: فكن لهذا من الحافظين وفيهما المفكرين».

عاد فيها الكاتب لهذه الرسالة إلى التفصيل في آية الشهب والنجوم بالآيات القرآنية التي تؤكد ذلك وتبرهن عليه وتزيل اللبس والشك وتؤيد صدق نبوة محمد بما بيّن لهم، فما نازعه في ذلك عرب ولا عجمﷺ

ـ الفقرة الثامنة:

من قوله: «ومن آيات النبي ﷺ أنه لما نفرت القبائل من أعلام الشرك بمجموعها وتداعت القادة من صناديد الكفر بأتباعها...إلى قوله: ما كان الله عز وجل ليقتص على المسلمين في أنفسهم إلا ما قد رأوه بأعينهم».

في هذه الفقرة أراد الاحتجاج على صدق نبوة محمد ﷺ بما وقع من معارك وأحداث خاضها النبي ﷺ وأصحابه ضد الأعداء من الكفار والمشركين والأحزاب بدأ من غزوة بدر إلى أحد إلى غزوة الخندق وهي أحداث وقعت فعلا لا ينكرها أحد ولا يجحدها جاحد.

ـ الفقرة التاسعة:

من: «واعلم أن من أعظم الآيات وأبين الدلالات على نبوة محمد ﷺ وأنه ليس يتقول شيئا من تلقاء نفسه.. إلى قوله: فاحسن النظر في فهم معانيه ينكشف لك عما فيه إن شاء الله».

هنا استدل بقوله ﷺ: «إن الله عز وجل سيظهر ديني على الدين كله» أي على نبوته ﷺ فكيف له أن يقول هذا وهو موقن بذلك وهو يرى من حوله جنود كسرى وجموع الروم وملوك الشرك وصناديد الأمم لا شك أن الله تعالى هو الذي أوحى إليه ذلك ووعده به

ـ الفقرة العاشرة.

من قوله: «ومن أبين آياته وأدل علاماته ﷺ ووسع له فيما صدر إليه أنه لما أخبرت النصارى واليهود... إلى قوله: وأخذتم عنهم بلا حجة لكم ولا قوة معكم إلا الاقتداء بالآباء والإتباع للآثار».

في هذه الفقرة أراد أن يبرز ويظهر صدق نبوة محمدﷺ بما ورد عنه عند اليهود والنصارى في كتبهم من أخبار هذا النبي ﷺ، وعلماؤهم يعرفون ذلك ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم بكل نعوته وصفاته ولكنهم يكتمون ذلك حسدا من عند أنفسهم.

ـ الفقرة الحادية عشرة:

وتبدأ من: « فاتق الله في نفسك واتهم الرجال على دينك....إلى قوله: فاتق الله إن كنت إماما وقائدا لأهل ملكك لا تقدمهم إلى النار فتحمل أوزارا مع وزرك».

في هذه الفقرة أراد أن يبرهن على أن القرآن لم يحرف ولم يتعرض لزيادة أو نقصان كما حدث للكتب السابقة لأن الله عز وجل تكفل بحفظه فهيأ له رجالا مخلصين عدول نقلوه بكل ثقة وأمانة جيلا عبر جيل.

ـ الفقرة الثانية عشرة:

من قوله: « فإن من أبين آيات الوحي وأدل علامات النبي ﷺ أنه لا يبتدع في الدين أمرا من تلقاء نفسه... إلى قوله: ولا بأمر الفيل من المكذبين».

حيث احتج على صدق نبوته ﷺ بأن القرآن كان يأتيه بما يخالف حال النبي ورغبته فإنه لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف بمحض إرادته ولكن الله عز وجل هو المتصرف مستدلا بذلك بعدة آيات: كآيات تغيير القبلة وآيات الأعمى وزوج زيد وغيرها....

ـ الفقرة الثالثة عشرة:

من قوله: « فلعمر الله لو كان من أمر النبي ﷺ ما تلحد أنت وقومك إليه لما قام معه رجلان...إلى قوله: لا تمتنع العقول من التصديق ولا القلوب من الإقرار به».

في هذه الفقرة أراد أن يحاجج ويجادل أهل الكتاب في أمر الله تعالى والمسيح من قولهم ابن الله والتثليث وغيرها ليدحض حجتهم ويظهر كذبهم فلا يستنكف المسيح بن مريم ولا أمه أن يكونا عبدان لله تعالى فهنا عاد إلى الاحتجاج في أمر وحدانية الله تعالى كما بدأ رسالته.

ـ الفقرة الرابعة عشرة:

من قوله: «وسيذكر لك أمير المؤمنين من علامات النبي ﷺ في الثوراة والانجيل ما يكفي به إلى قوله: فاعبدوني فإني ربكم، تعالى الله عمّا يقول الظالمون، ويذهب إليه الجاحدون».

فهنا يحتج بما ورد في الثوراة والانجيل من آيات تدل على صدق نبوة محمد ﷺ وحدانية الله وتعاليه بما يشركون وأن عيسى عليه السلام إنما هو عبد الله ورسوله.

ـ الفقرة الخامسة عشرة:

من قوله: « وإن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك في أول درابك... إلى آخر الرسالة».

جدد له فيها نصحه ودعوته إلى دين الله وإلا فعليه دفع الجزية محذرا إياه من عدم دفعها

مهددا له بقومه الذين يفضلون الانتماء والانطواء تحت راية الإسلام من الانطواء تحت رايته لما يجدونه من أمن ورغد عيش وراحة بال في كنف الإسلام وهي حجة بالغة على بطلان اعتقاده وزيف دينه المحرف فإن أبى فالسيف هو الفاصل في الأمر.

كما أن هذه الفقرات تعد بمثابة حجج متتالية مرتبة ترتيبا يدعم بعضها بعضا ويقويها حتى صارت برهانا ساطعا، وحجة بالغة لا ينكرها عقل حصيف، ولا تردها نفس سوية، ولا يجحدها إنسان عاقل.

لما تولى قسطنطين السادس الحكم على مملكة بيزنطة من أمه التي كانت تحكم بدلا منه لأنه لم يبلغ سن الرشد آنذاك، وكانت قد أجرت الهدنة وأبرمت المواثيق والعهود مع أمير المؤمنين هارون الرشيد على دفع الجزية، قام برفض ذلك كله والخروج عنه، فنبذ كل ما كان بين أمه وبين هارون الرشيد، وجهز جيشا لمواجهة المسلمين .

فلمّا بلغ الأمر إلى هارون الرشيد ما كان عليه سوى أن يرسل إليه رسالة يدعوه فيها للرجوع والعدول عمّا عزم فعله، ويذكره بما كان بينهم من هدنة وسلم، وعهود ومواثيق، ويحذره من مغبة ما هو مقبل عليه من العصيان والخروج، وما سيؤول إليه الحال من السلم ورغد العيش الذي يتمتع به هو وقومه تحت حماية المسلمين إلى الحرب والدمار، والسلب والسبي لأموالهم وممتلكاتهم وعيالهم .

وقد استغل هذه الفرصة من أجل دعوته للإسلام والإيمان بوحدانية الله، ونبوة محمد ـ ﷺ ـ مبيّنا ذلك بجملة كبيرة من الحجج والبراهين والأدلة العقلية والمنطقية الطبيعية منها والكونية والواقعية المعاشة وغيرها .

فاستخدم كاتب الرسالة (بن الربيع) اللغة العربية بكل ما أتاحته من إمكانات حجاجية، عن طريق ما تحمله من روابط وألفاظ وعبارات وصور بيانية ومحسنات بديعية وأساليب إنشائية وغيرها من أجل توصيل المفاهيم والأفكار الصحيحة، وإزالة التحريف والتزييف عن الحقائق المغلوطة خاصة تلك المتعلقة بوحدانية الله ونبوة محمد ـ ﷺ ـ ورسالته العالمية لكل الناس .

وقد اعتمد على الحوار البناء والأسلوب اللين المهذب والمشاعر الصادقة الجياشة المرتكزة على حب الخير والنصح والتوجيه في عزة وكبرياء دون ذل أو مهانة مما أعطى التأثير قوة، والانتباه والإصغاء شدا، والإقناع تمكنا، وأصبغ على الحجاج فعالية وإذكاء .

وهذا ما سيتضح لنا من خلال تعرضنا لتقنيات وآليات الحجاج في الرسالة فيما يأتي من المباحث التالية.

المبحث الثـاني: الاستدلال العقلي في الرسالة:

الاستدلال هو آلية من آليات العقل بواسطته يمكن للإنسان أن يتفاعل مع ذاته ومحيطه الخارجي، وهو من الآليات التي دخلت كل المجالات والاختصاصات المعرفية القديمة والحديثة ولازمت التطور المعرفي في كل زمان بوصفه أداة للمعرفة [1].

أولا: مفهوم الاستدلال العقلي وأقسامه وطبيعته في المدونة:

1 ـ تعريفه لغة واصطلاحا:

أ–الاستدلال لغة: هو طلب الدليل، وطلب الدليل: التفكر في حال ذلك الدليل وطلب وجه الدلالة فيه، وبيان وجه دلالة قول على قول آخر [2].

ومعناه إعمال العقل من أجل استنباط الدليل على صحة الدعوى إنطلاقا من قول مُسلّم به سلفا

ب–الاستدلال اصطلاحا هو: استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة كما أنه: «تقرير الدليل لإثبات المدلول»[3].

2 ـ مفهومه عند القدماء والمحدثين:

تباين مفهوم الاستدلال بين القدماء والمحدثين حيث يرى:

أهل المنطق والفلاسفة بأنه: «قول معبّر عن لزوم شيء من شيء، وهذا القول مؤلف من مقدم وتال وأداة اللزوم الرابطة بين المقدم والتالي»[4].

---

[1] _ الاستدلال اللغوي عند الأصوليين مقاربة تداولية (مقال مرجع سابق)، ص 15.

[2] _ الأسس النظرية لبناء شبكات قرآنية للنصوص الحجاجية مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص361.

[3] _مراد وهبة، ضوابط المعرفة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، ص: 50، 51.

[4] _المرجع نفسه، ص 148.

وهو عند المتكلمين والأصوليين: «النظر في الدليل»[1].

وهو عند نيكلسون: «مجموع العمليات العقلية المستخدمة في تكوين وتقييم المعتقدات، وفي إظهار صحة الادعاءات والمقولات أو زيفها»[2].

وهو عند ماير: «مهارة تفكيرية تقوم بدور المسهل لتنفيذه أو ممارسته ويصنف الاستدلال ضمن مهارات فرعية هي: الاستدلال الاستنباطي والاستدلال التمثيلي»[3].

والاستدلال يحمل معاني عدة ومختلفة في نظر الموسوعات العلمية وكتب علم النفس منها:

-العملية العقلية، أو الملكة العقلية التي يتم بموجبها التوصل إلى قرار أو استنتاج.

-التعقل أو التفكير المستند إلى قواعد معينة، مقابل العاطفة والإحساس والشعور.

-الوصول إلى الدليل أو الحجة أو السبب الداعم لرأي أو قرار أو اعتقاد عن طريق إعمال العقل.

-الوصول إلى معرفة جديدة باستخدام قواعد واستراتيجيات معينة في التنظيم المنطقي لمعلومات متوفرة [4].

انطلاقا من هذه التعريفات السابقة للمتقدمين والمتأخرين يمكن استخلاص مايلي:

-كلها تشترك في كون الاستدلال عملية عقلية تتم بموجبها نتيجة جديدة انطلاقا من مقدمات معلومة وفق علاقات التعليل واللزوم والاستنتاج وغيرها.

-الاستدلال بمعناه الواسع لا يقتصر على استخدام قواعد المنطق بل يتعدى ذلك إلى أشكال عديدة وأساليب متنوعة بتدخل العاطفة والإحساس والشعور ومراعاة السياق وحال المتلقي.

-الغرض من الاستدلال هو معرفة كيفية إقامة الحجج وبناءها وبحث طرق الحجاج وقواعد

---

[1] _ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، مرجع سابق، ج1، ص 67.

[2] _ فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الفكر الأردني، عمان، ط3، 2007، ص 256.

[3] _ المرجع نفسه، ص: 257.

[4] _ المرجع نفسه، ص: 257.

هذه الطرق وضوابطها وأشكالها وصورها [1].

3 ـ أقسام الاستدلال:

الاستدلال نوعان مباشر وغير مباشر.

المباشر: هو نوع من الاستدلال الاستنباطي ينتقل فيه الذهن من قضية واحدة مسلمة (مقدمة) إلى قضية أخرى تلزم عنها (نتيجة)، ويحكم على هذه القضية الجديدة بالصدق أو الكذب تبعا لصدق القضية الأصلية أو كذبها بمقتضى التقابل العقلي أو بمقتضى أحكام عكس القضية التي يستلزمها هذا العكس، أو بمقتضى التلازم العقلي الذي يكون في القضايا الشرطية[2].

ويكون هذا في التقابل، العكس، وتلازم الشرطيات.

الغير مباشر منه: فهو الذي يحتاج فيه الباحث إلى أكثر من قضية واحدة حتى يتوصل إلى النتيجة المطلوبة[3].

ويكون هذا في القياس والاستقراء والتمثيل.

- فإذا حكم على الجزئي لثبوت ذلك في الكلي فهو القياس.
- فإذا حكم على الكلي لثبوت ذلك في الجزئي فهو الاستقراء.
- فإذا حكم على الجزئي لثبوت ذلك في جزئي آخر فهو التمثيل [4].

4–طبيعة الاستدلال العقلي في الرسالة (المدونة):

تعد هذه الرسالة التي هي مدونة البحث خطابا حواريا تواصليا يرتكز على مكونات رئيسية مترابطة فيما بينها: (اللغة، والمنطق والسياق)

---

[1] _ مراد وهبة، ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص 147.

[2] _ المرجع نفسه، ص 150.

[3] _ مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، مرجع سابق، ص 171.

[4] _ المعجم الفلسفي، جميل صليبا. مرجع سابق، ج1، ص 68.

ومنه فإن الاستدلال العقلي فيها ليس بالاستدلال الأرسطي البرهاني الذي يقوم على قواعد صورية محددة ومضبوطة ولا يراعي وضع المتكلم والمستمع ولا يلتفت إلى الظروف التي حدث فيها التعبير ولا إلى باقي المقتضيات المحيطة به [1]، وإنما هو استدلال يعرض الحقيقة العقلية جلية عرضا لغويا وفكريا متماسكا مطابقا للفطرة السليمة آخذا في حسبانه المتلقي ومقام الخطاب متتبعا في ذلك إجراءات حجاجية متعلقة بإنجازات لسانية وبلاغية وتداولية[2].

فهو إذن استدلال منطقي تداولي طبيعي ينفتح على أنواع شتى من الاستدلال يهدف إلى الإقناع وتغيير المعتقدات والسلوكيات أو تصويبها.

ثانيا ـ أشكال الاستدلال في الرسالة:

إن من أبرز أشكال الاستدلال في المدونة ما يلي:

1 ـ الاستدلال بالقياس:

القياس لغة: التقدير كما ورد في لسان العرب وبيناه سالفا: «قست الشيء بغيره وعلى غيره، أقيس قيسا وقياسا فانقاس، إذا قدرته على مثاله»[3].

اصطلاحا: هو «قول مؤلف من قضايا إذا سلّمت لزم عنها لذاتها قول آخر «[4]. ومعنى أنه (قول) يعني أن القياس لكي يكون منتجا لا بد فيه من تركيب القضايا وذلك بدمج مقدمتين تشمل كل منهما قضيتين:

الأولى منها تسمى مقدمة أولى، والثانية مقدمة ثانية.

ومعنى (إذا سُلمت): سُّلم مضمون المقدمتين.

---

[1] _ لحبيب أعراب ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، مرجع سابق، ص 99-100.

[2] _ لحبيب، إعراب ،الاستدلال الحجاجي مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ج3، ص 67، 68.

[3] _ لسان العرب، ابن منظور،مصدر سابق ، ج6، ص 186، مادة (ق ا س)

[4] _ الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص 147.

ومعنى (لزم عنها لذاتها): أن القضايا من القياس يلزم من تسليمها: عدم الحاجة إلى علاقة خارجية.

ومعنى قول آخر: أي نتيجة وهو المطلوب [1].

كما عرف طه عبد الرحمن القياس بقوله: «هو آلية أساسية من آليات الذهن البشري تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك»[2].

ويتشكل القياس من جزأين هما: مقدمات القياس ونتيجة القياس، والنتيجة هي القضية التي تلزم بالضرورة عن تلك المقدمات فمتى تم التسليم بالمقدمات (صادقة أو كاذبة) لزم التسليم بالنتيجة[3].

فحينما تذكر جميع أركان القياس «المقدمتين: (كبرى، وصغرى)، والنتيجة» يسمى هذا قياسا منطقيا كاملا (تاما)، أما إذا حذفت إحدى المقدمتين وهي في أغلب الأحيان المقدمة الكبرى فيسمى قياسا مضمرا[4].

ويعد القياس بنوعيه التام والمضمر وكذا قياس الخلف (العكس) حجة في إثبات الأحكام العقلية وطريق من طرقها [5].

أ–القياس التام:

مقدمة كبرى + مقدمة صغرى ____ نتيجة

ومن الشواهد الدالة على القياس التام في المدونة (الرسالة) ما يلي:

---

[1] _ خالد ولد أحمد وشبكة الألوكة، المباحث المنطقية في علم أصول الفقه (مقال)، مرجع سابق، ص 16.

[2] _طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، مرجع سابق، ص: 111.

[3] _ محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر، القاهرة، (د.ط)، 1994م، ص 203.

[4] _ النص الحجاجي العربي، دراسته في وسائل الإقناع (مقال) الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص 26.

[5] _ الشيرازي، اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، 2003، ص 69.

المثال الأول:

«ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام: «سأقيم لهم من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فمه ولا يتكلم إلا بما آمره به » فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل؟"[1].

المقدمة الكبرى: سيقيم الله لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم.

المقدمة الصغرى: إخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل.

النتيجة: أن محمد ﷺ هو المقصود بهذا الأمر أي أنه النبي لا كذب .

المثال الثاني:

ومن ذلك أنه إذا قالت البقايا من أمتنا: كان محمد ﷺ بخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ويصف الأمور قبل حلولها ويتجاوز ما يكون في زمانه من ذلك إلى ما يكون في زماننا غيبا أطلعه الله عز وجل، أضافوا ذلك علما إليه فقالوا: كان أعلم الناس بمواقع النجوم وأبصرهم بمنازل البروج وانظرهم في دقائق الحساب كيف ولم يكن الحجاز دار نجوم ولا محل حساب ولا معدن أدب بل كيف والمنجم يقيس ويخطئ ويشك فيما يدعي وهو أخو صواب لا شك فيه، وفارس صدق لا قياس معه[2].

القضية الأولى:

كان محمد ﷺ أعلم الناس بمواقع النجوم وأبصرهم بمنازل البروج وأنظرهم في دقائق الحساب (مطلع على الغيب).

القضية الثانية: لم يكن الحجاز دار نجوم ولا محل حساب ولا معدن أدب (أي أنه لم يأخذ العلم في بلده بل كان أميا).

---

[1] _ أنظر الملحق: ص:43

[2] _ أنظر الملحق: ص:12 .

النتيجة: أن محمد ﷺ نبي مرسل من الله تعالى هو الذي علمه وأطلعه على الغيب.

المثال الثالث:

بل كيف والمنجم يقيس ويخطئ ويشك فيما يدعي وهو أخو صواب لا شك فيه، وفارس صدق لا قياس معه[1].

القضية الأولى: بل كيف والمنجم يقيس ويخطئ ويشك فيما يدعي (مهما كان العالم فإن علمه فيه نظر ، أي يحتمل الخطأ والصواب).

القضية الثانية: وهو أخو صواب لا شك فيه، وفارس صدق لا قياس معه (أي أن علمه يقين لا شك ولا ريب فيه).

النتيجة: أن محمدا ﷺ نبي الله لا ريب

المثال الرابع:

ومن ذلك أنه إذا قالت العلماء من المسلمين، كان نبينا ﷺ بباطن أخبار النبيين وخفي قصص القرون الأولين قالوا: كان أحب الناس قلبا وأوسعهم سربا وأسرعهم أخدا يتتبع ذلك ويحبه وقد رواه وعلمه سبحان الله أولا يعلمون أن المتعلم متفاوت الحالات متنقل الطبقات وأنها ما أحد يؤدب صغيرا أو يطلب العلم كثيرا إلا وله درجات في علمه وتارات في أخده ومنازل في تعلمه، تارة تلميذ وتارة مقارب وأخرى حاذق وبكل ذلك موصوف من أهله معروف عند قومه ظاهر لجيرته[2].

القضية الأولى: قالوا كان أحب الناس قلبا وأوسعهم سربا وأسرعهم أخدا يتتبع ذلك ويحبه وقد رواه وعلّمه (أخذ العلم بسرعة كبيرة وفائقة، وله حافظة لا تنسى).

---

[1] _ أنظر الملحق: ص:12 .

[2] _ أنظر الملحق: ص:12 .

القضية الثانية: أو لا يعلمون أن المتعلم معروف المعلم متفاوت الحالات متنقل الطبقات (أي أن المتعلم يأخذ العلم تدريجيا من معلم معلوم لدى أهله وقومه. ولكن لم يحدث ذلك لمحمد ﷺ).

النتيجة: أن محمدا ﷺ نبي مرسل.

ب ـ القياس المضمر:

وهو أحد أنواع القياس المنطقي وهو عند أرسطو الضمير ويسمى القياس الخطابي فهو يقوم على الرأي والاحتمالات وقد حذفت بعض أجزائه وإنما يدل على السياق المذكور [1].

ومثاله في الرسالة:

«**وسلهم عن قول المسيح : « أنا أذهب إلى إلهي وإلهكم ». فقل من هذا الله الذي ذهب عيسى عليه السلام إليه ، إله في السماء متباين منه ، منقطع عنه؟** ».

المقدمة الكبرى، أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم (عيسى منفصل عن الله) وأنتم تزعمون أنه إله (متصل به).

النتيجة فكيف يذهب إليه إن لم يكن منقطع عنه؟ إذن عيسى عليه السلام ليس بإله، والله تعالى متفرد عن خلقه.

فالمقدمة الصغرى مضمرة في المقدمة الكبرى إذ يزعمون أن عيسى متصل بالله وأنه أحد الثلاثة (عيسى، الله، وروح القدس).

ج ـ القياس بالخلف:

وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه[2] بمعنى أننا نحقق إثبات المطلوب إذا كان لدينا ما يبطل نقيض هذا المطلوب ومثاله في الرسالة:

---

[1] _ محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، مرجع سابق، ص 300.

[2] _ أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص 715.

«سأقيم لهم من إخوتهم مثلك .....إلى قوله :

قالوا: إنما قال: من إخوتكم ، وهو يريد من أنفسكم والله تعالى يقول: «مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم»[1].

ومن هذا **المقدمة الكبرى:** سيقيم الله لهم من بين إخوتهم وهم يعتقدون أنه يقصد من أنفسهم (من بني إسرائيل).

المقدمة الصغرى مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل وهو نقيض القضية.

النتيجة المقصود بإخوتهم هم بنوا إسماعيل أي محمدﷺ.

وهو دلالة وإثبات على نبوة محمد ﷺ.

2 ـ الاستدلال بالاستقراء:

لغة: التتبع، وهو استقراء الشيء إذا تتبعته[2].

اصطلاحا: قول مؤلف من قضايا تشتمل على الحكم على الجزئيات لإثبات الحكم الكلي وهو عملية فكرية حسية معا [3].

وينقسم إلى قسمين هما:

أ–الاستدلال الاستقرائي الناقص: حيث ينتقل فيه العقل من الحكم على الجزئيات إلى الحكم على الكلي.

ب –الاستدلال الاستقرائي التام: وينتقل فيه العقل من جميع الجزئيات لتعمم الحكم على ما هو كلي[4].

---

[1] _ أنظر الملحق: ص:43 .

[2] _ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي (ت 1158هـ) تقديم: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت الطبعة الأولى، 1996م، ص 172.

[3] _ مراد وهبة، ضوابط المعرفةّ، مرجع سابق، ص 188.

[4] _ إدريس أو هلال، دروس في الحجاج الفلسفي، مجلة الشبكة التروبية فيلو مرتيل الإلكترونية، ص 23.

ومجالات الاستدلال الاستقرائي واسعة إذ يمكنه أن ينطلق من الأمثلة والوقائع (طبيعية، أو اجتماعية أو تاريخية) أو من الشهادات والتجارب والمعطيات الإحصائية وغيرها مما يكسب الخطاب حيوية أكثر وتشخيص دقيق ويجلب اهتما المتلقي [1].

وهذا النوع من الاستدلال (الاستقرائي) هو الغالب في الرسالة إذ أن صاحبها يتتبع الأحداث والوقائع والاحتمالات الممكنة التي قد تتبادر إلى ذهن المتلقي حتى يسد بها كل الثغرات التي من شأنها أن يتخذها لردّ الحجة ودحضها من خلال الولوج إلى منفذ يطعن في صحة تلك الحجج أو يضعف قوتها كما أنه ينطلق في استقرائه من معطيات مسلم بها من قبل المتلقي ليصل بعد ذلك إلى إبطال ما كان يعتقده ويؤمن به بل لا يقف عند هذا الحد حتى يبدل ذلك بما هو صواب وحقيقة.

المثال الأول : ما جاء في المدونة من قوله:

«وسيعلل أمير المؤمنين إن شاء الله ما جاء عن ذكر ما كتب به إليكم من أمر النجوم والرجوم والشهب في القرآن والرواية والكتب فالطفوا النظر في صحة معانيه ونحوا الهوى عن شبهة ما وقعت فيه...» [2].

إذ أن هارون الرشيد بيّن لملك الروم من أمر النجوم والرجوم والشهب بما جاء به النبي ﷺ من آيات بينّات توضح هذا الأمر فقام الرشيد بتتبع هذه الآيات التي بُينّت في البداية بأن الله عز وجل زين السماء الدنيا بمصابيح وكواكب وجعل ذلك رجومًا للشياطين وهذا عند بعثته ﷺ أما قبلها فكانت الجن لمست السماء فلم تجدها ملئت حرسا شديدا وشهبا وقد قعدت الشياطين منها مقاعد للسمع ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:223].

ولكن حينما بعث النبي ﷺ بالرسالة حفظت السماء الدنيا ومنعت الجن من إستراق السمع ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ ﴾[الصافات: 9-].

فما الذي دفع بمحمد ﷺ أن يتحدث في أمر السماء والنجوم والرجوم وهو لا علم له بها

---

[1] _ إدريس أو هلال، دروس في الحجاج الفلسفي، مرجع سابق، ص 25.

[2] _ أنظر الملحق:ص:21 .

وهناك من له علم بأمر البروج والكواكب من العرب أفلا يخشى محمد من أن يُكذب في أمر لا علم له به إن لم يكن ذلك وحي فهذا برهان ساطع ودليل قاطع على صدق نبوة محمد ﷺ

ومن هذا كان الاستقراء له فائدة عظيمة في تثبيت الحجج وتأكيدها حتى تجعل المتلقي يدعن لها ويعترف بها لأن المحاجج قام بجلب فكر السامع وعقله إلى التتبع ليصل به إلى ما يريد إقناعه به وتبيانه له.

مثال 2:

ما جاء في الرسالة: «**وأعجب من هذه وألطف وأكثر منها وأعظم الآية في غلبة العجم واستمع: أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمؤمنين وكانوا كما قال الله عز وجلا «قليلا مستضعفين»، إن قبائل العرب ستتحزب عليكم وأن الله سيهزمهم لكم وحيا أنزله في الكتاب...**» [1].

فقد تتبع هارون الرشيد أحداث موقعة الأحزاب وما كان فيها من أحوال المسلمين من ضعف وقلة عددا وعدة، ومن أحوال الأحزاب والمشركين من كل قبائل العرب كثرة وقوة، وأشدهم بطشا ومع هذا يبشرهم-نبيهمﷺ-بالنصر والتمكين فأنّ له ذلك إن لم يكن وحيا من الله تعالى فكيف لا يخاف على نفسه وأصحابه من الهلاك والخسران.

فتتبع أحداث هذه المعركة التي كفى الله فيها المؤمنين القتال ونصرهم على أعدائهم ومكّن لهم في الأرض رغم قلّتهم وضعفهم وهوانهم على الناس خير حجة وأقوى بيان على صدق نبوة النبي العدنان عليه الصلاة والسلام وهذا من خلال أخذ عقل المتلقي وجعله ينتقل عبر سلسلة أحداث المعركة خطوة بخطوة وحدث بحدث حتى يصل إلى الاقتناع والإذعان للحقيقة التي أراد المحاجج إيصالها له.

[1] _ أنظر الملحق:ص:24 .

3 ـ الاستدلال بالمعاينة:

فالمعاينة هي الوقوف على الأحوال والأوضاع واستخبار أمورها إما لإيجاد حلول ومخارج منها إن كانت سيئة وإما استغلالها كحجج لإقناع الآخر بها ، وهو من أنواع الاستدلال العقلي حيث يستثمر المحاجج الموقف أو الحادثة ليجعل منها حجة وبرهانا على صدق دعوته ودليلا ساطعا على ما ذهب إليه وقصده لأن الاحتجاج العقلي والوجداني يؤسس على المواقف التواصلية وينطلق الاستدلال فيه من خبرة حسية إلى استدلال عقلي مجرد.

ومثال ذلك ما جاء في آخر الرسالة من قوله:

«**ومنها أنك ومن قبلك من ذوي العبادة والزهادة والتأله و.....كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب وسلامة من أوزار الحض على قتال الخوف**[1].

فهو يذكره بأيام السلم والهدنة التي تمتع بها الأمراء والأساقفة والعباد...وذلك بتذكيرهم بالحرب وما يكون فيها وما ينجر عنها من الخوف والقتل والسبي وغيرها.

وكذا قوله: «**ومنها من أقاصي بلادك ونواحي....قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ودعة الحال وحلاوة الأمن ورفاهية العيش وسعة العافية من سباء أزواجهم وهيض أولادهم وحطم معاشهم وأسر رجالهم وغنيمة بقرهم وغنمهم وإفساد شجرهم وثمارهم وإجلاء عن مساكنهم....**» [2].

فمن خلال الإطلاع على أحوال الخصم وتتبع أحواله وأحوال رعيته ومعاينة أوضاعهم التي تجنح للسلم وترغب فيه وتنفر من الحرب وتبغضها لما رأت من رغد عيش وحالة استقرار فإنها تفضل دفع الجزية على المواجهة والحرب ما يدفع بالخصم إلى إعادة النظر فيما يقدم عليه من أمر المواجهة والخروج على الهدنة وما ترتب عليها من مواثيق وعهود:

فاستغل المحاجج معاينته للأحوال والأوضاع من أجل إقناع الخصم عن العدول عما يقدم عليه من فعل الخروج عن الأمر فجاء الاستدلال بالمعاينة خير أسلوب للحجاج وأنجع طريقة له من

---

[1] ـ أنظر الملحق:ص:47 .

[2] ـ أنظر الملحق:ص:47 .

أجل التأثير والإقناع.

4 ـ الاستدلال السببي:

وهو حركة فكرية تقوم عل ربط الأسباب بالمسببات والاستدلال بالعلة على المعلول أو بالسبب على النتيجة أو بالوسيلة على الغاية [1].

ويعدّ من أبرز الاستدلالات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي حيث أنه يقوم على علاقة سببية يربط بها المتكلم بين أجزاء الكلام وبين الأفكار والقضايا والأحداث فتكون بعضها سببا لبعض[2].

وقد وردت في الرسالة عدة أمثلة عن هذا النوع من الاستدلال منها:

ألا ترون أنها كانت الجن لمست السماء فلم تجدها ملئت حرسا شديدا أو شبها، وقعدت الشياطين منها مقاعد للسمع فلم تجد شهبا ولا رصدا...مع قول الجن أيام حرست السماء ورميت الشياطين﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرّٞ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [الجن:10] فإذا أعملتم في ذلك فكركم، وقلبتم فيه نظركم فكنتم على برهان يقين، ونور مستبين من استطاعة الجن للاستماع، وقدرة الشياطين على الاستراق وإمكان السماء للقعود في تلك الحال الأول ففكروا في الحال الأخرى حيث ...الآيات أن تعارض باطلا بحق ومنعت الشياطين أن تنزل بصدق وامتنعت السماء أن يصمد إليها شيطان[3].

فهذا المثال يوضح لنا أن سبب منع الشياطين من استراق السمع هو حفظ الآيات التي تتنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ على الرغم من قدرتهم على القعود للسمع مما يدل على صدق نبوته ﷺ وأن الله قد أرسل ملائكته بالشهب ترصد الشياطين وتمنعهم من ذلك.

---

[1] _ سامية الدريدي الحجاج في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 327.

[2] _ المرجع نفسه، ص 327.

[3] _ أنظر الملحق: ص:21 .

مقدمة كبرى : لم تكن السماء محروسة قبل نزول الوحي

مقدمة صغري : حرست السماء عند بداية نزول الوحي

النتيجة : نزول الوحي سبب حراسة السماء معنى هذا أن النبي محمد ﷺ رسول الله.

المثال الثاني:

وأيم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم ما لهم من عند أمير المؤمنين لتحذروا عليه وأقبلوا إليه من إيوائهم وإنزالهم الأرض الواسعة وإمكانهم من مسايل المياه الساحة والعدول بما لا تبلغه أنت وتقاربه رفقا بهم ونظرا لهم وإحسانا إليهم مع تخليته إياهم وأديانهم لا يكرههم على خلافها ولا يجبرهم على غيرها لاختاروا قرب أمير المؤمنين على قربه وجواره على جوارك[1].

يريد أن يبين له بأن أتباعه سيتخلون عنه لو علموا ما سينالونه عند أمير المؤمنين من حرية اعتقاد ورغد عيش. وسعة أرض فسبب بقائهم تحت إمرته إنما هو جهلهم بما عند الطرف الآخر وليس حبا فيه وهي حجة بالغة على دحض ما يدعيه من صلاح دينه واعتقاده أن أتباعه مقتنعين بذلك.

خلاصة: شكل الاستدلال العقلي في الرسالة الطريق الأسلم والأسلوب الأكمل والعمل الأنجع والفعل الأنفع في العملية الحجاجية من أجل التأثير والإقناع إذ به ينتقل العقل بسلاسة ويسر من فكرة إلى نقيضها ومن مفهوم إلى آخر ليحدث التأثير والتغيير بإقناع وتعيين فتتبدل الأفكار وتتغير الأفهام وينقاذ المتلقي للامتثال والإذعان وهو غاية الحجاج ومراده.

[1] _ أنظر الملحق:ص:49 .

المبحث الثالث: الحجاج بالشرح والتفصيل والمساءلة:

نظرا لما تحمله الرسالة من وظيفة ابلاغية وأفكار دعوية تسعى إلى تغيير مفاهيم وأفكار وسلوكيات المتلقين لها فهي تخاطب عقولهم وقلوبهم في وقت واحد بغية إقناعهم واستمالتهم لذا فإن كاتبها اعتمد فيها على طريقة الشرح وتبيان الحقائق والغوص فيها بشيء من التفصيل والتوضيح وكذا إبطال الأفكار الفاسدة والمعتقدات الخاطئة ودرأ الشبهات القائمة والتصدي للردود المفترضة والمتوقعة من المتلقي عن طريق المساءلة وغيرها.

فالشرح والتفصيل شكل من أشكال البرهنة وآلية من آليات الحجاج تتميز بسعيها إلى الإفهام وتوضيح بعض الظواهر[1].

كما أن الغرض منه استبدال قول مكان قول آخر يعبر عن نفس المعنى لكن بصيغة مختلفة[2].

فقد تحتاج الفكرة المطروحة أو القضية المتداولة في الحجاج إلى الشرح لتوضيح أبعادها ودلالاتها من أجل الإقناع أو التبرير أو الإفهام إلى غير ذلك من الأغراض الحجاجية.

يرى بلنجر أن الحجاج بالشرح يتلاءم مع حالة المتكلم الذي يسعى إلى نقل قناعته إلى المخاطب الذي يرغب في استمالته أو مشاورته بغية الوصول إلى رأي أو قرار فهو عنده حجة مبنية على تمهيد وجهد مبذول من أجل فهم يتم عن دراسة ومعرفة وثمرة وخبرة.

فهو أثر الموضوعية والمصداقية الفكرية، وتكمن أهمية الشرح في الحجاج عنده بكونه يحث على الانصات والاستيعاب الذي يسبق الاستمالة إذ أن عدم الفهم يتسبب في فشل الجهد الإقناعي المبذول[3]:

---

[1] _ الحوار بين النظرية والأسلوب، ص38.

[2] _ الحوار النقدي، ص 112.

[3] _ أحمد الوردني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، مرجع سابق، ص 40.

فعند بلنجر الشرح يستخدم خمس وسائل هي:

-الوصف أو السرد.

-التعريف.

-المقارنة.

-التشبيه.

-المثال باستحضار الأحداث [1].

أما عند شارودو فالحجاج بالشرح يقوم على العلاقة السببية الموجهة من السبب إلى النتيجة أي بمعنى أن الأسباب هي التي تفرض النتائج المتوصل إليها وهو عنده يرتكز على عدة نماذج منها:

-الشرح عن طريق القياس المنطقي.

-الشرح الذرائعي (السببي)

-الشرح الحسابي.

-الشرح الفرضي [2].

وانطلاقا من هذه الوسائل والنماذج يمكن أن ندرس آليات الحجاج بالشرح في هذه الرسالة باعتبار أن الدعوة إلى تبني دين جديد غير مفهوم لدى المتلقي يحتاج إلى شرح وتفصيل بغية الفهم والإفهام ومن تم الوصول إلى الإقناع.

---

[1] _ليونل بلنجر، عدة الأدوات الحجاجية (مقال)، ترجمة: فضيلة قوتال، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى، 2010م، ج5: (نصوص مترجمة)، ص 122.

[2] _ المرجع نفسه، ج5 ص 122.

أولا –الشرح بالوصف والسرد

1 ـ الوصف:

الوصف لغة: الكشف والإظهار وذكر الشيء بحليته ونعته، وذكر ابن القيم بأن:

«الوصف أصله الكشف والإظهار... واحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عيانا»[1].

أما اصطلاحا: فهو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات [2].

كما يرى جاكبسون بأن الوصف والتفسير وظيفة من وظائف اللغة الست باعتبارهما شكل من أشكال التفكير يضعه في دائرة الاتصال اللغوي [3].

أما من الناحية الحجاجية فيعد الوصف نوع من الإثبات والاستدلال وعمل لا قولي يهدف إلى غاية حجاجية لا ينفك فيه الوضعي عن الذاتي أي أنه لا ينفصل المحتوى الوصفي عن تلفظ موجه حجاجيا ولا عن وجهة نظر المتكلم [4].

وقد ورد الوصف في الرسالة في عدة مواضع منها:

المثال الأول:

«فإنه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض إلا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض مثل ما رأى في تدبيره نفسه، وعرف من اتصال خلقه فيما بين دوائب شؤون رأسه أطراف أنامل قدمه وفي ذلك أوضح آية وأبين دلالة على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه ولا من شيء ابتدعه ولا على مثال صنعه قد ترون بعيونكم وتعلمون

---

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، ج9، مصدر سابق، مادة (و.ص.ف)، ص 356 .

[2] _ ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص 189.

[3] _ قدامة بن جعفر البغدادي، نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 41.

[4] _ معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو، دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري–حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، 2008م، ص63

بعقولكم أن الله عز وجل خلق للأنام الأرض...» [1].

ففي معرض شرحه للآية الكريمة بوصف الظواهر الطبيعية من أرض وسماء وليل ونهار وسحاب مسخر ورياح مصرفة وفلك تجري في البحر وأمطار تنزل وأرض تنبت مما يستدعي من المتلقي استحضار صور الطبيعة وتقلباتها عبر الزمن ماثلة أمام عينيه وكذا استحضار النظر في تركيب النفس البشرية وكيفية خلقها خلقا بعد خلق حتى بلغت أشدها وكيف تماسكت أجزاءها والتحمت أطرافها.

ولكن الغاية من هذا الوصف هو دعوة المتلقي إلى إمعان النظر في خلق الله ليستخلص بنفسه أن الخالق واحد لا شريك له لما وقف عليه من تآلف الصنع واتصال التدبير وعدم التفاوت فيقر بوحدانية الله وينفي عنه الشريك ويعترف بصدق نبوة النبي ﷺ ودعوته وبهذا فقد تم الاحتجاج بالشرح باستخدام الوصف.

وهذا المثال فيه وصف للطبيعة وتقلباتها وللنفس البشرية وتركيبتها وتماسكها ، وهو في نفس الوقت يحمل في طياته وثناياه إلى إجراء مقارنة متأملة بين النفس البشرية من جسد وروح وبين ما يحيط بها من طبيعة متقنة الصنع تتناسب فيما بينها وتتفق مما يوحي بأن الخالق واحد بديع الصنع

المثال الثاني:

جاء في الرسالة في الفقرة الثانية من قوله: «**حتى تناهت الولاية والوراثة التي بنى عيسى عليها، وبشر بها إلى النبي ﷺالذي انتخبه الله لوحيه واختاره بعلمه فلم يزل ينقله بالأباء الأخاير والأمهات الطواهر أمة فأمة وقرنا فقرنًا حتى استخرجه الله في خير أوان وأفضل زمان من أثبت محائد أرومات البرية أصلا وأعلى ذوائب نبعات العرب فرعا وأطيب منابت أعياص قريش مغرسا وأرفع ذوي مجد بني هاشم سمكا، محمد ﷺ خيرها عند الله**

[1] _ أنظر الملحق: ص:2، 3 .

وخلقه نفسا»[1].

فهنا وصف لنا نسب النبي ﷺ وكبير شرفه وعظيم قدره وبيّن لنا بأنه امتداد للرسل والأنبياء قبله الذين جاءوا لدعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده وعدم الإشتراك به والذي شأنه هذا ونسبه وانتماؤه هذا يستحال أن يدعي النبوة كذبا أو ينتحلها لمصلحة أو لشهرة أو تحقيق ملك فالغرض من وصف أصل النبي ونسبه وامتداده هو حجة على صدق دعوته ودليل نبوته.

المثال الثالث:

ومنها من بأقاصي بلادك ونواحي حوزتك قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض، ودعّة الحال، وحلاوة الأمن، ورفاهية العيش، وسعة العافية، من سباء أزواجهم، وهيض أولادهم، وحطم معاشهم، وأسر رجالهم، وغنيمة بقرهم وغنمهم وإفساد شجرهم وثمارهم، وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ... [2].

فقد وصف له الحال التي قد ألفها قومه وأتباعه من استقرار وأمن ورغد عيش لما جنحت سياسته للهدنة والسلم ودفع الجزية فكانوا في أحسن حال وأطيب بال في حماية دولة الإسلام وهيبة السلطان مما هو مقبل به عليهم من الدعوة إلى الحرب وما تحمله إليهم من خوف وقتل وسبي وأسر وإدلال.

وفيما بين هذين الحالتين من الوصف غاية حجاجية أراد من خلالها هارون الرشيد تذكير خصمه بما ينبغي عليه فعله تجاه قومه وأتباعه بأن يجلب لهم السلم ورغد العيش لا العكس، فيرجع عما هو مقبل عليه من نقد العهود والمواثيق والسعي للحرب .

2- السرد:

يتداخل الوصف في كثير من المواضع مع أسلوب آخر من أساليب الشرح ألا وهو السرد

---

[1] _ أنظر الملحق:ص: 5

[2] _ أنظر الملحق: ص: 47 .

فهو لغة: التتابع والاتساق، وسرد الحديث سردا: إذا تابعه، ويقال فلان يسرد الحديث سردا: إذا كان جيد السياق له[1].

والسين والراء والدال أصل مطرد منقاس يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض[2].

أما اصطلاحا فهو: نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور وجعله قابلا للتداول سواء كان هذا الفعل واقعيا أو تخيليا وسواء تم التداول شفاهة أم كتابة [3].

والسرد: هو الحديث أو الإخبار عن واقعة حقيقة أو خيالية أو أكثر من قبل واحد من الساردين أو أكثر لواحد من المسرودين لهم أو أكثر..

ويشمل السرد: الإخبار والتراجم والروايات وغيرها من الخطابات والأجناس الأدبية[4].

ومثاله في الرسالة كثير منها:

المثال الأول:

«إن الله عز وجل اصطفى الإسلام لنفسه واختار له رسلا من خلقه وابتعث كل رسول بلسان قومه ليبين لهم ما يتبعون ويعلمهم ما يجهلون من توحيد الرب وشرائع الحق...

إلى قوله: **حتى هزم كثيرا من المشركين بقلتهم وغلب قوة الجنود بضعفهم إنجازا لوعده وتصديقا لقوله «وإنّ جندنا لهم الغالبون»**[5].

ففي هذه الفقرة سرد لنا صاحب الرسالة حكاية الإسلام بأنه دين الله الذي اختار له رسلا من خلقه وتوالت الرسل تترا تدعوا إلى وحدانيته والسير على نهجه إلى أن هيأ الله لمجيء آخر رسله

---

(1) _ابن منظور، لسان العرب، ج3، مصدر سابق، مادة (س.ر.د).ص 213

(2) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، مصدر سابق، مادة س.ر.د. ص 157

(3) _ سعيد يفطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، ص 72.

(4) _ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة عدد (164)، تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م،ص 255.

(5) _ أنظر الملحق :ص:5 .

محمدﷺ

فالغاية من سرد حكاية الإسلام وقصة هذا الدين هو الربط والجمع بين مختلف الرسالات السماوية التي جاء بها الأنبياء باعتبارها رسالة واحدة ودعوة قائمة أرادها الله لعباده ليخرجهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الهداية والإيمان وعبادة الواحد الديان الذي اختار لهم هذا الدين ليسعدوا به دنيا وآخرة، وما دعوة محمدﷺ إلا إكمالا لهذا الدين وإتماما لهذه النعمة وإنّ ما ناله النبي ﷺ من نصر وتأييد وغلبة وتمكين مع قلة للأتباع وكثرة للأعداء إلا دليلا على صدق نبوته واتماما لدعوته وإيفاء بوعده «وإن جندنا لهم الغالبون»[1].

وبهذا بلغت الحجة وسطع البرهان وزال الريب وانزاح التشكيك في نبوة محمدﷺ.

المثال الثاني:

«**وأعجب من هذه وألطف وأكثر منها وأعظم آية غلبة العجم واستمع: أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمؤمنين وكانوا كما قال الله عز وجل قليلا مستضعفين: إن قبائل العرب ستتحزب عليكم وإن الله سيهزمهم لكم وحيا أنزله في الكتاب فقال: «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب »، فكان أصحاب رسول الله ﷺ بعدما نزل هذا القول عليه بدهور طويلة وسنين كثيرة محبوسين محصورين في حومة الموت وعسكر الخوف وخندق القول، وذل الحصر: سوادهم الأعمّ وجلهم الأعظم حفاة عراة عالة**... إلى قوله: **فأحسن النظر في أمرك والتثبث في دينك إن شاء الله**»[2].

ففي هذه الفقرة اجتمع الوصف مع السرد إذ أنه بينما هو يسرد لنا الأحداث وينقل لنا ما فات من الأجيال والأحداث، فهو يصف لنا من حال المؤمنين من ذل وضعف وهوان وثبات ويقين من أن الله سينصرهم ويهزم عدوهم ويمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم وتكون لهم الغلبة في الأرض والعاقبة في الأمر.

---

[1] _ابن منظور، لسان العرب، ج2، مصدر سابق، مادة (عرف)، ص 236.

[2] _ أنظر الملحق : ص:24 .

والغاية الحجاجية من هذا السرد الذي تضمن الوصف كيف لهذا النبي أن يخبر اتباعه وهم في حالة ضعف لم يطيقوا ما هم فيه من ضيق وعذاب وذل وهوان من قبل قومهم بأن الله سيجمع لهم الأحزاب لتزلزل أقدامهم وتهرق دماءهم. أما خاف على نفسه أن تجري الأمور على خلاف ما يقول أو ينقلب هؤلاء الاتباع عليه ويتفطنوا من حوله لولا أنهم علموا أنه الحق من ربهم والصدق من نبيهم فلا يعقل أن يقبل رجل عاقل ذا حسب ونسب في قومه أن يقبل على أمر كهذا لا قبل له به ولا قدرة له عليه إن لم يكن الوحي الإلهي والتنزيل الرباني ومن ثم شكل هذا السرد والوصف بما وقع من أخبار وأحداث حجة بالغة وبرهان ساطع على نبوة محمد ﷺ.

ثانيا – التعريف بالشرح:

لغة: هو الإعلام، اصطلاحا: «هو ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر»[1]. وهو عند أرسطو: «قول دال على ماهية الشيء»[2].

أما عند هاملتون فهو ثلاثة أنواع هي:

لفظية: وهي أقوال شارحة تعبر عن خواص المعرّف

حقيقية: تفترض وجود مفهوم يسبق التعريف.

نشوئية: تنظر نحو صيرورة الشيء وتغيره [3].

والتعريف هو شكل من أشكال الحجاج ونوعا من أنواع البرهان يلجأ إليه المتكلم لامتلاك قواعد الابتداء البرهاني التي يقوم بها محيط الاعتقاد ومن خلالها يصنع مآل الإقناع [4]. لأن التعريف يجعل من حقيقة الشيء وصفاته وخصائصه حجة ودليلا على الحكم المراد إثباته أو نفيه.

---

[1] _ الشريف الرضي، التعريفات، مصدر سابق، ص 55.

[2] _ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص 198.

[3] _ المصدر نفسه، ص 199.

[4] _ علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2010م، ص 414.

وهو عند بلنجر ثلاثة مستويات:

1–تعريف كلمة: لكونها ليست معروفة من قبل المتلقين كأن تكون غريبة أو مستحدثة وذلك عن طريق العودة إلى كلمات أخرى معروفة.

2–تعريف مفهوم أو فكرة: ويتم ذلك بطريقة حجاجية عن طريق التأويل وانتقاء الكلمات واستخدام النعوت من أجل الوصف والشرح والتفصيل.

3–التلفظ في بداية الحوار بفكرة تشتمل على شرح كلمة ما أو مفهوم إضافة إلى الأحكام التي تستند إليها فيكون هذا مقدمة للبرهنة والاستدلال أو الاثبات [1].

وقد ورد التعريف في هذه الرسالة في عدة مستويات أو أشكال منها:

1 ـ التعريف بالسرد والوصف: باعتبار أن الوصف نوعا من أنواع التعريف ومثاله في المدونة ما يلي:

المثال الأول:

ـ ما ورد في وصف نسب النبي ﷺ وامتداده للأنبياء والرسل السابقين يعد تعريفا جليا لشخصية النبي ﷺ ومكانته بين قومه مما يجعله أهلا للنبوية وتحمل الرسالة:

«حتى تناهت الولاية والوراثة التي بنى عيسى عليه السلام عليها، وبشر بها إلى النبي ﷺالذي انتخبه الله لوحيه واختاره بعلمه فلم يزل ينقله بالأباء الأخاير والأمهات الطواهر أمة فأمة وقرنا فقرنًا حتى استخرجه الله في خير أوان وأفضل زمان من أثبت محائد أرومات البرية أصلا وأعلى ذوائب نبعات العرب فرعا وأطيب منابت أعياص قريش مغرسا وأرفع ذوي مجد بني هاشم سمكا، محمد ﷺ خيرها عند الله وخلقه نفسا». أنظر الملحق: ص:5

فهذا وصف لنسب النبي ﷺ فهو بمثابة التعريف به وإظهار شخصيته، فرجل كان هذا نسبه

[1] _ ليونل بلنجر، عدة الأدوات الحجاجية، مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ج5، ص 121.

وانتماؤه وأصله يستحال أن يدعي نبوة أو يفتري كذبا لولا أن الله أحسن اختياره وأبدع في اصطفاءه ليكون حاملا لرسالته مبلغا لما أمره وكلفه.

المثال الثاني:

«ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتيما ضعيفا أجرا ساهيا لاهيا عائلا خاملا لم يتل كتابا ولم يتعلم خطا ولم يكن في محلة علم ولا ارث ملك ولا معدن أدب ولا بيت نبوة فتراقت الأيام به واتصلت حتى خرج إلى العرب عامة والقبائل كافة وحيدا طريدا شريدا مخذولا مجهولا...مرميا بالعقوق لآلهتهم مقذوفا بالكذب على أصنامهم منسوبا إلى الهجر لأديانهم وهم مجموعة على دعوة العصبية وحمية الجاهلية فألف قلوبها وجمع شتاتها حتى تناصرت القلوب والنفوس وترافعت الأيدي ثم اجتمعت الكلمة»[1].

فكيف لرجل كانت هذه حاله وتلك هي أوصافه يأتي منه كل هذا لولا دفع الله إياه واصطفاؤه لدعواه.

2 ـ التعريف بالكلمة:

فقد ورد مستوى آخر من مستويات التعريف لبعض الكلمات ككلمة: (**أب** و**ابن** و**أخ**) وغيرها في شكل استدلال حجاجي من خلال طرح تساؤلات حول مفهوم هذه الكلمات عند من يوجه له الخطاب فجاء منها.

كلمة الأب:

[وقد تجدونه قال: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم أيضا» وهذا كلام يحتمل وجهين أحدهما أولى به، وقول لا يحتمل إلا وجها هو الربوبية أم كيف تنظرون إلى كلامه أذهب إلى أبي وأبيكم». فتفردونها في نفسه وقد قال ما فيه وفي غيره».][2].

---

[1] _ أنظر الملحق:ص:10 .

[2] _ أنظر الملحق : ص: 39 .

فهو تساؤل عن معنى كلمة **أب** عندهم وكيف يعرفونها.

فإذا كنتم تعتقدون أن كلمة أب تجعلونها لعيسى عليه السلام فلماذا قال: إني ذاهب إلى أبي فقد جعلها في غيره فهي خارجة عنه فهي عنده الربوبية فقال: «إني ذاهب إلى ربي وربكم وإلهي وإلهكم».

ولكنكم جعلتموها في شخصه فكيف تتخذونه إله وربا وهو لم يقر بذلك ولم يدع له فأنتم إذن خاطئون في فهم مفهوم هذا المصطلح فأخطأتم في من هو أحق بالعبادة.

كلمة الأخ:

ورد التساؤل عن مفهوم كلمة الأخ عندهم.

[ومن ذلك قوله تعالى لموسى عليه السلام: «سأقيم لهم من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فمه ولا يتكلم إلا بما آمره به».][1].

فإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل ولكن هذا المعنى والمفهوم عندهم هو: من أنفسهم أي اخوتهم من بني إسرائيل فلا يقوم أي لا يكون نبيا منهم مثل موسى لأن الله لم يقل لهم أقيم لكم نبيا منكم.

ومن ثم فمفهوم المصطلح (**أخ**) عند الله تعني من بني إسماعيل والمقصود به محمد ﷺ وليس ما فهموه هم، فهُم إذن خاطئون.

كلمة الابن:

وسل من قبلك عن الأب والابن فقل: أيهما أعظم وأيهما أصغر، فإن قالوا: الأب أعظم والابن أصغر فقد جعلوهما متباينين، وإن قالوا: هما واحد وكلاهما عظيم، وليس الأب بأعظم من الابن، والابن بأصغر من الأب، فقد نقض حينئذ جوابهم، وأكذب

[1] _ أنظر الملحق : ص: 43 .

المسيح عليه السلام كلامهم حيث يقول: " ولو كنتم تحبونني لفرحتم حيث أذهب إلى إلهي، فإن إلهي أعظم مني " فلم يقل أعظم مني إلا وهو مقر بأنه أصغر منه[1].

فمن هذا القول تبين أن عيسى عليه السلام ليس بإله ولا بابن له، وإنما هو مختلف عنه تماما نسبوه لله لأنه جاء من أم وليس له أب، فظنوا أنه ابن الله، فمفهوم كلمة ابن لا تنطبق على عيسى عليه السلام مع خالقه كما هي معلومة مع الأبوين، فشكل مفهوم كلمة ابن حجة دامغة تنفي زعمهم وترد قولهم بأن عيسى ابن الله.

ثالثا –الشرح بالمقارنة

المقارنة هي: «القدرة على فحص التشابهات أو الاختلافات في الوقت نفسه»[2].

فهدفها السعي إلى إبراز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين موقفين أو عبارتين أو مفهومين أو مثالين أو واقعتين إلى غير ذلك.

فهي مهمة لإبراز أوجه التشابه بين الآراء والمواقف أو الأهداف المشركة وغيرها.

ويرى بيرلمان أن المقارنة من الحجج الشبه منطقية التي لها تأثيرها الإقناعي متشكلا من الفكرة الضمنية التي تدعمها المقارنة باعتبارها وسيلة من وسائل الحجاج بالشرح [3].

أما أوليفي ريبول فيرى أن المقارنة من الحجج التي تبني الواقع وليس بالضرورة أن تعقد بين طرفين من الواقع بل قد تكون مبتدعة وخيالية[4].

وقد ورد الشرح بالمقارنة في الرسالة على ثلاثة أنماط هي:

---

[1] _ أنظر الملحق: ص:38 .

[2] _ ليونيل بلنجر، عدة الأدوات الحجاجية مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ج5، ص 131.

[3] _ فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح محمد الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، الطبعة الأولى، 2011م، ص 49.

[4] _ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص 248.

1-الشرح بالمقارنة عن طريق النظر والتدبر.

ومثاله في المدونة ما جاء في قوله:

«فإنه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض إلا رأى من إتصال بعض ذلك ببعض مثل ما رأى في تدبيره نفسه وعرف من اتصال خلقه فيما بين دوائب شؤون رأسه إلى أطراف أنامل قدمه وفي ذلك أوضح أية وأبين دلالة على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه، ولا من شيء ابتدعه ولا على مثال صنعه قد ترون بعيونكم وتعلمون بعقولكم...» [1].

ففي هذا دعوة إلى إمعان النظر بعيون فاحصة وبعقول واعية إلى صنع الله تعالى وإجراء مقارنة بين ما خلق الله مما بين السماء والأرض من سحاب مسخر ومطر منزل وتصريف رياح ونبات متصل بالأرض معاشا للأنعام والانام وبين خلق الله للإنسان من أعضاء وأطراف وأجهزة لتوصله هذه المقارنة إلى حقيقة واحدة وهي أنه لا تفاوت في الخلق مما يدل ويثبت أن الخالق واحد لا شريك له وهو الغاية من الشرح بالمقارنة لإبطال ما يدعي الخصم من أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عما يشركون وإثبات وإلزام الحجة على انه سبحانه واحد لا شريك معه.

2-الشرح بالمقارنة عن طريق إجراء مقارنة بين الأديان :

باعتبار أن الخصم لا يؤمن ولا يقر بالقرآن ونبوة محمد ﷺ فنلجأ إلى النظر فيما يؤمن به من ثوراة وإنجيل بما يؤيد ويثبت نبوة محمدﷺ وصدق دعوته وذلك من خلال سرد بعض ما ورد في الثوراة وما ورد في الإنجيل عن هذا النبي ﷺ فنجد في الرسالة ما يؤكد هذا ويثبته:

«ومن ذلك في آخر الثوراة "جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرق من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران وجاء عن يمينه ربوات القديسين "وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل الثوراة على موسى عليه السلام في طور سيناء وأنزل الانجيل على عيسى عليه السلام في جبل

---

[1] _ أنظر الملحق : ص: 3 .

ساعير وهو جبل بالشام وأنزل القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران وهي بلاد مكة وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بلغتكم...» [1].

ومثال آخر:

«ماورد في المزمار الخامس والأربعين من مزامر داوود: يقول الله عز وجل لمحمد في الزبور: «أنصبت رحمتي على شفتيك من أجل ذلك...»ويقصد بذلك القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين..» [2] .

فمن خلال تلاوة ما جاء في هذه الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله السابقين يجد نفسه قد أجرى مقارنة ضمنية غير مباشرة بين ما ورد فيها من أمر النبي ﷺ بأن هذه الكتب السماوية كلها أجمعت واتفقت على التبشير بقدوم محمدﷺ خاتم النبيين من بني إسماعيل عليه السلام، بل بينت المكان والزمان الذي سيأتي فيه.

3-**إجراء مقارنة غير مباشرة من خلال سرد أقوال الأنبياء السابقين عن أمر محمدﷺ**

وورد في هذا أقوال كثيرة منها:

-قول عيسى عليه السلام: «أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به ». والبارقليط هو أحمد وهو الذي يخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحي الحواريين في القرآن ولستم تجدون ذلك في الثوراة ولا في الانجيل[3].

-قول أشعبا النبي عليه السلام: «قيل لي: أقم بطارا ما ترى بخبري قال: أرى راكبين أحدهم

---

[1] _ أنظر الملحق : ص: 43 .

[2] _ أنظر الملحق : ص: 42

[3] _ أنظر الملحق : ص:40

يقول لصاحبه سقطت بابل وأصنامها المنحوتة ".ولسنا نعلم نبيا ركب بعد موسى عليه السلام إلا محمدا ﷺ كثيرا [1].

ـ قول داوود عليه السلام: «الله بعث (جاعل السنة) كي يعلم الناس أنهم بشر يقول كي يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان، ولسنا نعلم نبيا وضع سنة تنسب إليه إلا محمد ﷺ أما عيسى فإنه نصب سنة موسى عليه السلام[2].

–قول حبقوق المتنبي زمان دانيال: «جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران وامتلأت السماء من تحميد أحمد وتقديسه ومسح الأرض بيمينه وملك رقاب الأمم، وقال أيضا: تضيء لنوره الأرض وتحمل خيله في البحر فإلى من ينحو هذا القول وإلى أين يذهب بهذا المعنى، إن لم يكن يقصد به محمد ﷺ فأنتم تاركون للحق وأنت تعلمون[3].

من خلال سرد هذه الأقوال تجرى مقارنة عقلية غير مباشرة لتجد إجماعا وتوافقا بين هذه الأقوال التي توحي وتعبر عن نبوة محمدﷺ دون اختلاف أو تعارض.

وهنا تكمن غاية الاحتجاج بالشرح عن طريق المقارنة بسرد الأقوال أو إمعان النظر بين أمور نراها عيانا أو ندركها إدراكا فإن اتفقت فإنها تدل على ثبوت الحجة وان اختلفت كذلك فإنها تدل على النقيض.

رابعا ـ الشرح بالتشبيه:

التشبيه هو إجراء مماثلة بين أمرين أو شيئين لوجود صفة مشتركة بينهما تسمى وجه الشبه وتكون في المشبه به أقوى من المشبه، فالتشبيه أشبه بإجراء مقارنة بين شيئين أو رأيين أو فكرتين فإن ثبت التوافق وكانت غاية المحاجج إثبات التوافق بينهما جاءت الحجة ملزمة، وإن ثبت الخلاف وكانت غاية المحاجج إثبات الخلاف جاءت الحجة ملزمة كذلك وإلا فالعكس صحيح

[1] _ أنظر الملحق : ص:40

[2] _ أنظر الملحق : ص:40

[3] _ أنظر الملحق : ص:41

ومثاله في المدونة ما يلي:

«**فإن قلتم إن محمدا ﷺ كان في قوة من عقله، وبيان فضله... إن خطأ قلوب العلماء كخطأ دائرة الرحى ليست العلماء بمخطئة إلا المرة والاثنتين كما لا تخطأ الرحى إلا الحبة والحبتين** ». أنظر الملحق: ص: 18 .

فقد شبه خطأ العلماء فيما يروون عن النبي ﷺ وعن دلائل نبوته وصدق رسالته بخطأ الرحى التي تطحن حبات القمح والشعير فإنها تصيب الجميع إلا الحبة أو الحبتين مما لا يؤثر على الطحين كله إذ أن هذا الخطأ لا يكاد يذكر، وفي هذا التشبيه حجة بالغة على أن ما ذهب إليه العلماء إنما هو صدق وصواب وجانب الخطأ فيه لا يكاد يذكر مما يعزز صدق نبوة محمد ﷺ ويقوي دلائلها.

وبهذا المثال فإننا نكتفي بما بيناه لفهم حجية الشرح بالتشبيه الذي يتقاطع كذلك مع الشرح بالمقارنة في هذا العنصر لأن الفكرة اتضحت لدى القارئ أو المتلقي.

خامسا – الشرح بالمثال واستحضار الأحداث.

المثال لغة: هو المقدار والقالب الذي يقدر على مثله:

أما اصطلاحا: فهو صورة الشيء التي تمثل صفاته، ومقابلة شيء بشيء: هو نظيره ووضع شيء ما ليتحدى به فيما يفعل [1].

ويشمل المثال: المثال القصصي والمثال التمثيلي والنموذج الحي من الواقع ويكثر استخدام المثال بأشكاله المختلفة في الخطاب الحجاجي بالأخص[2].

---

[1] _ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط1 1998م، مادة (مثل) ص 466.

[2] _ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابية العربية في القرن الأول نموذجا، افريقيا، الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، 2002م، ص 53.

وهو يختلف عن المعاينة في كون الأحداث والمثال أمور معلومة عند المخاطب أو المرسل إليه وإنما يحتاج للتذكير بها باستحضارها وذكرها له بينما المعاينة تحتاج إلى البحث والتقصي والتحري والتحليل لاستخلاص الحال التي عليها تلك العينة من أجل استخدامها كحجة أو دليل لإقناع المحاجج .

وهو عند أرسطو شكل من أشكال الاستدلال الثلاثة: القياس والاستقراء والمثال إذ يرتكز على نوعين هما: المثال الواقعي المستمد من الماضي والمثال التخييلي الذي يخترعه الإنسان مثل الحكايات والقصص والأمثال والحكم[1].

وهو يقوي أطروحة المتكلم من خلال تعليقها بمرجع تاريخي أو تمثيلي أو نموذج من الواقع يعضد المسار الحجاجي ويحدث التماثل بين الآليات الاستدلالية والمقاصد المآلية [2].

ومن الامثلة التي استخدمها الكاتب في هذه الرسالة باستحضار أحداث السابقين ما يلي:

المثال الأول:

«وإن قالوا إنما نعبد عيسى عليه السلام لأنه أحيا الموتى فما أحيا حزقيل أكثر وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب لأنه أحيا الموتى بعد مئات السنين وإن طلبتم ذلك في سير الملوك عن قصة اليسع أصبتموه إن شاء الله »[3].

فهنا استحضر المثال من الأحداث والوقائع التي مضت من حياة الأنبياء الذين سبقوا عيسى عليه السلام كحزقيل واليسع وإلياس وغيرهم في إحياءهم للموتى لدحض سبب عبادتهم لعيسى عليه السلام، بمعنى إن كان سبب عبادتكم لعيسى عليه السلام هو إحياؤه للموتى فمن باب أولى أن تعبدوا الذين سبقوه لذلك زمنا وعدداً، فباستحضار المثال بطلت حجة عبادتهم لعيسى عليه السلام.

---

[1] _ الحجاج عند أرسطو مقال ضمن أهم نظريات الحجاج، ص 100.

[2] _ الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص 309.

[3] _ أنظر الملحق : ص : 44 .

سادسا ـ الشرح عن طريق القياس المنطقي:

وقد سبق تفصيله في المبحث الثاني من الفصل نفسه

سابعاـ الشرح الذرائعي (السببي):

والمقصود بالشرح الذرائعي أي الشرح السببي أو هو: ما يتخذ ذريعة وسببا للوصول إلى النتائج وهو حركة فكرية تقوم على ربط الأسباب بالمسببات والاستدلال بالعلة على المعلول أو بالسبب على النتيجة أو بالوسيلة على الغاية.

فهو يقوم على وجود علاقة سببية يربط بها المتكلم بين أجزاء الكلام وبين الأفكار والقضايا والأحداث يجعل بعضها سببا لبعض[1].

ومثال هذا في الرسالة ورد كثيرا لا يمكننا حصره فيكفي أن نأخذ مثالا واحدا يكون دليلا عليه: **وإن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك في أول درابك به، وأهم شأنك به، فدعاك إلى الإسلام، وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتنجو من النار، فإن قبلت فحظك أصبت، ونجاتك أحرزت، ولك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإن رددت نصيحة أمير المؤمنين فيما الحظ في آخرتك، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح في عاجلتك من إعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم ويحرم بها سباءكم، ويجعلها قواما لمعاشكم وصلاحا لبلادكم وتوفيرا لأموالكم، وأمنا لجنابكم، وسعة لسربكم، وبركة على فقرائكم، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم**[2] .

فيلاحظ في هذا المثال قد ربط الأسباب بالمسببات، فجعل سبب إرساله هذه الرسالة له هو حبه للنصح والتوجيه وجلب الخير له بدعوته للإسلام والإيمان الذي هو سبب النجاة من النار ودخول الجنة، كما أن عهده الجديد به (بداية توليه الحكم) سبب في تعامله معه بالحسنى فإن

---

[1] _ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 327.

[2] _ أنظر الملحق : ص : 45 .

أبى عليه بدفع الجزية التي هي سبب في أمنهم ورغد عيشهم وصلاح بلادهم...وغيرها

ففي هذه الفقرة لخص لنا سبب الرسالة وفحواها والغاية منها وما يريده من ورائها لتعلق الأفكار ببعضها وترابطها بمسبباتها جعلتها تتسم بالوضوح والإبانة في المعنى والمضمون كما أنها حملت في طياتها حججا بالغة وبراهين ساطعة كفيلة بالتأثير والإقناع المؤديان إلي الإذعان والتسليم، فشكل هذا الغاية من استخدام الشرح الذرائعي (السببي) .

ثامنا: الشرح الحسابي:

هو استخدام العمليات الحسابية المنطقية من أرقام أو أدوات لغوية تدل عليها مثل الألفاظ الدالة على الأوزان والمقادير والمقاييس والأسعار وغيرها كا: (أكبر، أصغر)، (أقل، أكثر)، (أخف، أثقل)... مثال ذلك: كأن تقول: أخي أقل سنّا مني

ومن الأمثلة الواردة في الرسالة على الحجاج بالشرح الحسابي:

المثال الأول:

«إن قالوا: إنما نعبد عيسى لأنه أحيا الموتى فما أحيا حزقيل أكثر وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب لأنه أحيا الموتى بعد مئتين من السنين »[1].

فجاءت كلمة أكثر للدلالة على عدد أكبر من إحياء الموتى وفي هذا حجة أقوى لأنه من أحيا الكثير أحق بالذكر من الذي أحيا القليل.

والذي أحياها مباشرة بعد موتها أقل إعجازا من الذي يحييها بعد مئات السنين بعد أن أصبحت رفاثا.

[1] _ أنظر الملحق : ص : 44

المثال الثاني:

«بل أين تلك وهذه غير هذه من الآيات من حبس يوشع الشمس ثلاث ساعات»[1].

فإيقاف الشمس لمدة ثلاث ساعات من أعظم المعجزات وأكبر الدلالات على أن الأمر من عند الله إذ لا يقدر على ذلك أحد من البشر مهما كان ملكه وبلغ علمه وتعالت قدرته وهي حجة سيدنا إبراهيم على النمرود إذ قال له: " إن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر».

المثال الثالث:

«فكانت العير والنفير طائفتين: طائفة ذات عدة كثيرة وشوكة شديدة وطائفة ذات أموال رغيبة ورجال قليلة وفرصة ممكنة »[2].

فهنا جاءت عبارة "عدة كثيرة وشوكة شديدة " للتعبير عن القوة والشدة والمنعة وما يقابله من قلة الأموال والرجال مما يوحي بأنه ما كان لهم أن يواجهوا من هم في قوة وشدة وجبروت لولا يقينهم الراسخ بالنصر والغلبة لإيمانهم بصدق نبوة محمد الذي أعلمهم بوعد ربه له بالنصر والتمكين فقال عزّ من قائل: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنفال:07]

فإقبالهم على مواجهة الأعداء رغم ضعفهم وقلتهم خير حجة وأبين برهان على صدق نبوة محمد ﷺ.

---

[1] _ أنظر الملحق : ص : 44

[2] _ أنظر الملحق : ص: 22 .

تاسعا – الحجاج بالشرح الفرضي:

اعتمد مايير على التأسيس لنظرية المساءلة على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية أفضت إلى منهاج تساؤلي يقوم على مبدئين هما:

1–المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال.

تقوم كل الأقوال في العمليات الخطابية على مبدأ الافتراض المؤسس على السؤال والجواب المفترضين، انطلاقا من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية كالسياق والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية والتأويلات التخيلية إذ يصبح كل قول سواء كان:(خبرًا إنشاء، سؤالا، تعجبًا، نهيًا أم أمرا..) افتراضا لشيء ما داخل سياق تخاطبي معين أي أنه يعد جوابا عن سؤال سابق وسؤالا لجواب لاحق وبهذا يعبر الافتراض عن انتظارات متعددة ومختلفة تقضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها.

2–مبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال:

يقوم هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواصلا أو إقناعا، وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقية في العمليات التخاطبية ليس بإعتبارها تنوعات قولية في الشكل والمضمون بل باعتبارها اختلافات تحكمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيات السياقية والثقافية التي يتوفر عليها الذهن البشري.

ومثاله في الرسالة ما يلي:

«أكنت تقول فيما تجري الأقاويل به وتقع الآراء عليه إلا أنه أحد الرجلين إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول وقد دعا الحتف إلى نفسه»[1].

فهنا كاتب الرسالة انطلق من فرضية خصمه الذي يرى بأن محمد ﷺ ما هو إلا رجل كاذب إدّعى النبوة وافتعل الرسالة وخرج للناس بها وكأنما يقول له: حسنا لنفرض أن محمد ﷺ كاذب كما

[1] _ أنظر الملحق : ص: 7 .

تقول وتدعي بأنه جاهلا بالأمر الذي أتى به وعاميا عن الحق والصواب الذي جاء به ثم ينطلق للبرهان على صدق ذلك فيجد العكس: أوَ يُعقل أن رجلا يفعل هذا ولا يخاف أن تكون الأيام مخالفة لما يريد فتفضحه وينكشف أمره، أفلا يخاف أن تنغلب عليه القبائل وجماعات الأمم ولا يجد من ينصره حمية لأصنامهم وحسدا له من عند أنفسهم. فمحال أن يفعل هذا عاقل معروف بين أهله وقومه بالخلق الكريم والأدب الرفيع والعقل المنير فلا يخفى عليهم سره ولا يستثار عليهم حاله.

فإن فعل هذا فإنه مخبول مجنون قد دعى الهلاك إلى نفسه «**وأذن الله لقومه في قتله، فليست الأيام بمادة له ولا الحال بثابتة له إلا ريثما تستلحمه أسبابهم وينهض به حلماؤهم غضبا لربهم وأنفة لدينم وحمية لأصنامهم وحسدا من عند أنفسهم**»[1].

ومن ثمة فإن الاحتمال الأول قد بطل والفرضية التي انطلق منها قد ردّت فما بقي سوى الاحتمال المضاد والمعاكس. فليس للكذب ضد إلا الصدق وليس له احتمال معاكس إلا هو.

فجاء قوله: «**وإما صادق بصير بموضع قدمه، ومرمى نبله، قد تكفل الله عز وجل بحفظه وصحبه بعزه وجعله في حرزه وعصمه من الخلق**»[2].

فبهذه الطريقة في الشرح يمكن إبطال كل الفرضيات الخاطئة، والإدعاءات الزائفة والاعتقادات الباطلة فلا يبقى سوى ما هو حق وصواب يجعل المتلقي يدعن له ويقبله ويتبناه وهو الغاية المتوخاة من عملية الحجاج .

---

[1] _ أنظر الملحق : ص: 7 .

[2] _ أنظر الملحق : ص: 7 .

خلاصة الفصل :

تناولت في المبحث الأول لهذا الفصل التعريف بالمدونة (الرسالة) مدار البحث وصاحبها وكاتبها ومتلقيها مع ذكر الأسباب المؤدية لكتابتها أما المبحث الثاني فعالج تلك الاستدلالات العقلية والبرهانية التي اعتمدت على معقولية اللفظ باعتبار أن اللغة هي واجهة التفكير.

وختمت الفصل بمبحث ثالث أظهرت فيه الحجاج بالشرح والتفصيل باعتبارهما آلية من آليات الحجاج ووسيلة من وسائله وتمخضت النتائج بما يلي:

-كتابة الرسالة كان أمرا موضوعيا وضروريا ينبغي أن يكون قبل أية مواجهة أو رد فعل من هارون الرشيد باعتباره خليفة للمسلمين.

-الاستدلال العقلي لا ينبني على الحجة العقلية فقط بل يخاطب فكر المتلقي ومنطقه كما يسعى إلى التأثير الوجداني لذا تنوعت آلياته بتنوع المقام ومجال الاستدلال والغاية المرجوة منه.

كما أنه يراعي الفطرة المنطقية السليمة ترافقه إجراءات حجاجية متصلة بإنجازات لسانية وبلاغية تداولية.

-كما أنه ينفتح على أشكال غير محدودة من الاستدلال فكان منه الاستدلال بالقياس بأنواعه المختلفة والاستدلال بالاستقراء والاستدلال بالمعاينة وغيرها...

-أنه استدلال واضح سهل الإدراك ليس فيه تعقيد ولا صرامة يخاطب العقل ويحرك الوجدان.

-أما الحجاج بالشرح والتفصيل فهو شكل من أشكال البرهنة، وتقنية من تقنيات الحجاج حيث استخدم عدة وسائل منها:

-الشرح بالوصف والسرد وهذا من خلال وصف الظواهر المحيطة بالمتلقي أو تبيان الأوصاف المتعلقة بالشخص أو الشيء المراد البرهنة عليه، أو من خلال سرد الوقائع والأحداث التي من شأنها أن تكون دائمة ومؤكدة للحجاج.

-الشرح بالتعريف الذي ساهم في تحديد بعض الألفاظ والمفاهيم التي تحتاج إلى الشرح والبيان لإبعاد المفهوم الخاطئ الذي أخذ منها واستبداله بالصحيح.

-الشرح بالمقارنة وذلك من خلال إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين موقفين أو مفهومين او واقعيتين أو إظهار أوجه الاتفاق والتماثل، فتتشكل الموازنة والمفاضلة الحجاجية من جهة، وكذا اجتماع قوة التمثيل الحجاجية وقوة المقارنة الحجاجية من جهة أخرى.

-الشرح بالمثال واستحضار الأحداث وهذا من خلال استحضار واستدعاء الأمثال والأحداث للاستعانة بها في الحجاج لتحصيل التأثير والإقناع.

فكان الشرح بالتفصيل مسلكا من مسالك الحجاج أخذ أشكالا ونماذج مختلفة معتمدا على أدوات الحجاج المنطقية العقلية التي تبنى عليها منطق اللغة أي قام بالمزج بين الحجة اللغوية والعقلية في آن واحد.

الفصل الثالث

مستويات الحجاج اللغوي في الرسالة

المبحث الأول: الحجاج على مستوى الأدوات والروابط

المبحث الثاني: الحجاج على مستوى الكلمة المفردة

المبحث الثالث: الحجاج على مستوى الجملة

المبحث الأول: الحجاج على مستوى الأدوات والروابط اللغوية:

من أجل إقامة خطاب تواصلي حجاجي يهدف إلى الإقناع لا بد من الاستعانة بالأدوات اللغوية التي تعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه، وتوصله إلى غرضه من طرح الخطاب على ذلك المتلقي[1] ومن تم فإن المقصود بالأدوات اللغوية هي تلك الروابط التي تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج وهي ذات أهمية بالغة في الخطاب الحجاجي إذ تكسبه طاقة وقدرة حجاجية لما توفره من علاقات بين المقدمات والنتائج.

ومن هنا يرى (ديكرو): «بأننا نتكلم عامة لغاية التأثير والحمل على الإقناع والإذعان بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات إنما يحصل ذلك بالوسائل اللغوية وبما توفره من إمكانات طبيعية يمتلكها المتكلم باعتبار اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية»[2].

ويمكن أن نرصد نوعين من الأدوات هي: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية

أولا – الروابط الحجاجية:

تشتمل اللغة العربية على غرار اللغات الاخرى على عدة روابط حجاجية أهمها: (بل، لكن، إذن، حتى، لأن، بما أن، لاسيما، إذا، لكن، الواو، الفاء، اللام.....»[3].

وتكمن أهميتها في قيامها بدورين أساسيين هما:

-الربط الحجاجي بين قضيتين أو أكثر.

-الترتيب الدرجي بين الحجج قوة وضعفا[4].

كما يمكن تقسيم هذه الروابط حسب وظيفتها الحجاجية إلى فئتين

---

[1] _ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 411.

[2] _ أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص 56.

[3] _ المرجع نفسه، ص: 57.

[4] _ عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 508.

1-فئة تقوم بسوق الحجج وتلاحقها وتتابعها منها: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...)

2-فئة تقوم بسوق النتائج المترتبة عن هذه الحجج ومنها (لذا، إذن، لهذا، وبالتالي، ومنه...) [1].

ويمكن تقسيم الفئة الأولى إلى نوعين هما: روابط تربط بين حجج متساندة أي متعاونة ومتوافقة ومنها (حتى، لاسيما) وروابط تربط بين حجج متعاندة أي متعارضة منها: (بل، لكن، مع ذلك) وقد وردت في الرسالة روابط شتى لا حصر لها ولا يمكننا أن نخص كل واحدة منها بالدراسة لكثرتها ولكن نكتفي بالوقوف على بعضها بإبراز مدى حجيتها في الخطاب وقوة تأثيرها في الإقناع والإلزام بالتصديق والإذعان منها:

1-لكن:

هو حرف مشبه بالفعل من أخوات **إنّ** تدخل على الجملة الإسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها، وفائدتها الأساسية هي الاستدراك: وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه، فهي تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها لذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها[2].

قال الزمخشري: «لكن: للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا، فتستدرك بها لنفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي»[3].

ومن أمثلة ذلك في الرسالة

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما ينازعك ويحاجك فيه حكما غير عقلك ولا قاضيا سوى نفسك ولكنه يذكرك الله الذي إليه معاذك وعليه حسابك كما جعَلتَ التفهم لمسألته

---

[1] _ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية، مقال ضمن الحجاج مفهومه، ص 101.

[2] _ المرجع نفسه، ص 103.

[3] _ الزمخشري، الكشاف، ، مصدر سابق، ص. 324.

من بالك وركّبت حدودها في جوابك[1].

فهنا أراد هارون الرشيد أن يبين لخصمه الذي يريد أن يحاججه بأن يستخدم عقله في قبول الحجج التي ألقيت عليه بأن يتمعن فيها ويقبلها بعقله فتقرُّ بها نفسه، لأن النفس أحيانا تأبى وترفض ما يعترف به العقل أنفة واستكبارا، وجحدا وإنكارا، لأنه يرى في ذلك في نظره هزيمة أمام خصمه وإذلالا له وإذعانا، لذلك استدرك كلامه بالرابط "**لكن** " ليحرك فيه إيمانه بالله وخوفه منه ويذكره بالآخرة وما ينتظره فيها من حساب وما سيلاقيه فيها من عقاب إن هو خالف أمره وركب هوى نفسه، فهذا هو الرادع الوحيد لاستكبار النفس وجحودها والعامل الأساس لاعترافها بالحق والصواب وإذعانها له بالرضا والقبول والتسليم، فكان بهذا الاستدراك قد أتى بحجة أقوى بكثير من الحجج السابقة التي لم يكن ينقصها البيان والوضوح فهي واضحة وضوح الشمس بالقدر الذي ينقصها من الاعتراف والإذعان والقبول، فقد وضع الأصبع على مكمن الدّاء، وألقى الحجة في المرمى الصائب والصحيح.

وقد بيّن الله لنا في كتابه طبيعة وحال هذه النفس المنكرة الجاحدة للحق، الرافضة للاعتراف بالصواب بعد استيقانها له، إذ يقول:﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 13]

الحجة الأولى:

لا تجعل فيما أحاجّك فيه حكما إلا عقلك

عقلك لا يرفض هذا

الحجة الثانية:

=ولكن نفسك هي التي ترفض وتأبى.

فاجعل خوفك من الله هو الدافع لنفسك للاعتراف

---

[1] _ أنظر الملحق :ص:10 .

ـ عقلك لا يرفض هذا أنت تقر بنبوة محمد لكن نفسك هي التي تأبى الإقرار والاعتراف.

وقد كشف الله تعالى جحودهم وإعراضهم عن الاعتراف بعد استيقانهم للآيات في أنفسهم فقال عزّ من قائل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: 13-14] .

﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 64-67] .

فهنا تم الانتقال من حجة أقل إلى حجة أعلى وأقوى وهي أن العقل والنفس يقرّان بنبوة محمد ﷺ ولكن النفس تأبى الاعتراف والاستسلام إلى الحق والصواب تكبرا واستعلاء وتعجرفا.

«لا تجعل حكما غير عقلك ولا قاضيا إلا نفسك. ولكن يذكرك الله الذي إليه معادك وعليه حسابك»[1].

المثال الثاني:

«ولا تغلق أبواب الفهم عنك فإن اللسان لك مداول حيث شئت ومنقاد تصرفه فيما هويت ولكن انصب نفسك للفهم وأنت شهيد وأرد الحق وقبوله فيما تريد فإذا تصورت البنيات مجسدة في قلبك وتبينت الحجج ممثلة لنظرك قد أضاء ثوابها لك وقرع حقها قلبك فاجعل القول بها شعارا للسان به متصلا وافهم المسألة فهّمك الله الحق وجنبك الجحد »[2].

فهنا يوجه له النصح بعدم غلق أبواب الحوار والاستماع للحق والوقوف على الصواب وعدم البقاء على ما هو عليه من فهم واعتقاد خاطئ، موجها له الكلام بقوله: واعترف بلسانك بما تراه

---

[1] _ أنظر الملحق : ص :10 .

[2] _ أنظر الملحق : ص :10 .

صوابا عندك واقضي فيما هو ملك لك ورهن إشارتك لا ينطق إلا بما شئت وهويت.

فجاء ما قبل **لكن** مناف لما بعدها مما شكل درجة أعلى في السلم الحجاجي ومن ثم جاءت الحجة أقوى بعد لكن.

-انصب نفسك للفهم وأنت شهيد.

-لكن.

-لا تغلق أبواب الفهم عنك. لا تغلق على نفسك أبواب الفهم لكن انصب نفسك له.

المثال الثالث: «**فأما الخواص المعروفة لدينا، المعلومة عندنا التي أخذها الأبناء عن الآباء وقبلها الاخلاف عن الأسلاف فأمور قد كثرت البينات فيها وتداولت الشهادات عليها وتثبت الحجج بها وتراخت الأيام ببعضها حتى رأيناه عيانا وقبلناه إيقانا فهي أظهر فينا من الشمس وأبين لدينا من النهار ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها ولم ينقل الآباء إليكم علمها**»[1].

فهو يبين له بأن آيات نبوة محمد وعلامات رسالته ظاهرة بنية لا تخفى على أحد فهي عند العرب معروفة معلومة بادية واضحة وضوح الشمس وبينة كطلوع النهار ولم ينكرها أحد من الأبناء عن الآباء، ومن الأتباع عن الأسلاف. لكنها لم تصل إليكم أخبارها، ولم ينتقل إليكم أسماعها بمرور الأزمان عليها، فغيابها عن أذهانكم وأسماعكم لا يعني عدم ثبوتها وبيانها فهي حقيقة ثابتة لا مناص من إنكارها أو ردها.

- لم تصلكم أخبارها فقط فهذا لا يعني أنها غير واضحة
- ولكن
- العلامات والبينات الدالة على نبوة محمد ظاهرة للعيان.

[1] _ أنظر الملحق :ص : 8 .

2 – حتى:

تعد من أدوات السلم الحجاجي نظرا لدورها في ترتيب منزلة العناصر وما تحتويه معانيها واستعمالاتها من سلّمية بينة وهي نوعان:

–حتى الجارة: وهي تعني انتهاء الغاية على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب وهي: الأول أن يكون ظاهرا في الغالب والثاني أن يكون آخر جزء أو ملاق لآخر جزء وأن يكون المجرور بها داخلا فيما قبلها على الغالب وأن يكون الانتهاء به أو عنده.

–حتى العاطفة: يراعي المرسل هنا شروط المعطوف وهي شرطان

1–أن يكون ما بعدها جزء من ما قبلها أو بعضه.

2–أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، وهذه الزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير[1].

ومثال ذلك:

قهرنـــاكم حـــتى الكمـــاة فـــإنكم لتخشـــوننا حـــتى بنينـــا الأصـــاغرا

- الكماة
- حتى
- قهرناكم.

-بنينا الأصاغر
-حتى
- تخشوننا

هذه الحجة الأقوى على الإطلاق لأن خوفهم من الأبناء دلالة قوية على ضعفهم وهو أنهم

[1] _ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص 457.

أمام قوتنا قد قهرناهم[1].إذ أن خشيتهم من أبنائنا أقوى حجة من من قهرنا لهم ولكماتهم.

المثال:

«ما من أحد يقرع بآيات النبوة قلبه، ويحصن ببينات الهدى عقله، إلا قادته حتى يؤمن بمحمد ﷺ لا يجد إنكارا مما جاء به من الحق سبيلا، فأردت أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد ﷺ وحقه....» [2].

ما من أحد يطلع على آيات النبوة ويتفحصها بعقله ويتدبرها بقلبه إلا أوصلته إلى الحقيقة الثابتة بأن محمد ﷺ هو رسول الله الذي أرسل للناس كافة لا مجال للشك أو الإنكار في أمره.

فهنا جاءت (**حتى**) للغاية فهي جارّة وليست عاطفة لأن ما قبلها يؤول إلى ما بعدها كلية فما بعدها حجة أقوى ومن هنا يمكن تمثيلها في السلم الحجاجي.

- أن يؤمن بمحمدﷺ لا يجد إنكارا لما جاء به من الحق سبيلا.
- حتى.
- ما من أحد يقرع بآيات النبوة قلبه ويحصن ببينات الهدى عقله.

فالحجة الأقوى بعد الرابط (**حتى**) وهي تشكل نهاية الغاية وهي الإيمان بمحمد وما يؤكد ذلك ويقويه، وهو ألا يجد مكانا للشك أو الإنكار بعد أن تمعن بعقله وقلبه في هذه البينات التي ستقوده حتما إلى النتيجة المبتغاة من طرف المحاجج.

---

[1] _ حسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ص 542-543.

[2] _ انظر الملحق : ص :5 .

3 – الواو:

هو من أهم الروابط الحجاجية لأن له دوران مهمان في العملية الحجاجية:

أولهما: الجمع بين الحجج عن طريق العطف.

ثانيهما: يقوي الحجج بعضها ببعض من خلال الربط الحجاجي بين الحجج المتساندة وترتيبها ووصل بعضها ببعض فتقوي كل حجة منها الاخرى ويعمل على الربط النسقي أفقيا عكس السلم الحجاجي [1].

والأمثلة كثيرة نكتفي بذكر مثال لتتضح الفكرة.

المثال:

وكيف تؤمن القلوب، وتقر العقول، أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا وحكما جاء: من آيات متشابهة، وسور متوالية، وهو صاحب أسفار مترامية، وأخو حرب دائمة،، لا يبطئ لفظه، ولا يسقط حفظه، لولا أن الله عزّ وجلّ كفاه أن يحرك به لسانه، ضمن له جمعه وقرآنه...وأما قولهم في الخط وإكثارهم في الكتاب، فإن الله عزّ وجل جعله أميا ليثبت حجته ويصدق مقالته ولئلا يشك المبطلون في أمره، ويقولون تعلمه من غيره[2].

ففي هذا المثال توجد عدة واوات منها العاطفة التي تجمع بين الحجج في قوله: آيات متشابهة وسور متوالية وهو صاحب أسفار مترامية، وأخو حرب دائمة...أي أنه رغم هذه المتفارقات التي اجتمعت فيه فإنه لم يتخلف عنه لفظ القرآن، ولم يسقط حفظه عن لسانه، فجاءت هده الواوات لتجمع شتات الحجة وأجزائها لتحقق حجة متكاملة. وأما الواوات الأخرى في قوله: وأما قولهم، فجاءت لتربط بين الحجة الأولى والثانية وهي أمية النبي ﷺ .

---

[1] _ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 289.

[2] _ أنظر الملحق :ص :16

ثانيا – العوامل الحجاجية:

هناك فرق بين الروابط الحجاجية (les connecteurs) والعوامل الحجاجية (les opérateurs) فالروابط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر، أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموع الحجج بل تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون في قول ما.

وهي أدوات من قبل: «ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، (ما..إلا) وأدوات القصر والحصر...)[1].

فالعامل الحجاجي يقوم على الاقتضاء، ومثاله كدت أن أفوز في السباق، فالملحوظ يقتضي عدم الفوز في السياق، فالعامل **كدت** هو الذي أكد هذا الاقتضاء وبينه مثال ذلك في المدونة:

العامل: (ما....إلا) (لا، إلا).

وما...إلا: من العوامل التي تترتب فيها الحج حسب درجتها الحجاجية فهما يوجهان القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهو ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه[2].

وهما من طرق القصر في اللغة الذي يأتي للإثبات بالتخصيص أي يخصص صفة معينة بموصوف معين.

يقول أبو البقاء الكفوي: «والقصر في الاصطلاح جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت إنسانية أو غيرها بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة » [3].

أداة النفي–نتيجة–أداة استثناء–تدعيم وحجة.

المثال (1):

ألا نعبد إلا الله، فالعامل: (ألا.... إلا) له دوره في الحجاج الفعال إذ أن بالأولى ثم بها نفي العبودية تماما لأي شيء كان.

---

[1] _ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 27.

[2] _ المرجع نفسه، ص 27.

[3] _ أبو البقاء الكفوي، الكليات، عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص 7163.

أما الثانية فكان التخصيص بـ لفظ: إلا وهو درجة حجاجية أعلى، إذ لم تبق لأحد الأحقية بالعبادة إلا لله تبارك وتعالى .

المثال(2): ولا الحال بثابتة له إلا ريثما تستلحمه أسبابهم وينهض به حلماؤهم[1].

أي لا يتثبت على ما هو عليه من حال إلا حينما تجمعهم الأسباب باتخاذها من قبل اتباعه وينهض بذلك حكماؤهم وصُلاحهم.

وهنا العامل: (لا.... إلا) فقام بالنفي ثم استثنى من ذلك بـ: **إلا**

المثال(3): لا تجعل فيما أحاجّك فيه حكما إلا عقلك[2] .

أي يحثه على استخدام عقله وإبعاد هواه فإن فعل ذلك فإنه سوف يهتدي إلى الحق والصواب وهو المبتغى من محاججته .

فكان بذلك حجة قاطعة وحجاجا فعالا من خلال هذه العوامل.

ثالثا – درجات التوكيد:

وقريب من ذلك استعمال التوكيد، بترتيب درجاته لغويا وذلك عند إنتاج الخطاب الخبريّ في ثلاث درجات من التوكيد طبقا لثلاثة سياقات كما يصنفها السكاكي [3].

1–الخبر الابتدائي: وهو أن يأتي الخبر من دون مؤكدات تأكده باعتبار أن المخاطب خالي الذهن من الخبر ومثاله في الرسالة:

ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاما للعباد، لما أقرت الأعداء بفضله ولا عجزت القبائل طرّا عن مثله، وهو يناديهم في الكتاب، ويتحداهم في الوحي، بصوت رفيع، ونداء سميع فيقول: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 110-111]

---

[1] _ أنظر الملحق :ص :7 .

[2] _ أنظر الملحق : ص : 10

[3] _ السكاكي مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 170-171.

وهم فرسان الكلام، وإخوان البلاغة، وأبناء الخطب، وأهل عداوة له وبغي عليه فتستحسر الأبصار، وتثقل الأسماع، وتنعقد الألسن، وتخرس الخطباء، وتعجز البلغاء، وتحار الشعراء، وتستسلم الكهّان[1].

في هذا المثال يلاحظ عدم استخدام أي نوع من أدوات التوكيد إلا أن الحجة قائمة إذ أن عجزهم عن الإتيان بما جاء به وهم أهل بلاغة، وأصحاب خطابة وبيان خير دليل وأبلغ حجة عن صدق نبوته فالموقف لا يحتاج إلى توكيد أو إثبات.

2–**الخبر الطلبي**: هو كون الخبر معلوم يحتاج إلى تأكيد وإثبات، أي إلى حجة ودليل ومثاله:

فإن من أبين آيات الوحي، وأدّل علامات النبي (ﷺ) أنه لا يبتدع في الدين أمرا من تلقاء نفسه، ولا يتقدم في الأمور بين يدي ربه، والله أظهر فيما أنزل من الكتاب أمورا كان يحسبها ﷺ مستورة، تأديبا له وإخبارا لمن آمن من بعده[2].

فهنا استعمل في كلامه توكيدات من أجل أن يبرهن بأن الوحي كان من عند الله لا من عنده وهي درجة أعلى في الحجة

3–**الخبر الإنكاريّ**: قد يكون المتلقي منكرا للخبر فهو يحتاج إلى توكيده أكثر بمؤكدات أقوى ومثاله:

لعمر الله لئن اتهمت عقول الأساقفة على دينك، واهتممت بالنظر في توحيدك، لتعلمنّ أن الواحد لا يكون ثلاثة، وأن الثلاثة لا تكون واحدا[3].

فهنا المتلقي كان منكرا لفكرة أن الله واحد، ويعتقد أنه ثالث ثلاثة (الله، وروح القدس وعيسى) فجاء ليؤكد له بعدة مؤكدات بأن هذا محال فلا يكون الواحد ثلاثة ولا الثلاثة وحدا فلا يقبله عقل ولا منطق فاستعمل القسم (لعمر الله، لئن، لتعلمنّ، أن) وهي درجة أعلى من سابقاتها في الحجاج .

---

[1] _ أنظر الملحق : ص :14 .

[2] _ أنظر الملحق : ص :34 .

[3] _ أنظر الملحق : ص :37 .

المبحث الثاني: الحجاج على مستوى الكلمة:

يتكون المنجز اللغوي في أية لغة مهما كان طوله أو شكله من مكونات ذات قيمة دلالية هي: الصوت والكلمة والجملة والموقف.

حيث ترتبط فيما بينها بعلاقات ترابطية ودلالية، فالأصوات تتألف فيما بينها لتكون كلمة والكلمة هي المكون الرئيسي للجملة، ومن أجل تحليل هذه الجملة لإبراز العلاقات التي تحكمها لا بدّ من النظر إلى الكلمات المشكلة لهذه الجملة حتى يتم الوصول إلى الرؤية الكاملة والشاملة للمنجز اللغوي [1].

فالكلمة إذن هي: وحدة لغوية تؤدي معنا مستقلا في ذاتها، ومعنى إضافيا مع مثيلاتها ينجم عن السياق (الموقف)، فهي تعدّ اللبنة الأولى والأساسية في بناء الجمل (الكلام).

فهي عند سيبويه: (ت180 هـ) اسم وفعل وحرف، حيث قسم الكلام إلى هذه الأقسام الثلاثة: «اسم وفعل وحرف جاء بمعنى ليس باسم ولا فعل «[2].

وهذا من الوجهة النحوية الوظيفية للكلمة دون أخذ الاعتبار لخصائصها اللغوية.

وعند الزمخشري (ت هـ): «الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع».

فاللفظ يشمل المهمل والمستعمل من الكلمات، كما بيّن ذلك ابن يعيش (643هـ) بقوله: «فاللفظة جنس الكلمة وذلك لأنها تشمل المهمل والمستعمل «[3].

فالكلمة إذن ما دلت على معنى مفرد بالوضع، أي وضعت لذلك المعنى المتعارف عليه، ولم يخرج ابن الحاجب عن تعريف الزمخشري للكلمة إلا أنه اختزلها في قوله: «لفظ وضع بمعنى مفرد»[4].

---

[1] _ ردة الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1423هـ، ص 282، 285.

[2] _ تمام حسان مناهج البحث في اللغة، مكتبة النشر للطباعة والقاهرة، دط، 1989، ص 225.

[3] _ ابن يعيش المفصل ، مصدر سابق، ج1، ص 18.

[4] _ جمال الدين بن عثمان المدعو ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص 11.

ومما سبق من هذين التعريفين للزمخشري وابن الحاجب يمكن استخلاص ثلاثة شروط لتحقيق الكلمة هي:

1-التلفظ بالكلمة للاحتراز من الإشارة والخط وغيرها.

2-دلالة المعنى بالوضع أي الدلالة بالمواضعة اللغوية.

3-إفراد المعنى، أي الاستقلال بدلالة محددة.

أولا-الحجاج على المستوى الصوتي للكلمة:

الصوت لغة: الجرس، والجمع أصوات: وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع[1].

وعرفه ابن جني بقوله: «عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فتسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»[2].

فلكل حرف جرس صوتي مختلف بحسب اختلاف مقاطع الأصوات، كما أنه ربطه باللغة فعرفها بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[3]، أي جعل الصوت لغة الغرض منها التواصل والتداول.

أما الخليل (ت 175هـ): فقد خلص في بحثه عن الخصائص الصوتية لكل حرف من الحروف بأنه ثمة صلة تفاعلية حقيقية بين الأفكار والأصوات، وهو ما بينته الدراسات اللسانية الحديثة إذ يرى "دي سوسير" بأن: «المادة الصوتية ليست أكبر ثبوتا ولا أشد تحديدا من الفكر، وهي ليست قالبا يصب فيه الفكر بالضرورة، بل هي مادة مرنة تنقسم في كل حالة إلى أجزاء متميزة لتوفر الدوال التي يحتاج إليها الفكر، وبهذا يمكن تصور حقيقة اللغة على أنها سلسلة من

---

[1] _ ابن منظور لسان العرب مصدر سابق، ج2، ص 57 مادة (ص.و.ت).

[2] _ ابن جني أبو الفتح عثمان، ..الاعراب، دراسة وتحقيق حسن هناوي، دار العلم، دمشق، ط2، 1993، ج1، ص 6.

[3] _ ابن جني، الخصائص، محمد علي النجار عالم الكتب، بيروت، ط1، 2012، ص 67.

التقسيمات المتجاورة حددت على مستويين: مستوى الأصوات، ومستوى غير محدد للأفكار المتراكمة»[1].

وقد ذكر ابن جني أحوال الأصوات والحروف من حيث: «مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومنفحتها، وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها، ومنحرفها ومشربها ومستويها ومكررها ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك من أجناسها»[2]، وهذا كله منضوي تحت علم اسمه علم الأصوات الذي يدرس بكل دقة مخارج وصفات الحروف وخصائصها، والفروق بينها في الصوت والحركات والسكون إلى أن صارت مقاطع صوتية، وألفاظا منطوقة وأسماء معرفة..

ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: ما علاقة الصوت والموسيقى الناجمة عن تتابع الأصوات من خلال الكلمات والعبارات بالحجاج، وهل له دورا في التأثير والإقناع وتفعيل الحجاج؟

وفي الجواب عن ذلك تقول سامية الدريدي: «يمكن اعتبار الموسيقى رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس، وامتلاك الأنغام للأسماع، وما كان أملك للسمع كان أفعل باللب وبالنفس»[3].

فالنفس إذن من فطرتها أنها تطرب لأصوات الحروف عند ائتلافها في الكلمات والتراكيب إذا ما وفق قائلها في اختيارها، وحسن نظمها وترتيبها، فهي قادرة على إثارة المشاعر، وإيقاد الانفعالات وتحريكها، فيتولد عن ذلك استجابة سلوكية أو عقلية أو انفعالية.

كما أن للصوت القدرة على إثارة الخيال حين يقع في الأذن فيرسم صورة ذهنية أو حسية

---

[1] _ فريدنار ديسوسير، علم اللغة العام، ترجمة بونيل يوسف غرار، مراجعة مالك يوسف المطلبي، دار الآفاق العربية، بغداد، ط:3، ص 131، 132.

[2] _ ابن جني، سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ج1، ص 04.

[3] _ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 127.

للمعنى والخيال، فعند سامية الدريدي: لا يتعارض مع الحجاج بل يقتضيه اقتضاء، ومن ثم أضحت موسيقى الكلمات وأصواتها عنصرا مساعدا على انجاز عملية الحجاج والإقناع [1].

وهذا ما أشار إليه ابن الأثير حين تحدث عن الجانب الصوتي في صناعة الألفاظ فقال: «فاعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج، ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، واستلموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلين بأصناف الحلي[2].

فكلما ترتبت الألفاظ وتنظمت، وأحسن سبكها جاءت المعاني مجسدة بأصواتها وصورتها كأنها مشهد مرئيٌ، له وقع في إذعان النفوس وتأثيرها وإقناعها.

وهذا ما نلمسه من خلال قراءتنا للرسالة، أو سماعها ممن يقرأها علينا أنها تحمل أصواتا رنّانة عذبة، وموسيقى لافتة ومؤثرة تستجلب النفوس للسماع، والعقول للتدبر والتمعن والتتبع مما يوصل الفكرة، ويزيل الغشاوة، ويلقي بالحج، ويدلي بالبينة فيحصل التأثير والإقناع.

وأمثلة ذلك في رسالتنا كثير، يمكن أن نبين بعضه لتوضيح الفكرة وإثباتها.

المثال الأول:

«وكنت من كتب الله المنزلة، وآياته المفسرة، وخلقه الكثير، بحيث رجا أمير المؤمنين اسماعك لموعظته، وانتفاعك لمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم...فأحب أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك إلى كلمة سواء....» [3].

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 126.

[2] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية (د.ت)، ج1، ص 195،

[3] _ أنظر الملحق :ص :1 .

ففي هذا الكلام ألفاظ توحي بمعاني الرحمة والمحبة والود وحب الخير،والانبساط وجلب الاستعطاف، وتحريك مشاعر المتلقي مثل كلمة (**رجا**) أي تمنى أن يسمعك موعظته لتنتفع بها، فحروفها متجاورة توحي بالرخاوة والعطف، فالراء يوحي باهتزاز المشاعر وتحريكها وتدفقها أثناء محبة الخير للمتلقي.

وكذلك كلمة (**دعوتك**) فلا تكون الدعوة إلا للأحباب، ولمن لهم مكانة وقدر عند المدعو فلمجرد أن يدعوك أحد إلا وتشعر بأن لك قيمة واحترام وقدر عند الذي دعاك، كما أن توالي حركات الفتح تدل على الانبساط والانطلاق مع كلمة (الدعوة).

وتوحي كلمة (موعظة) بجلب الخير والنصح، وهذا لا يكون إلا لمن يراد بهم الخير، أما الآخرون فإننا نحذرهم وننذرهم، فكانت حروفها فيها حنية وحب الخير تستنهض أحاسيس تجعل المتلقي يميل ويركن ويتقبل ويتأثر وهو الغاية من الحجاج.

وكلمة "**فأحب** " «كذلك لها تأثيرها الفعال فهو بدل أن يقول أراد أمير المؤمنين إسماعك موعظته قال (أحب) لما توحيه كلمة (حب) من مشاعر الود والقرب والعطف، فحروفها كلها مفتوحة مما توحي بالانبساط والارتياح، (والباء) المشددة توحي باهتزاز المشاعر وتحريكها.

المثال (2):

«**وأن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك في أولى درابك به، وأهم شأنك لك فدعاك إلى الإسلام، وأمرك بالإيمان، الذي به تدخل الجنة، وتنجو من النار، فإن قبلت فحظك أصبت ونفيك أحرزت،ولك ماللمسلمين، وعليك ما عليهم**»[1].

ففي هذا المثال استخدم أسلوب اللين والرحمة كذلك بإظهار حب النصح والتوجيه، وخاصة حينما كان عهده به جديدا، فليس بينهما شحناء ولا بغضاء ولا عداوة باتخاذه كلمات توحي بحب الخير له، والحرص على ما ينفعه مثل: كلمة (**ينصح**) التي صفات حروفها كلها تدل على

[1] _ أنظر الملحق :ص:45

الرخاوة والاستيفال، وكذلك عبارتي: **"تدخل الجنة وتنجو من النار"** التي حروفها كلها توحي باللين والرحمة وحب الخير مما يجعلها تحرك مشاعر الحب لدى المتلقي، وتغير نظرته لمرسل الرسالة فيتأثر بكلامه، فيقبل عليه، ويتبنى دعواه .

ثانيا: الحجاج على المستوى الصرفي للكلمة:

الصرف لغة: هو رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره، وصرفه: جعله يتقلب في أنحاء كثيرة وجهات مختلفة، وتصريف الرياح والسحاب والقلوب هو تحويلها من جهة إلى أخرى[1].

أما اصطلاحا: هو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي[2]، والغرض المعنوي يكون بتحويل الكلمة إلى بنية مختلفة لتدل على معان مقصودة كتحويل المصدر إلى اسم فاعل أو اسم مفعول، أو كالتحويل إلى التثنية والجمع والتصغير وغيرها، أما الغرض اللفظي فالمراد به التغيير الحاصل بقصد التخفيف أو الإلحاق أو التخلص من التقاء الساكنين[3].

والصرف يتعلق أساسا بتحديد المتغيرات الداخلية الطارئة على بنية الكلمة أيا كان موضعها سواء أكانت سابقة أم لاحقة، أم واقعة داخل السلسلة الصوتية للكلمة العربية، وهذه المتغيرات الداخلية هي التي تشكل مدار المسألة الصرفية التي هي أساس تكوين المعنى[4]

كما أن الصيغة الصرفية للكلمة تعد أداة من أدوات التأثير في الخطاب الحجاجي بما تضيفه من معاني جديدة إلى المعنى المعجمي، فالمتكلم يختار صيغة صرفية دون أخرى ليعبر عن موقفه تجاه موضوع الخطاب أو الرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي، مراعيا في ذلك اختيار الصيغة الأنسب للسياق، فالصيغة الصرفية ترتبط بما ترد فيه من تراكيب نحوية، فهي تعكس الخصائص الوظيفية

---

[1] _ ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (ص، ر، ف)، ص189،

[2] _ عبد الله جمال الدين بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك المكتبة العصرية، بيروت، د، ط، د، ت، ج4، ص360.

[3] _ أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان، الرياض، (د، ط، ت)، ص 42.

[4] _ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط: 02، 1998: ص82

للتواصل إذ يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية والحجاجية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في مقامات معينة، فأبنية الكلمات قد تتحول إلى رافد إقناعي مهم إذا ما روعي التلاؤم بينهما، وبين الحجج الاستدلالية غير اللغوية في الخطاب[1].

ومن بين الصيغ الصرفية التي برزت في بعض السياقات بوظيفة حجاجية مايلي:

1) اسم الفاعل:

يشتق اسم الفاعل من الفعل الثلاثي (فعل) على زنة (فاعل) ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة إن لم تكن مضمومة، وكسر ما قبل الأخير مطلقا سواء أكان مكسورا في المضارع أو مفتوحا[2].

وهو يعمل عمل الفعل، أي: ما يجري مجرى الفعل في اللفظ والمعنى، فأما في اللفظ فإنه جار عليه في حركاته وسكناته، وأما في المعنى فدلالته على الحدث، وعلى الزمن كما يدل الفعل[3].

وقد اختلف النحاة في دلالة اسم الفاعل، فمنهم من يرى أن الأصل فيه قصد الحدوث أما الثبوت فطارئ، وإذا قصد به الثبوت لا الحدوث أصبح صفة مشبهة ويعمل عملها، وإذا قصد بالصفة المشبهة الحدوث يجاء بها على صيغة اسم الفاعل[4].

ومنهم من يرى أنه يعامل معاملة الإسم فيكون دالا على الثبوت لأن الإسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني "إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء"[5].

---

[1] _ سامية الدريدي الحجاج في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 106.

[2] _ عبد الله جمال الدين بن هشام، أوضح المسالك، مصدر سابق، ج3 ص 245

[3] _ المصدر نفسه، ج3: 216

[4] _ شدا العرف، مصدر سابق، ص 125

[5] _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 174

أما السامرائي فقد بين بقوله: «يقع اسم الفاعل وسطا بين الفعل والصفة المشبهة، والفعل يدل على التجدد والحدوث فإن كان ماضيا دل على حدوثه في الماضي، وإن كان حالا أو استقبالا دل على ذلك، أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فإن كلمة قائم أدوم وأثبت من قام ويقوم».

ومن هذا كله تبين أن لاسم الفاعل دورا في الحجاج لما يحمله من إثبات ودوام يدعمان الحجة ويرسخان البرهان.

مثاله في الرسالة:

«**لما جعلت التفهم بمسألته من بالك، وركّبت حدودها في جوابك عادلا بالقسط، قاضيا بالحق قائلا بالصدق، ولو على نفسك، ناظرا بالأثرة لدينك**»[1].

أراد هنا أن يبين له أنه إذا كان قد تفهم الرسالة التي دعاه إليها بعقله، وأخدها في حسبانه ورتبها برسم حدودها وفق العدل والقسط والقضاء بالقول الصادق، ولو على نفسه بإيثار الدين وتفضيله بالنظر السليم، فإن ذلك موجب للحكم الرشيد، والتدبير السديد، والعيش السعيد.

فاستخدام هنا عددا من أسماء الفاعل: (عادلا، قاضيا، قائلا، ناظرا) بدلا من الأفعال لأن في ذلك من الاستمرارية والديمومة في الحديث مما يجعل الحجاج أكثر أداء وتفعيلا.

جدول يوضح الصفة المشبهة واسم الفاعل واسم المفعول في الرسالة:

المثال	النوع	الوزن	الغاية الحجاجية
وينهض به حلماؤهم **غضبا** لربهم و**أنفة** لدينهم و**صحبة** لأصنامهم وحسدا من عند أنفسهم، وإما **صادق** بموضع قدمه ومرمى نبله لا يضره خذلان **خادل**	صفات مشبهة اسم فاعل	**فعل فعلة** **فعل فاعل** **فاعل**	**إبراز اجتماع الناس ضده وإصراره على أمره خير دليل على صدق نبوته**
ولكن انصب نفسك للفهم وأنت **شهيد**	صفة مشبهة	**فعيل**	

[1] _ أنظر الملحق :ص:10

ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان **يتيما ضعيفا أجيرا ساهيا لاهيا عائلا خاملا** .	صفات مشبهة اسم فاعل	**فعيل** **فاعل**	**إظهار بأن الحالة الاجتماعية والتعليمية والثقافية والنفسية والأخلاقية التي كان يعيشها النبي محمد ﷺ لا تؤهله بأن يزعم النبوة ويدعيها من تلقاء نفسه إنما هي من عند الله**
...خرج إلى العرب عامة والقبائل كافة **وحيدا طريدا شريدا، مخدولا مجهولا مخفوا مرميا** بالعقوق لآلهتهم **مقذوفا** بالكذب على أصنامهم **منسوبا** إلى الهجر لأديانهم.	صفات مشبهة اسم مفعول	**فعيل** **مفعول**	
فما كان محمد ﷺ وهو **عارف** بها غير **جاهل** لها ليقول فيها حقا وينتحل فيها إلا صدقا	اسم فاعل	**فاعل**	
قالوا كان محمد ﷺ **كاهنا حاذقا وسائرا ماهرا** يشبه بالخيال ويأخذ بالأبصار .	اسم فاعل	**فاعل**	
لولا أنه **محدود مخلوق مجزأ مبعض** لما جاز هذا القول فيه	اسم مفعول	**مفعول**	
لأن كتب الله عز وجل **محفوظة** وحججه **محروسة** لا إثراء فيها ولا ينقص منها	اسم مفعول	**مفعول**	**القرآن من عند الله أنزله على عبده محمد**

يلاحظ أنه استخدم في هذه الأمثلة كثيرا من أسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة بالفعل بدلا من الفعل للدلالة على الديمومة والاستمرارية في الحدوث فيما يتعلق باسم الفاعل والمفعول أمّا الصفة المشبهة فغايتها الحجاجية هي التعبير عن التشبع بالصفة إلى أبعد حدود أي الشدة فيها والكثرة إلى درجة التشبع.

ففي الأمثلة الأولى من الجدول استخدم الصفات المشبهة مع اسم الفاعل والمفعول للتعبير عن إصرار النبي محمد ﷺ على نشر الرسالة التي كُلّف بها رغم استمرارية مواجهة الأعداء له، وفي هذا حجة على صدق نبوته، إذ أنه لا يمكن لرجل أن يستمر في إصراره على أمر يدعيه كذبا وافتراء .

أما في الأمثلة الموالية فقد أسرف في استخدام الصفات المشبهة لبيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من أمية ويتم وفقر التي لا تسمح له بأن يدعي أمرا من عنده، أو يستطيع أن يطلع على الغيب، أو أن يأتي بكلام عجزت البلغاء أن تأتي بمثله، وفي هذا دليل على أنه مبعوث من عند الله.

2) اسم التفضيل:

وهو اسم اشتق من فعل الموصوف بزيادة على غيره[1]، يصاغ من الفعل الثلاثي بشروط ثلاثة هي: «أن يكون متصرفا، تاما، قابلا في معناه للتفاضل، غير مبني للمفعول، ولا منفيا، ولا مدلولا على فاعله فأفعل» [2].

فإن لم يستوف هذه الشروط فإنه يعتمد على فعل مساعد على وزن أفعل، والتفضيل متبوع بمصدر الفعل الذي يراد منه التفضيل.

وأفعل التفضيل يؤدي دوره الحجاجي من خلال التفاضل الذي يوجده بين الطرفين، وهذا التفاضل هو عملية ربط بين طرفين في علاقة مشتركة، ومادام هناك معنى تفاضلي فإنه يترتب على ذلك سلما حجاجيا لما يتضمنه الخطاب.

فهو يقوم بإيجاد العلاقة بين الطرفين ليس بينهما أية علاقة، هذه العلاقة تعمل على إيجاد ترتيب سلمي بين هذه الأطراف لذلك يصنفه بيرلمان في حجاج التعدية[3]، الذي هو ترتيب الأشياء في سلم بإجراء علاقة بينهما.

ومثاله في الرسالة: «**فقل أيهما أعظم وأيهما أصغر**»[4].

فأعظم على وزن أفعل وهي من أسماء التفضيل تدل على المكانة والرفعة، وهي تمثل في الحجاج درجة أعلى.

ومثال آخر: «**ولو كنتم تحبونني لفرحتهم حيث أذهب إلى إلهي، فإنّ إلهي أعظم مني**»[5].

---

[1] _ الكافية في علم النحو، ص: 42.

[2] _ المصدر نفسه، ص: 42.

[3] _ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص528.

[4] _ أنظر الملحق: ص:38

[5] _ أنظر الملحق: ص:38

فكلمة أعظم تمثل كذلك رتبة أعلى في الحجاج.

وفي الجدول الآتي أمثلة أخرى لاسم التفضيل في الرسالة:

المثال	الكلمة	الوزن	الغاية الحجاجية
قالوا كان محمد ﷺ أبلغهم قولا وأحسنهم وصفا	**أبلغ أحسن**	أفعل أفعل	**إبطال حجتهم باتخاذهم عيسى إلها بسبب إحيائه الموتى**
وإن قالوا إنما تعبد عيسى لأنه أحيا الموتى فما أحيا حزقيل أكثر وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب، فعجائب موسى أعجب وآياته أعظم	**أعجب أعظم**	أفعل أفعل	

3) صيغ المبالغة:

أحيانا يلجأ المتكلم إلى صيغ المبالغة عند إرادته تكثير الفعل، فيعمد إلى تحويل صيغة الفاعل إلى صيغة أخرى محولة من بنائه للدلالة على تكثير الحدث والمبالغة فيه[1].

ومن هذا فإن صيغ المبالغة هي: أن يكون للشيء صفة ثابتة فتزيد في تعريفه بمقدار شدته أو ضعفه، فيدعّى له من الزيادة في تلك الصيغة ما يستبعد عند السماع أو يحيل عقله ثبوته[2]. وهي أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه ولها خمس صيغ هي: (فعّال، مفعال، فعول، فعيل، فعل)، والمتكلم يختار منهما ما يوظفه في خطابه بما يعبر به عن درجة الحجة التي يريد أن يعبر بها عن خطابه[3].

---

[1] _ابن هشام، أوضح المسالك على ألفية أبن مالك ، مصدر سابق ، ج3، ص 219.

[2] _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق ، ج3، ص36.

[3] _ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص529.

فالدور الحجاجي الذي تلعبه صيغ المبالغة هي إبراز درجة الحجة وقوتها في الخطاب، فيعزز قبولها لدى المتلقي.

ومن أمثلة ذلك في الرسالة مايلي:

مثال1: أرأيت لو كنت سمّيعا أعمى أكنت تؤمن بشيء مما في الدنيا من أرض وسماء وهواء... فكلمة **سمّيعا** على وزن فعّيل، وهي من صيغ المبالغة وتعني هنا الزيادة في السمع؛ أي قوي السمع، وله دوره الحجاجي في إبراز إمكانية الإيمان بالله دون رؤيته، كما يؤمن الأعمى بما في الدنيا من أرض وسماء وهواء دون أن يراهم، وهذا من خلال قوة سمعه.

مثال 2: فأي نبي كان على الأمم جَبَّارًا، ولهم بإذن الله قتَّالًا، إلا نبينا محمد ﷺ.ص:42

فكلمتا: **جبارا وقتالا**، صيغ مبالغة على وزن فعَّال، ليدل على أن هذا الدين إنما ينتشر بالجهاد في سبيل الله، ولا يرضى لخصومه أن يطفؤوه أو يمنعوه، وفي هذا حجة على أن هذا الدين عزيز لا يقبل ذلا ولا انكسارا، وأنه يقف في وجه من يريد إذلاله وإبطاله.

أمثلة أخرى لصيغ المبالغة:

المثال	الكلمة	الوزن	الغاية الحجاجية
وتنزل به إلى كل **أفّاك أثيم** يبنون أكاذيبهم على واضح صدقه	أفّاك أثيم	فعّال فعيل	**إبطال ما كان يدعو له السحار والكهان لمحاربة رسالته ومجابهة دعوته وإظهار صدق نبوته**
وخلص الوحي فبطلت **الكهان** وضلت **السّحار**	كهّان سحّار	فعّال فعّال	

استعمال صيغ المبالغة هنا للدلالة على قوة وشدّة العداء الذي كانوا يمارسونه من أجل طمس معالم هذا الدين، ولكن الله أظهره عليهم فأبطل أكاذيبهم وأخرس أفواههم بنزول وحيه، واكتمال كتابه الذي أزال إدعاءهم وزعمهم بأنهم يعبدون عيسى عليه السلام لأنه أحيا الموتى، ونسوا ما كان من اليسع وموسى وغيرهم من الأنبياء الذين جاءوا قبله .

المبحث الثالث: الحجاج اللغوي على مستوى الجملة:

كي تكون دراسة اللغة في الدرس اللساني الحديث مجدية وفعالة لا بد أن تقوم على الحد الأدنى من التعبير المفيد الذي تبدأ منه اللغة في عملية التواصل والتبليغ، وهو ما اصطلح على تسميته بالجملة التي هي النمط المصغر للغة والكلام، والصورة اللفظية الدنيا للفهم والإفهام[1].

فكان أول من استعمل مصطلح الجملة هو المبرد حينما تحدث عن الفاعل فقال:

«وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب»[2].

أولا–مفهوم الجملة:

أخدت الجملة عدة تعريفات منها:

تعريف ابن جني لها بأنها هي: «كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه»[3].

وعند المخزومي: الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات وهي المركب الذي يبين المتكلم به صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع[4].

أما عند إبراهيم أنيس فإنّ: « الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»[5].

---

[1] _ الشريف ميهوبي الجملة في نظر اللسانيين العرب، ، دراسة منشورة، مجلة الدراسات الإسلامية العربية، دبي، العدد39، 2009م.

[2] _ محمد بن يزيد أبو العباس المعرف بالمبرد: (ت285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 8.

[3] _ ابن جني، الخصائص، مصدر سابق ، ج1، ص 17.

[4] _ مهدي المخزومي، النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1986، ص 31.

[5] _ إبراهيم أنس: أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1978، ص 278.

وهذا التعريف يساير تعريفات الأوائل من علماء العرب

وترتكز الجملة العربية في أبسط صورها على ركنين أساسين هما: المسند والمسند إليه كما بينه سيبويه إذ يحدث بينهما تلاحم تام، وتعاضد وترابط معنوي يقوم به الاسناد، وفي هذا يقول الرضي: «وذلك لأن أحد أجزاء الكلام هو الحكم أي الإسناد الذي هو رابطة، ولا بد له من طرفين مسند، ومسند إليه»[1].

ومما سبق يمكن تلخيص ما بيّنه النحاة العرب في تعريفهم لمفهوم الجملة:

أ ـ الإسناد: وهو ما تركب من مسند ومسند إليه (فعل وفاعل، مبتدأ وخبر).

فما زاد على هذين العنصرين فهو فضلة، وليس بلازم لاكتمال تركيب الجملة.

ب ـ الإفادة: وهو استقلال الجملة بمعنى كامل وواضح يحسن السكوت عليه.

ج–حسن السكوت: وهو العلامة الدالة على إفادة الجملة بمعنى كامل وتام.

وهي عند الغربيين نجد علم اللغة الحديث يفرق فيه علماء اللغة بين الجملة نمطا والجملة حدثا كلاميا [2].

فمثلا جملة المبتدأ والخبر أو الصفة والموصوف هي جملة إسمية تعدّ وصفا لنموذج الجملة، أما قولك علي قائم، فهو حدث كلامي.

وجاء تعريفها في معجم اللسانيات بأنها: «مجموعة من المكونات اللغوية مرتبة ترتيبا نحويا بحيث تكون وحدة كاملة في ذاتها وتعبر عن معنى مستقل»[3]، وهو يتفق مع تعريفها في النحو العربي القديم.

---

[1] _ ابن الحاجب، شرح الكافية، مصدر سابق ، ج1، ص 8.

[2] _ بناء الجملة العربية، دراسة نظرية تطبيقية على ديوان البهاء زهير سيد راضي عبد الرزاق، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1981م، ص 110.

[3] _ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص92.

أما تعريفها في نحو النص فهي: «بنية صغرى تتحرك من جهة نحو مثيلاتها، لبناء البنية الكبرى التي هي النص الشامل»[1].

فهنا المعنى لا يتضح ولا يتحدد في الجملة الواحدة بل يتعدى ذلك إلى جمل أخرى، فالجملة غالبا ما تكون ذات دلالة جزئية تؤسس مع مثيلاتها دلالة النص.

ثانيا– الجملة من حيث التقسيم:

قسمت الجملة العربية عند القدامى إلى عدة تقسيمات منها:

من حيث تركيبها: أي من حيث ما تبدأ به من مفردات إلى اسمية وفعلية. فالاسمية: ما صدّرت باسم، والفعلية ما صدّرت بفعل، وزاد بعضهم قسما ثالثا وهو: الجملة الظرفية التي تبدأ بظرف، وزاد الزمخشري الجملة الشرطية وهي ما بدأت بشرط[2].

ومن حيث الوظيفة: إلى خبر وإنشاء، فالخبرية ما كانت تحتمل الصدق أو الكذب، أما الانشائية فلا تحتمل الصدق أو الكذب.

أما تعلق الجملة بالحجاج، وهو ما يهمنا في بحثنا فقد استخلصناه من خلال التعاريف السابقة اجتهادا فنقول: **بأن الجملة الحجاجية هي منجز لغوي مستقل بنفسه يحمل قيمة حجاجية، وذو روابط لغوية، وعلاقات حجاجية توصل المتلقي إلى نتيجة حجاجية معينة.**

وباعتبار أن مدونة البحث عبارة عن خطاب موجه، فتكفينا الدراسة الحجاجية فيه على مستوى أسلوب الجملة باعتبار أن: للأسلوب الخطابي دور كبير في رفع القيمة الحجاجية ودفعها للإقناع والإذعان.

---

[1] _ رده الله الطلحي، دلالة السياق، مرجع سابق، ص 112.

[2] _ ابن هشام مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، مصدر سابق، ص 492.

ثالثا –أساليب الجملة:

أخذت الجمل في الرسالة عدة أساليب أهمها:

1 ـ أسلوبا الأمر والنهي في الرسالة:

الحجاج ما هو إلا أسلوب استدلالي يرتكز على الآليات اللغوية والبلاغية والمنطقية للدفاع عن فكرة أو وجهة نظر أو رأي بغية التأثير والإقناع، وكثيرا ما نجده في الأساليب البلاغية مندمجا معها، وهذا ما ذهب إليه بيرلمان إذ يعتبر أن كل المكونات الأسلوبية الموجودة في رسالة ما مكتوبة أو شفوية أو إشارية هي عبارة عن مستويات معيّنة من مستويات الحجاج[1].

وجملة الأمر والنهي هي الجملة المصدرة بفعل الأمر أو النهي وهما أسلوبان إنشائيان، وللأسلوب الإنشائي دور فعال في العملية الحجاجية، وذلك من خلال ما تحققه هذه الأساليب من إشارة، وما تستدعيه من أحاسيس وعواطف إذ أنها تثير المشاعر وتشحنها بطاقة حجاجية غايتها تحريك السامع فمثلا: إثارة مشاعر الخوف من خلال التهديد أو التخويف بفعل الأمر أو النهي كلها حجج بحسب قول أحد اللسانيين، لأنها دون أن تحدد آليات الموقف توفر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف كما أن الأساليب الإنشائية لا تكفي بإثارة مشاعر المخاطب بل يتعدى ذلك إلى ممارسة الحجاج بوصفه فعلا كلاميا يتشكل على ضوئه الخطاب، ويتقدم ويتنامى عندما يثبت المتكلم أو المحاجج، ويدحض ويقرر وينفي ويسأل ويجيب.

وجاء في تعريف ابن يعيش للأمر: "الأمر معناه: طلب الفعل بصيغة مخصوصة "[2].

كما حده العلماء بأنه: «صيغة تستدعي الفعل أو القول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على وجه الاستعلاء » [3].

فلأسلوب الأمر أربعة صيغ وهي:

---

[1] _ محمد الأمين الطلبة، الحجاج عند بيرلمان، مقال: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج:2، ص 182.

[2] _ ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ج:1، ص 282.

[3] _ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 142.

1) الأمر بصيغة افعل

2) الأمر بصيغة ليفعل

3) الأمر بصيغة أسماء الأفعال

4) الأمر بصيغة المصدر

النهي: عُرف بأنه: «طلب الكف عن الفعل استعلاء» [1]وهو لفظ يطلب به الأعلى الكف ممن هو أدنى منه عن فعل ما يكون بصيغة "لا تفعل"، وما يجري مجراها كالجمل الخبرية المستعملة في النهي.(1)

وقد ورد هذان الأسلوبان (الأمر والنهي) كثيرا في الرسالة خاصة عند الانتهاء من تقديم الحجة وبسطها ليكون الإذعان بعد الإقناع ومن أمثلة ذلك ما يلي:

مثال 1:

«**انصب نفسك للفهم وأنت شهيد، وأرد الحق وقبوله فيما تريد، فإن تصورت البينات مجسدة في قلبك..... فهّمك الله الحق وجنبك الجحد** »[2].

شكل أسلوب الأمر في هذا المثال وجود حوار قائم بين المرسل والمتلقي من خلال عدة أوامر متوالية: أنصب، أرد، وغيرها وهي أفعال طلبية توجيهية مباشرة صدرت من رجل واثق بالله يمثل خليفته في الأرض، فهو يأمر من مصدر قوة وعزة لا من مصدر ذلة وخوف، وهنا تكمن قوة حجاجيته إذ أنها جاءت من مكانة المحاجج وهيبته كما بين ذلك بيرلمان وتيتكا إذ أن فعل الأمر عندهما موجه تعبيري إلزامي تكمن قوة حجاجيته في مكانة المحاجج الآمر لا في صيغته التلفظية، وقد سبق توضيح هذا الأمر في بداية العنوان الخاص بأسلوب الأمر والنهي .

---

(1) _ عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط:1، القاهر، 2001، ص152.

(2) _ أنظر الملحق:ص:10 .

مثال 2: فإذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في الفدية، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية، فلا يكون لكم رأي غيرها، ولا أمر سواها[1].

فهنا نجد أسلوب أمر مضمر نستشفه من سياق الكلام من عبارتي: فلا يكون لكم رأي غيرها ولا أمر سواها، فبهذا النفي عبر لهم عن أمره لهم بدفع الجزية جبرا لا خيارا، فلا مناص لهم من دفعها رضوا أم سخطوا، وهذا الأمر من موقع قوة وعزة وغلبة فجاء ملزما يدعو إلى الإذعان.

مثال 3 : فلا تدفع الآية بقولك ، ولا البينة بلسانك ، جحدا يقطع وصول الحجج إليك ، ولا تغلق أبواب الفهم عنك[2].

هنا استعمل المحاجج أسلوب النهي بصيغة " لا تفعل" فنهاه عن ردّ الآية والصدود عنها بإثارة كلام وأقاويل تصرف تمعّنه فيها فيخفي بلسانه البيّنات والحقائق الواضحة حتى لا تُلقى عليه الحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي تجعله يقر و يعترف بها ، لأنه لا يريد الإقرار بها جحدا وتنكرا ، ثم عزّز نهيه له بعدم غلق أبواب الفهم عنه بدفعه إلى التدبر والتمعّن والبحث عن الحق والصواب وقبوله .

فجاءت الحجة بأسلوب النهي أقوى حيث أنه يريد أن يقول له : " إنك معترف بالحقيقة في قرارات نفسك لكنك تسعى لإخفائها والهروب منها جحودا واستكبارا فتأبى النظر والتمعن فيها حتى تصرف النظر عنها بجلب كلام كثير بلسانك " ، وبهذا الأسلوب تكون الحجة بالغة لا يستطيع المتلقي لها من الفرار أو الإنكار .

مثال 4 : فاتق الله واقبل ما عُرض عليك من الجزية ، ولا يمنعنّك ما فيه الحظ لك ولأهل مملكتك ، ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم إلا ليجعله على يد أهل النبّوة والرحمة ، ولأهل الوراثة فيهم للكتاب والحكمة[3].

---

[1] _ أنظر الملحق:ص:48 .

[2] _ أنظر الملحق : ص : 10 .

[3] _ أنظر الملحق : ص : 49 .

في هذا المثال دعا هارون الرشيد خصمه إلى التعقل والعودة إلى جادة الصواب والخوف من الله وقبول دفع الجزية التي عرضت عليه لما فيها من الخير له ولمملكته فلا يمتنع من أداءها مبينا له رجاؤه في الله أن لا يدفعه عنهم ، ولا يؤخرهم عن القبول بذلك إلا أن يوصله على يد المسلمين إليهم ولأهل الكتاب .

فجاء الأمر هنا فيه شيء من اللطف و اللين وإظهار حب الخير للخصم مما يدفع بإثارة الشعور والعاطفة التي لها دور فعال في الاستمالة والإذعان اللذان يشكلان السبيل الأمثل لإلقاء الحجة والبرهان .

مثال 5 : فأبذل من الجزية ما شئت ، وسمّ منها ما هويت ، واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة إليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سببا لما يريد أن يجري فيما بينه وبينكم[1].

أراد الرشيد في هذا المثال أن يبيّن لخصمه أن الغاية المرجوة من دفع الجزية هو الامتثال لأمر الله وطاعة له وأثرة لأداء حقه وليس كما يضن أننا بحاجة إليها ، وطمعا فيها ، فالله هو الذي فرضها عليكم لحمايتكم ومجلبة الخير بها إليكم فلا يهم مقدارها بقدر ما يهم أداءها ودفعها .

فأمره بأداء ها مبيّنا له سبب ذلك حتى لا يعتقد بأن المسلمين طغاة ظالمون ، ومعتدون غاصبون مما يدفع به إلى تغيير رأيه والعدول عن رفضه ، ومن ثم الامتثال لأمره وهو المرجو من ذلك كله .

ـ أسلوب التعجب:

لأسلوب التعجب دور كبير في إبراز الحجاج وإذكائه، وذلك أن المتعجب من أمر ما، يدل على أنه جاء مخالفا لما اعتاد عليه الناس وألفوه، أو معلوم عندهم، وورد بحالة مغايرة عن تلك الحالة المعتادة كأن يأتي الأمر معاكسا للأمور المنطقية العقلية والمسلمات البديهية، أو مخالفا

[1] _ أنظر الملحق : ص : 50 .

للعادات والثقافات التي تعارف عليها الناس إلى غير ذلك...وكل ذلك يجعل المتلقي أو المخاطب يذعن ويعترف بخروجه عما هو مألوف، فتنقلب عليه الحجة وتتأكد البينّة.

لأن ما هو معلوم ومألوف، ولا يرفضه العقل السليم لا يختلف فيه اثنان، ويكون محل اتفاق الجميع مما يشكل حجة دامغة ودليلا قاطعا يدفع بالذي وقع عليه الحجاج للانصياع والتسليم.

ولأسلوب التعجب نوعان: أحدهما سماعي تستخدم فيه كلمات يعبر بها عن التعجب مثل عجبا، سبحان الله وغيرها ...وأخرى قياسية مثل: ما أفعله، أفعل به.

وقد ورد في الرسالة أمثلة عديدة استخدم فيها المحاجج أسلوب التعجب كوسيلة من وسائل الحجاج القوية التي تجعل الخصم يرضخ ويعترف بالحقيقة والصواب بأن الله واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا ند، وأن محمدا ﷺ هو نبي مبعوث من الله تعالى صدقا وحقا لا كذبا وافتراء.

ويستخدم في أسلوب التعجب عدة كلمات تدل عليه منها كلمة عجبا أو العجب أو كلمة سبحان الله التي تدل على أسلوب التعجب، ومن أمثلة ذلك مايلي:

والعجب كيف يصف مخلوق ربه، أو يجعل معه إلها غيره، وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء، صنعة ظاهرة وحكمة بالغة وتأليفا متفقا، وتدبيرا متصلا من السماء إلى الأرض لا يقوم بعضه إلا ببعض. متجليا بين يديه، ماثلا نصب عينيه يناديه إلى صانعه، ويدله على خالقه ويشهد له على وحدانيته ويهديه إلى ربوبيته[1].

إن ما يظهر للإنسان من أشياء خلقها الله تعالى، وهي متآلفة الصنع متفقة التدبير متصلة فيما بينها لخير دليل على وحدانية الله تعالى، فلو كان معه شريك لما تآلف الصنع، واتصل فيما بين السماء والأرض مما يستوجب العجب ممن يرى عكس هذا، ويعتقد غير ذلك، لأنه مخالف للبداهة، وما تراه العقول من صواب .

فالتعجب مما يخالف المنطق العقلي حجة بالغة على من يرى عكس ذلك.

---

[1] _ أنظر الملحق :ص:4 .

وقوله: **فسبحان الله يا أهل الكتاب ما أبين حق النبي ﷺ لمن طلبه وأسهله لمن قصد له، واستعملوا في طلبه ألبابكم وارفعوا إليه أبصاركم فانظروا بعيون إليه وتقفوا إن شاء الله عليه**[1].

– كثّف من استخدام أسلوب التعجب عن طريق كلمة " سبحان الله "، التي هي أداة سماعية للتعجب وكذا صيغة التعجب القياسي " ما أبين حق النبي ﷺ"،ليبيّن بأن أمر النبي ﷺ بين وواضح سهل المنال لمن أراد أن يبحث عن الحقيقة والصواب، فقط عليه باستعمال عقله وبصيرته فإنه يهتدي حتما للحق والصواب.

سبحان الله أولا يعلمون أن المتعلم معروف المعلم، متفاوت الحالات، متنقل الطبقات وأنها ما أحد يؤدب صغيرا أو يطلب العلم كثيرا إلا وله درجات في علمه، وتارات في أخده، ومنازل في تعلمه[2] .

فاستخدم كلمة " سبحان الله " وهي أداة سماعية تستعمل لأداء أسلوب التعجب لما لها من وقع في النفس حين سماعها يجعلها تذعن لما هو معروض عليها من تعجب لما قامت به من أمر مخالف للفطرة والمنطق والعقل والبداهة .

فإن مما هو مسلم به ومعلوم لدى العام والخاص أن المتعلم مهما كان، فلا بد له من معلم معلوم، وتدرج متبع من أجل التحصيل، فلا ينزل عليه دفعة واحدة من غير معلم، ولا يمكن إخفاء ذلك عن الناس مما يدل على أن النبي ﷺ مبعوث من عند الله تعالى الذي علمه هذا، فمحال أن يكون من تعليم بشري، فهو إذن حجة على صدق نبوة محمد ﷺ.

---

[1] _ أنظر الملحق: ص: 8 .

[2] _ أنظر الملحق : ص: 12 .

ثالثا –ترتيب أجزاء القول (الرسالة)

بعد التفكير في مكونات الخطاب المراد إرساله إلى المتلقي في رسالة إلى المرسل إليه، وأجزائه الكبرى، وكذا تجميع جميع الحجج والبراهين التي يرى أنها تنفع، وتؤتي أكلها في النهاية للتأثير والإذعان والانصياع والاستمالة يجتهد الخطيب أو المرسل للرسالة في ترتيب ذلك كله حيث يضع كل جزء في موضعه الصحيح والمناسب.

ويأخذ هذا الترتيب بعدا وظيفيا عند أرسطو إذ يرتبط بالوسائل والأغراض إذ يقول: «الكلام يتضمن جزأين هما الموضوع والبرهنة إذ لا بد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة فهذا هو الملائم للكلام " [1] ثم قسم الكلام في الترتيب إلى الاستهلال، العرض والدليل، ثم الخاتمة.

فشكل كل من الاستهلال والختام الكتلة العاطفية التي تخاطب الشعور وتستهدف الاستمالة وشدّ الانتباه، أما العرض والدليل فيمثل الكتلة البرهانية التي تخاطب العقل وتستهدف الإقناع.

كما أن العرب اهتموا كذلك بترتيب أجزاء الكلام في خطاباتهم فقد أشار الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حيث قال "ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول هناك فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك ولا إلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت. [2]

ولننظر إلى الرسالة (مدونة البحث) ونرى كيف رتبها الرشيد ترتيبا منطقيا وفق ما بيناه آنفا عند أرسطو.

---

(1)– مجلة عالم الفكر ، مرجع سابق ، ص: 30

(2)– الجاحظ، البيان والتبيين ، مصدر سابق ، ص:120 .

أ) الاستهلال في الرسالة

استهل هارون الرشيد رسالته بتبيان مصدر هذه الرسالة وصاحبها وإلى الوجهة التي يريد إرسالها إليها قائلا: «**من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم**».

وهذا التحديد له أهميته الكبرى في تفعيل الحجاج وإذكائه حيث إن معرفة مصدر الرسالة أي صاحبها ومكانته الخاصة على سبيل المثال دافع قوي في إثارة انتباه المتلقي واهتمامه بالرسالة ورغبته في الإطلاع على محتواها ومضمونها والتمعن فيما يريد أن يذهب إليه المرسل إذ أنه لو صدرت من عند شخص عادي لما وجدت لها أيّ اهتمام وقد لا تقرأ أصلا.

تم تابع هذا الاستهلال بإلقاء التحية والسلام وهذا أيضا له دور في استمالة واستعطاف المتلقي إذ يشعر بأن له أهمية وقيمة ومقام في قلب المرسل مما يستدعي الاهتمام بأمر الرسالة وفحواها، ثم صدّر كلامه بالحمد والشكر والثناء لله عز وجل وتنزيهه عن الشريك والشبيه، وتعاليه عن الخلق أجمعين.

ودعاه إلى الاجتماع حول كلمة سواء تجمع الشمل، وتوحد الصف، وتزيل العداء وتجلب الإتحاد والمحبة وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهي الدعوة التي جاءت جميع الكتب السماوية بها.

فلما جاءت الدعوة للاعتصام والالتفاف حول عبادة الله وعدم الإشراك به كان ذلك استعطافا واستمالة وتأثيرا، إذ يشعر المتلقي بأن المرسل لا يريد به سوءا ولا شرا بل الإقبال عليه بالخير والود والمحبة مما تنشرح به نفسه وتركن لدعواه.

ب) العرض والدليل في الرسالة:

ويقصد بالعرض تقديم القضايا المراد طرحها، ثم إثباتها بأدلة وبراهين لا تفرض فيها أية بنية خاصة ما عدا أنه ينبغي البدء بالعلل القوية وإتباعها بالعلل الضعيفة.

وقد بدأ هارون الرشيد تقديم عرضه بالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده ونبذ الشريك عنه، وهي

قضية كبيرة قد اعترت النصارى واليهود بعد تحريف كتبهم المنزلة عليهم من توراة وإنجيل، مستخدما في ذلك الأدلة والبراهين العقلية من خلال القراءة الصحيحة لتركيبة الكون وتشابه الخلق وعدم التفاوت في ذلك

ج- الخاتمة في الرسالة:

وفيها يُشعر صاحب الرسالة المتلقي بنهاية كلمته، وذلك بمحاولة استلطافه مرة أخرى للعدول عما هو مقبل عليه من رفض دفع الجزية، والخروج عن اتفاق الصلح، مذكرا إياه بما يجده قومه في رحاب هذا الصلح من أمان وعافية ورغد عيش إذ يقول: «**وأيم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعين، والفقراء والضعفاء، والعملة بأيديهم مالهم من عند أمير المؤمنين، لتحدّروا عليه وأقبلوا إليه من إيوائهم وانزالهم الأرض الواسعة وإمكانهم من مسايل المياه السائحة والعدول عليهم بما لا تبلغه أنت ولا تقاربه رفقا بهم ونظرا لهم واحسانا إليهم مع تخليتهم إياهم أديانهم لا يكرههم على خلافها ولا يجبرهم على غيرها، لاختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك، وجواره على جوارك ولا أنقدوا انفسهم وأموالهم وأولادهم وازواجهم وعيالاتهم مما يحل بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة**»[1].

ثم يواصل نصحه وإرشاده إلى تقوى الله والخوف منه والإقبال على ما عرض عليه من أمور الصلح والجزية التي فيها الخير له ولأهله وقومه فقال: «**فاتق الله واقبل ما عرض عليك من الجزية ولا يمنعك ما فيه من الحظ لك ولأهل مملكتك ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم**»[2].

وهكذا شكلت الخاتمة حجاجا بيّنا مؤثرا ومعبرا تجعل النفوس تذعن له وتنقاد له إلا أنه أخذ احتياطه إن لم تجدي هذه الرسالة نفعا ولا تجد آدانا صاغية ولا قلوبا رحيمة، كأن يرفض كل ما عرض عليه من أمور الصلح والجزية وذلك بتهديده بالحرب وبما يحيق به من هزيمة وخزي بقول:

---

[1] _ أنظر الملحق :ص: 49

[2] _ أنظر الملحق :ص: 49

«أما اليوم إذا استبان له غدركم ونقضكم ونكتكم واستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم إلا الإسلام أو الحرب المجلية إن شاء الله»[1].

فختم رسالته بالتحية والسلام آملا من ذلك قبول دعوته، وتفهم رسالته واستجابة رغبته.

«ولا حول بأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله، عليه يتوكل، وبه يتق وإياه يستعين والسلام على من اتبع الهدى»[2].

تحمل هذه العبارات التي ختم بها هارون الرشيد رسالته قوة حجاجية كبرى إذ أنه أسند الأمر لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر القاهر، هو الذي أمر عباده المؤمنين بتبليغ الدعوة له ولأمثاله من الكافرين والمشركين وخيّرهم بين إتباع الهدى فينالوا الأمن والسلم والسلام وبين الضلال فيصيبهم ذلة وصغار بالمواجهة والحرب، فلا مناص من الانصياع والخضوع لأمر الله، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه .

رابعا –الآليات البلاغية في الرسالة:

يذكر البلاغيون بأن التصوير البياني وسيلة من وسائل الدلالة الواضحة البيّنة التي تتمكن في النفس فيكون لها الأثر العميق في الإبلاغ والإثارة.

وجاء توظيف الصورة البلاغية في الرسالة لتقريب الفكرة وتوضيحها والتأثير على المتلقي لها وذلك باستنهاض قدراته الذهنية، وتحريك آلة التفكير عنده للوقوف على وجوه الاستدلال فيها، وكذلك تذوّق جمالياتها وروعتها وقد بين (ميشال مايير) أن الهدف من الصور البلاغية هو إبراز حضور ما نود تأكيده أو تلطيفه كما يظهر للعيان ما قد نفهمه أو نعتبره غير مفيد[3].

ومن بين الصور البيانية التي ظهرت في الرسالة ما يلي:

---

[1] _ أنظر الملحق:ص: 50 .

[2] _ أنظر الملحق :ص: 50 .

[3] _ ابن الرشيق، العمدة في محاسن الشعر، مصدر سابق، ص: 154.

1) التشبيه:

وهو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته[1].

وهو لون بلاغي نقرب به المعنى من المتلقي بتوظيف عناصر ومكونات من بيئته وما يحيط به حتى يبدو الخطاب أكثر وضوحا ونفاذا.

2) المجاز:

وهو عند العرب مفخرة لأنه دليل الفصاحة ورأس البلاغة وهو كلام أبلغ من الحقيقة وأحسن وقعا في القلوب والأسماع[2].

كما يعرف بأنه نقل اللفظ من حقيقة معنى وضع للدلالة عليه في الأصل إلى معنى آخر لمناسبة بينهما وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وعن قيمته الحجاجية يقول مايير: «المجاز يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو إضافة إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور الإنسان »، مثلما يقول: «المجاز صورة من الأسلوب» [3].

3) الاستعارة:

وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي[4].

وأركان الاستعارة ثلاثة:

أ) مستعار منه وهو المشبه به

---

[1] _ المصدر السابق ، ص 165.

[2] _ المصدر نفسه، ص 166.

[3] _ محمد الأمين الطلبة، الحجاج عند بيرلمان مقال: مرجع سابق، ج: 1، ص 245.

[4] _ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص 227.

ب) المستعار له وهو المشبه

ج) المستعار وهو اللفظ المنقول

أما الدور الحجاجي الذي تؤديه الاستعارة فهو كونها أبلغ من تراكيب التشبيه، وأشدّ وقعا في نفس المخاطب لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال كان وقعها في النفس أشد ومنزلتها في البلاغة أعلى.

كما أن التشبيه مهما تناهى إلى المبالغة فلابد فيه من ذكر المشبه والمشبه به، وهذا اعتراف بتباينهما، وأن العلاقة ليست سوى المشابهة ولا يصل إلى حد الإتحاد أو المطابقة[1].

وبهذا يكون للاستعارة دور أبلغ من التشبيه في قوة التأثير في النفس، وجعلها تذعن للحجة والبرهان مما يذكي الحجاج وينميه.

إذن الاستعارة الحجاجية هي تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي، كما أن طه عبد الرحمان يفترض لبناء النظرية التعارضية للاستعارة في الحجاج أن يكون القول الاستعاري قولا حجاجيا من الصنف التفاعلي سماه باسم التحاج.

ومما سبق ذكره يمكن أن نستخلص أن حجاجية الاستعارة إنما تكمن في وجود آليتي الادعاء والاعتراض، فادعاء وجود المعنى الحقيقي للخطاب، بمعنى المطابقة بين المستعار منه والمستعار له، والأمثلة الآتية سوف تبيّن ذلك وتوضحه .

الصورة البيانية	نوعها	الغاية الحجاجية
وأحدق الموت بنا من كل مكان	استعارة مكنية	الثقة بنصر الله رغم شدة المخاطر المحدقة والأهوال العظيمة من قبل الأحزاب لخير دليل على صدق نبوة محمد إذ لا يوقن بهذا إلا نبي مرسل
أن أوعية الفقه والمسلمين الذين حملوا	استعارة تصريحيه	الإيمان بنبوة محمد وما جاء به إنما وصل إلينا عن طريق العلماء والفقهاء

[1] _ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق ، ص 228.

إلينا سنن الدين.		والثقات من المسلمين ويستحيل التواطؤ من الجماعة والعلماء على الكذب والافتراء فهو أعظم برهان على نبوة محمد
ولم تجد العقول سبيلا إلى دفع حقه.	مجاز مرسل علاقته الجزئية ذكر العقول وأراد بها أصحابها	إن ما جاء به محمد لا يتناقض مع العقل البشري، بل يؤيده ويصدقه إذ أنه جاء بالحجة الدامغة والبرهان الساطع، فلا يرده العقل السليم، ولا يجد له بدا من قبوله والإذعان له.
ليست العلماء بمخطئة إلا المرة والمرتين كما لا تخطئ الرحى إلا الحبة أو الحبتين	تشبيه عقلي بحسي	شبه خطأ العلماء في أمر محمد بخطأ الرحى في أنه لا يفلت منها إلا الحبة والحبتين مما يُرحى، فهو يؤكد صواب العلماء من خلال هذا التشبيه لأن الرحى لا يذكر عليها الخطأ إلا في الحبة والحبتين
امتلأت الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان	استعارة مكنية	إظهار مدى تفشي الشرك بالله وفساد الدين في ذلك الأوان مما استوجب مجيئ نبي مرسل يخرج الناس من هذا الجهل
واشتعلت البدع في الدين	استعارة مكنية	كثرة تفشي البدع في الدين يستوجب من يصلح ويطهر لهم هذا الدين منها أي ظهور نبي يقوم بذلك
فلم تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه	مجاز عقلي علاقته الجزئية فذكر القلوب وأراد أصحابها.	تصديق القلوب لما جاء به النبي .

فهنا استخدم الكاتب عدة صور بيانية كالاستعارة والمجاز والتشبيه ليضفي على حججه بيانا ووضوحا، فيوقع في النفس تأثرا واقتناعا.

فشبه في المثال الأول الموت ببعض صفات العدو الذي يباغت عدوه من كل جانب، ويتربص به كل متربص لتصوير شدة المواجهة التي تلقاها النبيﷺ وأصحابه التي تجعل كل إنسان عاقل ينسحب من كل إدعاء باطل يوصله إلى هذا الموقف العصيب، ولا يثبت أحد فيه إلا من كان حقا يدعي النبوة من السماء فيصمد، لأنه يعلم أنه منصور من ربه لا محالة .

أما المثال الثاني فشبه ما يحمله العلماء من علم ودين بالوعاء الذي يحوي الأشياء، ويحفظها من الضياع والتلف، مما يوحي في النفس بأن العلماء قد حفظوا تعاليم هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ لما رأوا فيه من الحق والصواب يمنعهم من الكذب أو الافتراء عليه .

أما المثال الثالث فصور لنا كثرة وشدة انتشار عبدة الأصنام والأوثان كصورة السحاب الذي يملأ الآفاق مما يستوجب إرسال نبي يكشف عنهم الجهل والضلال.

وهكذا دواليك في باقي الأمثلة حيث يستخدم الصور البيانية لتجلية الحقائق والوقائع مما يستجلب وقوعها في النفس بأثر عميق.

أمثلة أخرى عن المجاز والاستعارة:

المثال	النوع	الغاية الحجاجية
واشتعلت البدع في الدين	**استعارة مكنية**	**انتشار الجهل والشرك والكفر بين الناس يستدعي مجيء رسول يخرجهم من الضلال إلى الهداية فكان القرآن المعجزة التي**
ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها ولم ينقل الآباء إليكم علمها	**مجاز عقلي**	
وينفقون أباطيلهم بحسب حقه	**استعارة مكنية**	
-كذبت الأحلام وحيرت الشياطين	**استعارة مكنية**	

-فيتعلقون بالحروف المشكلة والآيات المشتبهة .	**استعارة تصريحية**	**أخرست الأباطيل وحيرت العقول وأثبتت صدق نبوة محمد ﷺ**
-إنه إذن لرحيم بهم ناظر لهم شفيق عليهم كأنه هو المبعوث إليهم	**تشبيه**	**أخلاقه وصفاته دليل نبوته**

4) البديع في الرسالة:

البديع لغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق. وهو مأخوذ ومشتق من قولهم: بدع الشيء، وأبدعه: اخترعه على غير مثال.

واصطلاحا: هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال. مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى[1].

ولا يكمن مغزى البديع في زخرفة الخطاب والتحسين والتجميل فحسب، بل يتعداه إلى الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد فيقول طه عبد الرحمن «أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع، وإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ»[2].

[1] _ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 76.

الطباق:

الطباق هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[الحديد 3]. وكقوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ [الكهف 18]. أو فعلين، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤﴾ [النجم 43، 44]. وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾[الأعلى 13]. أو حرفين، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[البقرة 228]. أو مختلفين نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾[الرعد 33]. ونحو قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾[الأنعام 122 .

فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسنا وطرافة.

ومثال ذلك في الرسالة: «**ومعصية المسيح عليه السلام ولأعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقربين حتى كنتم في فراغكم لهم واشتغالكم من أمركم بهم**»[1].

فالكلمات: (الأبعدين، الأقربين، فراغكم، شغلكم) هي طباق، وفي هذا شدُّ الانتباه إلى التدبر والتمعن ، وفهم الخطاب

«**والجموع الكثيرة تصدر عن الأطعمة اليسيرة والمياه القليلة**»[2]. هنا طباق: (الكثيرة، القليلة ، اليسيرة) : يثير الانتباه لما يوحيه من شيء غير معقول ، وغير مألوف في واقع الناس أي أنه يحمل معجزة ، ولا يكون ذلك إلا للأنبياء إذن فإن محمد نبي حقا وصدقا .

---

[1] _ أنظر الملحق:ص:47

[2] _ أنظر الملحق :ص:15

المقابلة:

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾[الليل 5-10]. وكقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف 157].

ومثاله «**كيف يصفه أحد الجاحدين به والمكذبين له بغباوة، أو يرمونه بجهالة، وهم يحوزون حدود الأنبياء، ويرفعونه فوق أمور العلماء ويتخبطون به مراتب الحكماء**».

مقابلة في قوله : "كيف يصفه أحد الجاحدين به ... بغباوة، أو يرمونه بجهالة " وكذلك في قوله : "وهم يحوزون حدود الأنبياء، ويرفعونه فوق أمور العلماء، ويتخبطون به مراتب الحكماء" فالمقابلة تحمل نوع من النغم والموسيقى تشدّ بها إتباه السامع، فيفهم فحوى الخطاب ويتمعن فيه فيجد فيه تناقض من جهة يرمونه بالغباوة والجهالة وثارة يرفعونه إلى منزلة الأنبياء والعلماء والحكماء مما يدفع به للإذعان والقبول .

ومثال آخر: «**كيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان، وصارت الأمور منه كوعي الآذان**»[1].

مثال: «**ولا تغلق أبواب الفهم عنك فإنّ اللسان لك مداول حيث شئت، ومنقاد تصرفه فيما هويت، ولكن انصب نفسك للفهم وأنت شهيد، وأرد الحق وقبوله فيما تريد**»[2].

كل هذه الأمثلة وغيرها تمثل مقابلة لها دورها في تفيل الحجاج حيث تقوم بترتيب الحجج وتواليها حجة بعد حجة، حتى تحقق الغاية من ذلك.

---

[1] _ أنظر الملحق :ص: 21 .

[2] _ أنظر الملحق :ص: 10 .

الطباق والمقابلة:

المثال	النوع	الغاية الحجاجية
-من أهل الإسلام والإيمان، وامتلأت الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان، حتى هزم كثيرا من المشركين بقلتهم وغلب قوة الجنود بضعفهم	**مقابلة**	**- إبراز يقين نبوة محمد ﷺ من خلال انتصاره على أعدائه رغم كثرتهم وقلة أتباعه** **- بيان وضوح وظهور آيات النبوة للجميع فهي لا تخفى على أحد** **- إطلاعه على بعض ما يخفى عن الناس دليل قاطع على صدق نبوته** **- إقرار الناس جميعهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم على أن ما قيل فيه كذب وإفك وافتراء خير دليل على صدق النبوة** **- إعجاز ما جاء به وحلاوته وإذعان القلوب**
فإن علامات نبوته وآيات رسالته، **ظاهرة لا تخفى** على من طلبها جمة لا يحصى عددها منها **خواص تعرفها العرب وعوام لا تدفعها الأمم.**	**مقابلة**	
-لا تحتاج إلى ما **قبلها** ولا يتكل على ما **بعدها**	**طباق**	
-لما كان يترك جميع الأرض وما **يغيب** عن بعض الخلق لبعض و**يظهر** لبعض	**طباق**	
-لا يبقى **صغيرا** ولا **كبيرا** ولا **ذكرا** ولا **أنثى** /إلا عرف أنه إفك **وزور** وكذب **وغرور**	**طباق سجع مطرف**	
ويقصد للسماء المتصلة **بالبصر** البارزة **للنظر**	**سجع مطرف**	
فما كان محمد ﷺ وهو **عارف** بها غير **جاهل** لها ليقول فيها إلا حقا وينتحل فيها إلا صدقا	**طباق**	
أمّا أن تقول إنه **ألّف قلوب** العرب **وفرق جموع** الأمم	**طباق**	

ولم تقع القلوب على نعته له رونق كحباب الماء وزبرج **يعلو ولا يعلى** وعجائب لا تبلى ولا تعنى	**طباق السلب**	**والعقول له لصدق وصحة ما جاء به**
يقولون الأب ابن والابن أب والوالد مولود والمولود والد والكبير صغير والصغير كبير والقليل كثير والكثير قليل وهذا من **أبين** محال و**أخلف** المثال وليس من المنطق ما لا يوجد في لغة عرب ولا عجم ولا لسان أمة من الأمم وهذا محال في مجال المقال	**طباق جناس اسم التفضيل جناس ناقص**	**- إبطال إدعائهم بأن عيسى عليه السلام ابن الله وذلك بتبيان معنى كلمة ابن وأب**

تكمن الغاية الحجاجية من البديع من خلال زخرفة الخطاب وتجميل وتحسين الكلام الذي يجذب السامع ويشدّ انتباهه، مما يجعله يصغي له، ويتمعن فيه حتى يقوده إلى التوغل في معنى الفكرة أو الخطاب الموجه إليه فيتأثر ويقتنع، كما أنه يساهم في توصيل الفكرة المراد إبرازها وإظهارها من خلال المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة والجناس وغيرها باعتبارها أساليب للتبليغ والإبلاغ كما بيّن ذلك طه عبد الرحمان بقوله أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنّما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ، وفعلا لا يمكننا توصيل فكرة ما أو مفهوم معين دون أن نستخدم صورا بيانية أو أساليب بديعية تجعل من الكلام واضحا بينّا يلج أُذن السامع بسلاسة وعذوبة فتُقبل النفس عليه بحُب وشغف .

ملخص الفصل :

مما سبق ذكره في هذا الفصل انتهى البحث إلى أنّ:

– الأدوات والروابط تلعب دورا كبيرا في الربط بين الحجج، أو بين الحجج والنتائج المتوصل إليها، أو بين تفاوت الحجج فيما بينها أي التصاعد بين الحجج (السلم الحجاجي) مما يزيد في إذكاء الحجاج وتفعيله أكثر.

أما على مستوى الكلمة فتمت دراستها من الناحية الصوتية فتبيّن لنا بأن الصوت رافد من روافد الحجاج، إذ تمكن الكاتب للرسالة من استخدام كلمات مكنت من رسم صورة سمعية بالغة الدقة والانسجام أدّت دورا كبيرا في التأثير في السامعين، بما تولد عنها من إيحاءات دلالية نابعة من تركيبها الصوتي المتلائم مع معنى الكلمات، ومعانيها عامل من عوامل التأثير والاقناع ومن ثم تمكين المعنى وإيقاعه الصوتي في نفس المتلقي.

لم تكن الصيغ الصرفية أقل أهمية من الصوت في التأثير والإقناع كان لها غايات حجاجية وتداولية استدعاها المقام (السياق).

إذ دلت صيغة المبالغة على رسوخ الصفة وتكثيرها قدحا أو حسنا، ودلت صيغة اسم الفاعل على الملازمة والمداومة وتجدد الفعل وتكرره بما قدمته من وظيفتي التبرير والتوضيح، كما دلت صيغة التفضيل على الترتيب الحجاجي (السلم الحاجي).

أما على مستوى الجملة فقد عرض المبحث الثالث من الفصل الأخير إلى الجملة الحجاجية التي تحمل قيمة حجاجية بنفسها تتميز بوجود روابط ومؤشرات لغوية وعلاقات حجاجية معينة حينا وتعاونها مع جمل أخرى حينا آخر.

–فعلى مستوى أسلوب الجملة استخدم المحاجج أسلوب الأمر والنهي والاستفهام، فكان يستخدم الاستفهام لتبيان الحجج وتوضيحها ويستخدم الأمر والنهي بعد إتمام إلقاء الحجج.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد الدراسة والتحليل الدقيق لمكونات الرسالة وعناصرها وتتبع تقنيات الحجاج فيها ثم الوصول إلى ما يلي :

-تعد الرسالة خطابا حجاجيا موجها بين متباعدين فهو همزة وصل بينهما يحاول الواحد منهم التأثير في الآخر أو التغيير من رأيه أو استمالته للاقتناع والإذعان، إلا أنه يستمد قوته وفعاليته مما تقدمه اللغة من إمكانات خطابية وأساليب بلاغية.

- الحجاج عند اليونان قائما بين الجدل والخطابة، أما عند العرب فهو مرتكز على الحوار والجدل خاصة، وأما عند الغربيين فقد ارتبط بالبلاغة ، فهو إذن حاضر في كل خطاب يتوخى التأثير والإقناع مهما اختلف نوعه أو موضوعه.

-الحجاج يعتمد على التواصل ويعمل في محيط اجتماعي استدعت دراسته مقاربة تداولية تفرز تفاعل مكونات الخطاب الحجاجي مع مقام التواصل.

-شكلت كل من البلاغة العربية والغربية على حد سواء مجالا مشتركا بين الحجاج والتداول وأنهما على صلة وثيقة بهما باعتبارهما أداة للفهم والإفهام والتأثير والإقناع والاستمالة.

-شكلت اللغة رصيدا من الآليات والتقنيات الحجاجية من أدوات وروابط مكنت من ترتيب الحجج وتقويتها، وربطها فيما بينها، ومن أصوات عمقت التأثير وجلبت الانتباه، ومن صيغ صرفية مختلفة وسعت أدوات الحجاج وآلياته إلى صور بلاغية ومحسنات بديعية زادت الحجاج فاعلية وتأثيرا.

-توصل البحث إلى أن الاستدلال العقلي في الرسالة لم يكن مبنيا على الحجة العقلية المنطقية فحسب بل تعدى ذلك إلى الجمع بين الإقناع العقلي والتأثر الوجداني مع تفاعل اللغة والمنطق والسياق.

-تعددت صور وأشكال الاستدلال العقلي وفقا لما يستدعيه الموقف التواصلي من صورة دون أخرى، وهذا ما يعزز البعد التداولي للرسالة.

-غالبا ما يمتزج الوصف بالسرد باعتبارهما آلية من آليات الحجاج، وقد امتاز بقدرتهما الفائقة على الجذب والتشويق وخلق التفاعل بين أطراف الخطاب.

-اعتبر التعريف الحجاجي في الرسالة من التعريفات الموجهة التي توجه المتلقي إلى تبني موقف ما من المعرف بالشرح الحجاجي .

-وأن من أنواع التعريف الحجاجي التعريف المكثف المباشر الذي يعمل على إحداث تفاعل دلالي بين المتحاججين وتعريف المفاهيم والأفكار.

-اعتبرت المقارنة نوع من أنواع الحجاج بالشرح، وقد تنوعت في الرسالة من المقارنة الخفية التي تعتمد على الإضمار والتكثيف، ومقارنة تمثيلية التي تقوي الحجج وتدعمها إلى مقارنة تفضيلية ترجح طرفا بغية تقوية الحجة وتأكيدها.

- حفلت الرسالة بالشرح والتفصيل وذلك باستدعاء الأمثال والنماذج، والأحداث مما منح الحجاج قوة وفعالية باعتبار أن الحجاج بالشرح والتفصيل وسيلة من وسائله الفعالة.

-شكل بناء الجملة في الرسالة إيقاعا موسيقيا اعتمد على المحسنات البديعية من طباق ومقابلة وجناس وغيرها مما استدعى شد الانتباه والمتابعة والإصغاء مراعيا في ذلك مقامات القول ومواطنه ومقاصده من حيث الأسلوب والنسق.

-كما شكلت صيغ الطلب والاستفهام حججا قائمة بنفسها، وأفعالا حجاجية مضمرة وفق ما يقتضيه المقام (السياق) حيث أن كلا منهما يفضي إلى استجابة على شكل فعل قولي محقق.

-كما أن الاستفهام قد اعتمد على تفعيل الجانب الضمني من الكلام، حيث إنه يوجه المتلقي إلى إجابة محددة، من خلال توليد حوار في ذهنه في عدة مواضيع، والحوار من أهم آليات الحجاج في النظريات الحجاجية الحديثة.

-إنه حجاج تداولي يجمع بين الملفوظ من جهة المحاجج وحال المخاطب والظروف المقالية والمقامية المصاحبة لإنجاز الخطاب.

-إنه يجعل من المتلقي طرفا فاعلا ومشاركا في إنتاج الحجج مما يؤدي إلى الاستحواذ وتجاوبه.

-استخدم المحاجج استراتيجية للوصول إلى استجابة تلقائية طوعية واعية متدبرة، فجاءت بلاغة الخطاب: بلاغة موعظة وتوجيه ونصح بعد بيان وتوضيح.

-الحجاج في هذه الرسالة لا ينفك عن الحجاج القرآني والنبوي، الذي يهدف إلى بيان الحقيقة وتعديل السلوك، وترسيخ القيم والمعتقدات الصحيحة ، واستبدال الأفكار والمفاهيم الخاطئة بالصحيحة المبنية على العقل و المنطق الذي لا ينكره لبيب عاقل ، وإثبات القضايا بالتدليل عليها وسوق الحجج اللغوية والعقلية المناسبة لمقام الحجاج.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

- ـ القرآن الكريم : مصحف المدينة الإلكتروني ، برواية : حفص عن عاصم .

أولا : قائمة المصادر والمراجع :

1-المراجع باللغة العربية:

أ-الكتب

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 2، (د.ت)
2. // ، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة، السادسة، 1978م.
3. إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.
4. إبراهيم علي أبو الحسن، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ، ت)، (د، ط) ، الإسكندرية، مصر.
5. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988م.
6. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط: 1، 2009، بيروت
7. // ، جواهر البلاغة ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط: 1، 2009، بيروت، لبنان.
8. أحمد الودرني، نظرية المعنى بين التوصيف والتعديل والنقد، مركز النشر الجامعي، تونس، الطبعة الأولى، 2007م.
9. أحمد بن فارس (ت:395)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1983م.
10. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة، ط:8، 2004، بيروت، لبنان.

11. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور الزاهرة، مطبعة عيسى حلبي ط: 2، القاهرة، مصر ، 1981.

12. أحمد يوسف ، البلاغة السفسطائية ،تهافت المعنى وهباء الحقيقة .

13. أبو إسحاق إبراهيم بن علي يوسف الشيرازي (ت: 476) اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، 2003م.

14. أبو الأصبع المصري ، التحرير التعبيري في صناعة الشعر والنثر والبيان وإعجاز القرآن تحقيق: د: حقي محمد أشرف أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد.، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط: 1 1963، مصر.

15. أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه ومذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2011، طرابلس، لبنان

16. أنيس المقدسي، تطور الأساليب النقدية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط:3، 1965، بيروت لبنان.

17. أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي (مقال)، ترجمة: محمد العمري، ملحق بكتاب: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.

18. باتريك شارودو ، الحجاج بين النظرية والأسلوب ، ترجمة :أحمد الوردني ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط:1 ،بيروت لبنان ، 2009 .

19. // ، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري–حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، 2008م.

20. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل أبراهيم، المكتبة العصرية،د ،ط، صيدا، بيروت 2009.

21. أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمود المصري، مؤسسة الرسالة، ط: 2، بيروت، 1998.

22. بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب، بيروت، (د.ط)، 2009م.

23. تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1995م.

24. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، (مقال تشفيق المعنى)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

25. // ، مناهج البحث في اللغة، مكتبة النشر للطباعة، القاهرة، (د.ط)، 1989م.

26. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

27. // ، همع الهوامع في شرح الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

28. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان/مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

29. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار فريب، (د، ط) ، القاهرة 2000.

30. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2008م.

31. جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة والفنون (ضمن كتاب: المشروع القومي للترجمة بإشراف الدكتور جابر عصفور، القاهرة، العدد 368، الطبعة الأولى، 2003م.

32. جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013م.

33. حاجي خليفة، كشف الظنون من أسماء الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

34. حازم القرطاجنيّ (ت:684هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.

35. // ، منهاج البلغاء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار المغرب الإسلامي، ط: 2، 1998، بيروت.

36. حافظ إسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط: 1، 2010.

37. أبو حامد الغزالي، مقاصد الفلاسفة، تحقيق: محمد بيجو، مطبعة الصباح دمشق، الطبعة الأولى، 2000م.

38. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعينو، دار مكتب الهلال، ط: 1 بيروت ، 1987.

39. حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، إفريقيا الشرق ، (د ، ط) ، الدار البيضاء، المغرب ،2004

40. حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العامة للنشر، لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م.

41. حلمي خليل، الكلمة دراسة معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، الطبعة الثانية، 1998م.

42. حمادي صمود مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (مقال)، ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم من إصدار فريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة-تونس، 1999م.

43. // ، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1999م.

44. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ط: 1، صيدا، لبنان، 2001.

45. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق: احسان عباس ط: 1، دار صادر، بيروت 1971.

46. د. فتحية العقدة، من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث الشريف، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993م.

47. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

48. الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، دار المعارف، ط: 4، مصر.

زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن، مطابع الفرزدق، الرياض، (د.ط)، (د.ت).

49. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت:795هـ)، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

50. زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ت:666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف محمد الشيخ المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، (د.ت).

51. سامي عياد حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، بيروت، 1997م.

52. سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط: 1، 2012، عمان، الأردن.

53. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، أربد ط: 1، 2008.

54. سعد الدين التفتازاني (ت:792هـ)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحمدي هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2007م.

55. سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتجليات ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط:1 ،القاهرة ، 2006 .

56. سناء البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، جامعة قار يونس بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 1998م.

57. شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة (مقال)، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، من إصدار فريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة-تونس، 1999م.

58. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية د.ت، ط: 10 مصر.

59. // ، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف ط:6 ، 1984، مصر.

60. صابر الحباشة، من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص القرآنية، (مقال)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة 1، 2010م، الجزء4 :(الحجاج والمراس).

61. ضياء الدين ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية (د.ت).

62. طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، المؤسسة اللبنانية الأكاديمية، ط: 1، 1987.

63. // ، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، ط: 1، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، د، ت، لبنان.

64. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 2012م.

65. // ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 2012م.

66. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشرة، (د.ت).

67. العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1971م. أبو

68. عبد البديع صقر، كيف ندعوا الناس، دار الشهاب، باتنة.

69. عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في التراث اللساني العربي، مكتبة علاء الدين، صفقاس، الطبعة الأولى، 2004م.

70. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، شرح الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك، ط3، الجزائر، 2019.

71. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير تداولية معرفية لآليات التواصل، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006.

72. عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهظة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د، ت، ط:1، مصر.

73. عبد العزيز لحويدق ، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية .

74. عبد الله العشي، زمام الخطابات، مدخل تصنيفي، دار الأمل، تيزي وزو، 2005.

75. عبد الله الغامدي، الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريعية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسات تطبيقية، المرطز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2006.

76. عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت: 791هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، 1985م.

77. عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف : الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا مقال ضمن: أهم نظريات الحجاج.

78. // ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، دار الفاراي، د.ط بيروت

79. // ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفاراي، بيروت: ط: 1، لبنان ، 2007.

80. // ، في نظرية الحجاج دراساته وتطبيقاته مسكلاني للنشر والتوزيع: ط: 1، تونس، 2011.

81. عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، أبو أحمد ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

82. عبد الوهاب كيالي، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ط)، (د.ت).

83. ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط :1 ، 1404 هـ .

84. أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) ، البيان والتبيين ، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، د، ط: 2006، بيروت.

85. علي الشعبان، الحجاج في المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري للنشر والتوزيع، ط: 1، تونس 2008.

86. علي بهاء الدين أبو خدود، المدخل الصوفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

87. علي محمد سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجا)، وزارة الثقافة والإعلام الثقافة والتراث الوطني، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، 2010م.

88. عمر أوكان، اللغة والخطاب، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د.ط)، 2001م.

89. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 1، 2003.

90. عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت: 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م.

91. عوض الله حجازي، المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، دار الطباعة المحمدية، مصر، الطبعة السادسة، (د.ت).

92. عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، بالنسبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 2008م.

93. غازي ظليمات، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه وفنونه، ط1، مكتبة الإيمان، 1992، دمشق، سوريا.

94. // تاريخ الأدب العربي (النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، دار أفاق متجددة، دار الفكر، د، ت، ط 1، سوريا.

95. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمّان، الأردن، الطبعة الثانية، 2007م.

96. فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا، الشرق، الدار البيضاء، (د.ط)، 2000م.

97. أبو الفتح عثمان ابن جني ، سر صناعة الاعراب. تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 2012.

98. // ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (ت:392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1999م.

99. // الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 2012.

100. فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الفكر الأردن، ط:3، 2007.

101. فردناند ديسوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة: بيونيل يوسف غرار، مراجعة مالك يوسف المطلبي، دار الأفاق العربية، ط: 3، بغداد.

102. // ، محاضرات في الألسنية العامة ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م.

103. فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز لإنماء القومي، المغرب، (د.ت).

104. فولفجانج ديترفيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلقه عليه: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004م.

105. فيليب برونو وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تحقيق: محمد صالح محمد الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط: 1، جدة، 2011.

106. قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، نقد الشعر، أبو الفرج (ت:337هـ)، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت).

107. كولردج، النظرية الرومانتيكية في الشعر سيرة أدبية، ترجمة: عبد الحكيم حسان، دار المعارف، مصر، 1971م.

108. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1998م.

109. ليونيل بلنجر ، عدة الأدوات الحجاجية ، ترجمة : فضيلة قوتال

110. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.

111. محمد أبو زهرة، الخطابة: أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي د. ط، د، ت، مصر.

112. محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع (مقال)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2010م، الجزء الرابع: (الحجاج والمراس).

113. محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري، مقال ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، دار إفريقيا الشرق، ط: 1، المغرب، 2001.

114. محمد بن علي التهانوي (ت 1158هـ) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت الطبعة الأولى، 1996م.

115. محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت:711)، لسان العرب، دار صادر–بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

116. محمد بن يزيد أبو العباس المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1996

117. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار المنصورة للنشر، د.ت الجزائر.

118. محمد سالم الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط: 1، 2008.

119. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار النشر الثقافية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: 1، 2005.

120. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعباسي، دار الجيل، ط: 1، 1990، بيروت، لبنان.

121. // ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، د، ط، 1990، بيروت لبنان.

122. محمد عزيز نظمي سالم، المنطق الصوري والرياضي، دراسة تحليلية لنظرية القياس وفلسفة

اللغة، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، (د.ط)، 2002م.

123. محمد علي كردين، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، د، ط، 1993

124. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2004م.

125. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

126. محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر، القاهرة، (د.ط)، 1994م.

127. محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي: دراسات تحليلية نقدية لتطور الأساليب، د، ط، د، ت.

128. محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.

129. محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، الطبعة الثانية، 1953م.

130. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2007م.

131. // ، ضوابط المعرفة، دار قباء الحديثة، ط: 5، القاهرة.

132. مستقبل التداولية (مقال)، آن ريبول، ضمن كتاب: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، 2010م.

133. معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري جزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ.

134. مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق (د.ط)، 1982م.

135. مهدي المخزومي، نقد وتوجيه في النحو العربي، دار الرائد العربي، لبنان، ط: 2، 1986.

136. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1418هـ.

137. موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2003 .

138. ميشيل ماير، اللغة والمنطق والحجاج الباب الثاني: اللغة والسياق (مقال)، تقديم وترجمة محمد أسيداه، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إربد-الأردن، الطبعة الأولى، 2010، الجزء الخامس (نصوص مترجمة).

139. نجم الدين القزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، تقديم تحليل وتعليق: مهدي فضل الله، المركز الثقافي في العربي، ط: 1، الدار البيضاء، 1998.

140. نعمان بوقرة، لسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الثانية، 2009م.

141. هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، منشورات كلية الأدب، منسوبة، تونس 1998.

142. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، د، ط، د، ت صيدا، لبنان، 1986.

143. ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: عبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية ، (د،ط) (د،ت) ، بيروت.

144. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1998م.

145. أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، تحقيق: الشريف علي بن محمد، السيد أحمد بن محمد الأسكندري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط: 1، بيروت، 2006.

146. روبرت بيوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ،1998 .

ب– المعاجم والقواميس:

147. إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي للغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، (د، ط) ،القاهرة ، 1983 .

148. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، ط: 2، 2001، بيروت لبنان.

149. الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: ابراهيم الأبياري، د، ط، دار اللسان العربي، لبنان 1992.

150. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (د، ط) (د، ت).

151. أبو الحسن أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979.

152. الراغب الأصبهاني، مفردات غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: 3، (د، ت).

153. سامي عياد حنا، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، بيروت، 1997.

154. مجد الدين محمد يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط،مكتب تحقيق الثرات في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط: 8، 2005، بيروت، لبنان.

155. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط: 3، القاهرة ، 1998.

156. محمد علي التهانوي، كشاف الإصطلاحات والفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم علي دحروج، د، ت، ط: 1، 1983.

157. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، مطبعة الكويت، 1974.

158. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشادلي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

159 .ميشيل عاصم وأيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، ط: 1، بيروت، 1987.

2: المراجع الأجنبية:

160 Cambridge Advanced Learners, Dictionary Cambridge University. Press 3rd pub. 2004.

161 Le grand Robert, dictionnaire de langue française paris 1989.

162 Longmans, Dictionary of contenporary, English, lengman, 1989.

ج- الرسائل الجامعية:

163 بوصيري ناصر، فن الترسل في العهد الرستمي، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجيستير، ط: 1، 2007، جامعة منوبة ، تونس.

164 السيد راضي علي عبد الرازق، بناء الجملة العربية، دراسة تطبيقية على ديوان البهاء زهير، رسالة الماجيستر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، .1981

165غنية لفاني، بلاغة النثر في العصر الأموي، مذكرة لنيل الماجيستر، 2018، جامعة باتنة.

د–المجلات:

166.بلقاسم حمام الأثر، البلاغة العربية وألية الحجة، مجلة الأدب واللغات، جامعة ورقلة الجزائر، العدد: 4، ماي .2005

167.الشريف ميهوبي، الجملة في نظر اللسانيين العرب، دراسة منشورة في مجلة الدراسات الإسلامية العربية: دبي: العدد 39، .2009

168 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة عدد 164، الكويت 2001.

169 كوزيليافون راد صطولوجي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات جامعة منوبة، كلية الأدب، تونس، .2003

170ـ محمد الولي: مدخل إلى الحجاجيين أفلاطون وأرسطو وشايم بيرمان، مجلة عالم الفكر، العدد: 02، الكويت 2001.

هـ–المقالات

هذه المقالات تندرج ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2010م.

- صابر الحباشة، من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص ، حجاجية المفردة القرآنية
- أحمد يوسف، البلاغة السفسطائية ،تهافت المعنى وبهاء الحقيقة
- رشيد الراضي ، السفسطائيات في المنطقيات المعاصرة ، التوجه التداولي الجدلي أنموذجا
- رشيد الراضي، الحجاج والبرهان
- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية ، والمنهجية البنيوية .
- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند اسكمبر .
- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية.

- أحمد أسيداه، السفسطائية وسلطان القول نحو أصول لسانيات سوء النية .
- محمد أسيداه، اللغة والمنطق والحجاج .
- محمد أعبيدة ، الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها .
- محمد الأمين الطلبة ، الحجاج عند بيرلمان
- محمد العبد ، النص الحجاجي دراسة في وسائل الإقناع .
- محمد العمري ، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة ؟

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	1
تمهيد: فن الترسل عند العرب **المفهوم والخصائص والتاريخ**	
أولا: ماهية الرسالة:	9
أ ـ الرسالة لغة	9
ب ـ الرسالة اصطلاحا	10
ثانيا: تطور فن الرسالة وخصائصه	12
أ-في العصر الجاهلي	12
ب-الرسائل في صدر الإسلام	14
ج ـ الرسائل في العصر الأموي	18
د-الرسائل في العصر العباسي	25
الفصل الأول: الحجاج مفهومه، تاريخه، وآلياته	
المبحث الأول: مفهوم الحجاج	31
أولا: الدلالة المعجمية اللغوية للفظ الحجاج	31
1- في التراث العربي	31
2- دلالة الحجاج في القواميس الأجنبية	32
ثانيا: الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج	33
ثالثا: مصطلحات مصاحبة للحجاج	36
1 ـ الجـدل	36

2-الحوار	**37**
3 ـالبرهـان	**37**
4 ـ المناظرة	**38**
5-الإقناع	**39**
المبحث الثاني: إطلالة تاريخية للدراسات الحجاجية	**41**
أولا: الحجاج في الفكر اليوناني	**41**
1-مفهوم الحجاج عند أرسطو	**41**
2-أنواع الخطاب عند أرسطو	**42**
ثانيا: الحجاج عند العرب	**46**
1-مفهوم الخطابة عند العرب	**46**
2-خصائص الخطبة	**47**
3-أنواع الخطب	**48**
4- الحجاج في القرآن الكريم	**49**
5-الحجاج في السنة النبوية	**51**
6-تطور الحجاج عند العرب	**51**
7-بعض صور الحجاج في البلاغة العربية	**53**
ثالثا- الحجاج في الدرس الغربي الحديث	**56**
1 - الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا	**57**
2-الحجاج عند تولمين	**67**
3- الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر	**67**

4- مفهوم الحجاج عند (ميتشال ماير) (فلسفة الاستشكال)	**75**
المبحث الثالث: تقنيات الحجاج وآلياته اللغوية	**78**
أولا: الأدوات والروابط	**78**
1-ألفاظ التعليل	**78**
2 ـ روابط الوصل السببي	**80**
3ـ الأفعال اللغوية	**80**
ثانيا: الآليات اللغوية باستخدام العلاقات الشبه منطقية:	**81**
1-السلم الحجاجي	**82**
2-أدوات السلم الحجاجي اللغويّة	**85**
ثالثا: الآليّات البلاغيّة	**88**
1-ترتيب أجزاء القول (الخطاب)	**88**
2-تقسيم الكل إلى أجزائه	**89**
3- الصور البيانية	**90**
4 ـ المحسنات البديعية	**93**
خاتمة الفصل الأول	**95**
الفصل الثاني: الحجاج بالاستدلال والشرح والتفصيل	
المبحث الأول: التعريف بالمدونة مدار البحث والدراسة	**97**
أولا ـ التعريف بمرسل الرسالة وكاتبها والمرسل إليه	**98**
1-التعريف بصاحب الرسالة (هارون الرشيد)	**98**
2-التعريف بكاتب الرسالة (أبو الربيع)	**100**

3-التعريف بقسطنطين السادس الذي وجهت إليه الرسالة	**101**
ثانيا ـ أسباب كتابة الرسالة	**101**
ثالثا -قراءة في فحوى الرسالة	**104**
المبحث الثاني: الاستدلال العقلي في الرسالة	**113**
أولا : مفهوم الاستدلال العقلي	**113**
1-الاستدلال لغة واصطلاحا	**113**
2 ـ مفهومه عند القدماء والمحدثين	**113**
3 ـ أقسام الاستدلال	**115**
4- طبيعة الاستدلال العقلي في الرسالة (المدونة)	**115**
ثانيا ـ أشكال الاستدلال في الرسالة	**116**
1 ـ الاستدلال بالقياس	**116**
2- الاستدلال بالاستقراء	**121**
3 ـ الاستدلال بالمعاينة	**124**
4 ـ الاستدلال السببي	**125**
المبحث الثالث: الحجاج بالشرح والتفصيل والمساءلة	**127**
أولا-الشرح بالوصف أو السرد	**129**
1-الوصف	**129**
2-السرد	**131**
ثانيا-الشرح بالتعريف	**134**
ثالثا -الشرح بالمقارنة	**138**

رابعا ـ الشرح بالتشبيه	**141**
خامسا- الشرح بالمثال واستحضار الأحداث	**142**
سادسا ـ الشرح عن طريق القياس المنطقي	**144**
سابعا ـ الشرح الذرائعي (السببي)	**144**
ثامنا-الشرح الحسابي	**145**
تاسعا-الحجاج بالشرح الفرضي	**147**
خاتمة الفصل الثاني	**149**
الفصل الثالث **مستويات الحجاج اللغوي في الرسالة**	
المبحث الأول: الحجاج على مستوى الأدوات والروابط اللغوية	**151**
أولا-الروابط الحجاجية	**152**
1-لكن	**152**
2-حتى	**156**
3-الواو	**158**
ثانيا-العوامل الحجاجية	**159**
ثالثا - درجات التوكيد	**160**
1-الخبر الابتدائي	**160**
2-الخبر الطلبي	**161**
3-الخبر الإنكاريّ	**161**

المبحث الثاني: الحجاج على مستوى الكلمة:	**162**
أولا-الحجاج على المستوى الصوتي للكلمة:	**164**
ثانيا: الحجاج على المستوى الصرفي للكلمة	**168**
1- اسم الفاعل	**169**
2-إسم التفضيل	**172**
3-صيغ المبالغة	**173**
المبحث الثالث: الحجاج اللغوي على مستوى الجملة	**176**
أولا-مفهوم الجملة	**176**
ثانيا: الجملة من حيث التقسيم	**178**
ثالثا :أساليب الجملة	**179**
1 ـ أسلوبا الأمر والنهي	**179**
2 ـ أسلوب التعجب	**181**
ثالثا- ترتيب أجزاء القول (الرسالة)	**183**
رابعا-الآليات البلاغية في الرسالة	**187**
1- التشبيه	**187**
2- المجاز	**187**
3-الاستعارة	**188**
4-البديع في الرسالة	**192**
ملخص الفصل الثالث	**196**
الخاتمة	**197**

قائمة المصادر والمراجع	200
فهرس الموضوعات	217
الملحق: نص الرسالة	50-1
الملخص	

الملحق

نص الرسالة

رسالة هارون الرشيد إلى قسطنطين السادس[1] ملك الروم

كتبها له أبو الربيع محمد بن الليث

«من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، فإني أحمد الله الذي لا شريك معه، ولا ولد له، ولا إله غيره، الذي تعالى عن شبه المحدودين بعظمته، واحتجب دون المخلوقين بعزّته، فليست الأبصار بمدركة له، ولا الأوهام بواقعة عليه، انفرادا عن الأشياء أن يشبهها، وتعاليا أن يشبهه شيء منها، وهو الواحد القهار، الذي ارتفع عن مبالغ صفات القائلين، ومذاهب لغات العالمين، وفكر الملائكة المقربين، فليس كمثله شيء، وله كل شيء وهو على كل شيء قدير.

أما بعد، فإن الله جل ثناؤه، وتباركت أسماؤه، قال لنبيه ﷺ فيما أنزل من آيات الوحي إليه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:125]فرأى أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله، أن يكون إلى سبيل ربه داعيا، وبرسوله ﷺ متأسيا ولقوله: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا، وقال إنني من المسلمين»موافقا، وكنت من كتب الله المنزلة، وآياته المفسّرة، وخلقه الكثير- بحيثُ رجا أمير المؤمنين إسماعك لموعظته، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم، قد بؤت بأوزارهم مع وزرك، واحتملت من آثامهم إلى إثمك، فأحبّ أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك، إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه، أو تركتموه زهادة فيه، فاشهدوا بأنا مسلمون، واستمعوا ما أمير المؤمنين واصف لكم، ومحتج به إن شاء الله عليكم بقلوب شاهدة وآذان واعية، ثم اتبعوا أحسن ما تستمعون، ولا قوة إلا بالله.

---

[1] ـ هو قسطنطين السادس، ولى ملك الروم سنة 780م (وقد ولى الرشيد الخلافة من سنة 786 إلى 809م=سنة 170 إلى 193هـ).

فإن الله عز وحل يقول فيما أنزل من كتابه، واقتص على عباده: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر: 17-18] إن الله تبارك اسمه، وتعالى جدّه وصف فيما أنزل من آياته، وشرح من بيناته، الأمم الماضية والقرون الخالية والملل المتفرقة، الذين يجعلون مع الله آلهة لا برهان لهم بها ولا حجة لهم فيها، فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾.[النساء:171-172]

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة، وأهل الكتاب الذين يقولون ثالث ثلاثة: بأيّما آية يا محمد تزعم أن الله إله واحد فأنزل الله عز وجل في ذلك آية تشهد لها العقول، وتؤمن بها القلوب، وتعرفها الألباب، فلا تستطيع لها ردّا، ولا تطيق لها جَحْدًا، ذَكَرَ فيها اتصال خَلْقه واتفاق صنعه، ليوقن الجاهلون من العرب والضالون من أهل الكتاب أن إله السماء والأرض وما بينهما من الهواء والخلق واحد لا شريك له، خالق لا شيء معه، فقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[البقرة: 164] فتفكر في تفسير هذه الآية من كلام الرّب عز وجل، وما أوضح فيها من بيان الخلق، فإنه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض، إلا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض مثل ما رأى في تدبيره نفسه، وعرف من اتصال خلقه فيما بين ذوائب[1]، شؤون رأسه

[1] _ الذوائب: جمع ذؤابة بالضم، وذؤابة كل شيء أعلاه: والشؤون، مواصل قبائل الرأس (وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض).

إلى أطراف أنامل قدمه، وفي ذلك أوضح آية، وأبين دلالة، على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه، ولا من شيء ابتدعه ولا على مثال صنعه، قد ترون بعيونكم وتعلمون بعقولكم، أن الله عز وجل خلق للأنام الأرض، وجعلها موصولة بالخلق، فليس يدحوها[1] إلا لهم، ولا يديمها إلا معهم، وجعل ذلك الخلق متصلا بالنبت، لا يقوم إلا به، ولا يصلح إلا عليه، وجعل ذلك الخلق متصلا بالنّبت، لا يقوم إلا به، ولا يصلح إلا عليه، وجعل ذلك النبت الذي جعله متاعا لكم، ومعاشا لأنعامكم متصلا بالماء الذي ينزل من السماء بقدر معلوم لمعاش مقسوم، فليس ينجُم إلا به، ولا يحيا إلا عنه، وجعل السحاب الذي يبسطه كيف يشاء متصلا بالريح المسّخرة في جو السماء تثيره من حيث لا تعلمون، وتسوقه وأنتم تنظرون كما قال الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾. [فاطر:9]ووصل الرياح يصرّفها في جوّ السماء بما يؤثر في خلق الهواء، من الأزمنة التي لا تثبت الهواجر[2] إلا بثباتها ولا يزول عنه برد إلا بزوالها، ولولا ذلك لظَلَّ راكدا بالحرّ المميت، أو مائلا[3] بالبرد القاتل، ووصل الأزمنة التي جعلها متصرّفة متلونة بمسير الشمس والقمر الدائبين لكم، المختلفين بالليل والنهار عليكم، وجعل مسيرهما الذي لا تعرفون عدد السنين إلا به، ولا مواقع الحساب إلا من قبله، متصلا بدوران الفلك الذي فيه يسبحان، وبه يأفلان، ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء، فهذا خلق الله عز وجل، ما فيه تباين ولا تزايل ولا تفاوت، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ [الملك: 3][4]. ولو كان لله شريك أو معه ظهير[5] عليه، يمسك منه ما يرسل ويرسل منه ما يمسك، أو يؤخّر شيئا من ذلك عن وقت زمانه أو يعجّل قبل مجيء إبّانه، لتفاوت الخلقُ، ولَتَبَاين الصنع، ولفسدت السموات والأرض، ولذهب كل إله بما

---

[1] _ دحاها: يدحوها: بسطها.

[2] _ نجم كنصر: طلع وظهر.

[3] _ الهواجر: جمع هاجرة، وهي شدة الحر.

[4] _ في الأصل "مايلا" أو صوابه "مائلا"

[5] _ الظهير: المعين.

خلق كما قال عز وجل-وكذّب المبطلين-﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:90-91]

والعجب: كيف يصف مخلوق ربّه، أو يجعل معه إلها غيره وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء، صنعة ظاهرة، وحكمة بالغة، وتأليفا متفّقا، وتدبيرا متصلا، من السماء والأرض، لا يقوم بعضه إلا ببعض، متجليا بين يديه، ماثلا نصب عينيه يناديه إلى صانعه، ويدلّه على خالقه، ويشهد له على وحدانيته، ويهديه إلى ربوبيته ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾. [الأعراف: 190-191].

حقا ما كرر هؤلاء الجاهلون برهم، الضالون عن أنفسهم، في خلق الله النظر، ولا رجعوا-كما قال الله عزوجل الص

ضالون عن أنفسهم في خلق النظر، ولا رجعوا-كما قال الله عز وجل الفكر، ولو أعملوا فكرهم، وأجهدوا نظرهم، فيما تسمع آذانهم، وترى أبصارهم، من حوادث حالات الخلق، وعجائب طبقات الصنع، لوجدوا في أقرب ما يرون بأعينهم: من التأليف لتركيب خلقهم، والأثر في التدبير بصنعهم، ما يدلهم على توحيد ربهم، ويقف بهم على انفراده بخلقهم، فإنهم يرون في أنفسهم بأعينهم ويجدون بقلوبهم، أنها مخلوقة صنعة بعد صنعة، ومحوّلة طبقة عن طبقة ومنقولة حالا إلى حال: سلالة من طين، ثم نطفة من ماء مهين [1]، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما كساه الله عز وجل لحما ونفخ فيه روحا فإذا هو خلق آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، الذي خلق في قرار مكين، من ماء قليل ضعيف دليل، خلقا صوره بتخطيط، وقدره بتركيب، وألفه بأجزاء متفقة وأعضاء متصلة من قدم إلى ساق إلى فخذ ما فوق ذلك، من مفاصل ما يعلن، أو عجائب ما يبطن، ليعلم الجاهلون ويوقن الجاحدون، أن الذي صنع ذلك وخلقه، ودبّره، وقدّره، وهيّأ ظاهره وباطنه، إله واحد لا شريك معه،

[1] _ المهين: الحقير

فلا يذهبنّ ذكر هذا صفحا عنكم، ولا تسقط حكمته جهلا به عليكم، وفكروا في آيات الرسل وبينات النّذر، فإن ذلك فكرا للمبصرين، وبصرا للمعتبرين وذكرى للعابدين، والحمد لله رب العالمين.

وأمير المؤمنين واصف لكم ومقتص من ذلك إن شاء الله عليكم، ما فيه شهادات واضحات، وعلامات بينات، ومبتدىء بذكر آيات نبينا ﷺ فيما أنزل الله منها في الوحي إليه، فإنه ما أحد يقرع بآيات النبوّة قلبه، ويحصن ببيّنات الهدى عقله، إلا قادته حتى يؤمن بمحمد ﷺ، لا يجد إلى إنكار ما جاء به من الحق سبيلا، فأردت أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد ﷺ وحقّه وما أنزل إليه من ربه عز وجل، فأحضر كتاب أمبير المؤمنين فهمك، وألق إلى ما هو واصف إن شاء الله سمعك.

إن الله عز وجل اصطفى الإسلام لنفسه، واختار له رسلا من خلقه، وابتعث كل رسول بلسان قومه، ليبيّن لهم ما يتّبعون، ويعلمهم ما يجهلون، من توحيد الرب، وشرائع الحق: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:165]. فلم تزل رسل الله قائمة بأمره، متوالية على حقه، في مواضي الدهور، وخوالي القرون، وطبقات الزمان، يصدّق آخرهم بنبوّة أوّلهم، ويصدّق أولهم قول آخرهم، ومفاتح دعوتهم واحدة لا تختلف، ومجامع ملّتهم ملتئمة لا تفترق، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بنى عيسى عليه السلام عليها وبشّر بها، إلى النبي الأميّ الذي انتخبه الله لوحيه، واختاره بعلمه، فلم يزل ينقله بالآباء الأخاير، والأمهات الطواهر، أمة فأمة، وقرنا فقرنا، حتى استخرجه الله في خير أوان، وأفضل زمان، من أثبت محاتد[1] أرومات البرية أصلا، وأعلى ذوائب نبعات[2] العرب فرعا، وأطيب منابت أعياص[3] قريش مغرسا وأرفع ذرى مجد بني هاشم سمكا[4]، محمد ﷺ خيرها عند الله وخلقه نفسا، على حين أوحشت الأرض من أهل الإسلام والإيمان، وامتلأت الآفاق من

---

[1] _ محاتد: جمع محتد كمجلس. وهو الأصل والأرومة بالفتح وتضم: الأصل أيضا.

[2] _ نبعات: جمع نبعة كوردة، والنبع شجر يتخذ منه القصى والسهام، ومعناها هنا الأصول.

[3] _ الأعياس: جمع عيص بالكسر، وهو الأصل، ومنبت خيار الشجر.

[4] _ سمكه سمكا: رفعه، والسمك أيضا، السقف.

عبدة الأصنام والأوثان، واشتعلت البدعُ في الدين، وأطبقت الظلم على الناس أجمعين، وصار الحق رسميا عافيا [1]. خلقا باليا، ميتا وسط أموات[2]، ما إن يحسّون للهدى صوتا يسمعونه ولا للدين أثرا يتبعونه، فلم يزل ﷺ قائما بأمر الله الذي أنزل إليه، يدعوهم إلى توحيد الرب عز وجل، ويحذّرهم عقوبات الشّرك، ويجادلهم بنور البرهان، وآيات القرآن وعلامات الإسلام، صابرا على الأذى محتملا للمكروه، قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه، ومعز تمكينه، وعاصمه ومستخلفه في الأرض، فليس يثنيه ريب ولا يلويه هيب، ولا يعنّيه أذى، حتى إذا قهرت البينات ألبابهم، وبهرت الآياتُ أبصارهم، وخصم نور الحق حُجتهم، فلم تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه، ولم تجد العقول سبيلا إلى دفع حقه، وهم على ذلك مكذّبون بأفواههم، وجاحدون بأقوالهم، كما قال الله عز وجل العليم بما يسرّون الخابر بما يعلنون: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام:33] بغيا وعداوة، وحسدا ولجاجة، افترض الله عليه قتالهم، وأهم أن يجرّد السيف لهم، وهم في عصابة يسيرة، وعدة قليلة، مستضعفين مستذلين، يخافون أن يتخطفهم العرب، وتداعى عليهم الأمم، وتستحملهم[3] الحروب، فآواهم في كنفه، وأيّدهم بنصره، وأذرهم بمقدمة من الرعب، ومشغلة من الحق، وجنود من الملائكة، حتى هزم كثيرا من المشركين بقلّتهم وغلب قوة الجنود بضعفهم، إنجازا لوعده، وتصديقا لقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات:173] فأحسن النظر وقلب الفكر في حالات النبي ﷺمن الوحي قائما لله، لتجد لمذاهب فكرك، وتصاريف نظرك، مضطربا واسعا، ومعتمدا نافعا، وشعوبا جمة، كلها خير يدعوك إلى نفسه، وبيان يكف لك عن محضه، وأخبر أمير المؤمنين ما كنت قائلا لو لم تكن البعثة للنبيﷺ بلغتك، ولم تكن الأنباء بأموره تقرّرت قبلك، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك، وقالت الجماعة المختلفة لك: إنه نجم بين ظهراني [4].مثل هذه الضلالات المستأصلة،

---

[1] _ أي يمحوا دارسا.

[2] _جاء في كتب اللغة: «تقول جلست وسط القوم بالتسكين لأنه ظرف، وجلست في وسط الدار بالتحريك لأنه اسم وكل موضع يصلح فيه بين فهو الوسط بالتسكين، وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك، وربما سكن، وليس بالوجه»

[3] _ استحمله نفسه: حمله حوائجه وأموره.

[4] _ يقال: هو ما بين ظهريهم وظهرانيهم –ولا تكسر النون–وبين أظهرهم: أي وسطهم.

والجماعات المستأسدة[1]، التي ذكر أمير المؤمنين، من قبائل العرب، وجماهير الأمم، وصناديد الملوك، ناجم قد نصب لها، وغري[2] بها، يجهل أحلامها [3]، ويكفّر أسلافها، ويفرّق ألآفها، ويعلن آباءها، ويضلل أدياتها، وينادى بشهاب[4] الحق بينها، ويجهر بكلمة الإخلاص إلى من تراخى عنها، حتى حميت العرب، وأنفت العجم، وغضبت الملوك، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه إليه، وحيدا فريدا لا يحفل بهم غضبا، ولا رهب عنتا[5] يقول الله عز وجل:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة:67]كنت تقول فيما تجري الأقاويل به، وتقع الآراء عليه، إلا أنه أحد رجلين: إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول، وقد دعا الحتف[6] إلى نفسه.

وأذن الله لقومه في قتله، فليست الأيام بمادة له، ولا الحال بثابتة له، إلا ريثما تستلحمه [7] أسبابهم وينهض به حلماؤهم، غضبا لربهم وأنفة لدينهم وحمية لأصنامهم، وحسدا من عند أنفسهم وإما صادق بصير بموضع قدمه، ومرمى نبله، قد تكفل الله عز وجل بحفظه وصحبه بعزّه وجعله في حرزه وعصمه من الخلق، فليست الوحشة بواصلة –مع صحبة الله– إليه، ولا الهيبة بداخلة–مع عصمة الله– عليه، ولا سيوف الأعداء بمأذون لها فيه، ثم ما رأيكم[8] يا أهل الكتاب ولو قيل لكم: إن الرجل الذي يدعى العصمة، وينتحل المنعة، قد نجحت الأمور به على ما قال، وسلمت الحال له فيما

---

(1) _ أي القوية.

(2) _ يقال: غرى به كفرح وأغرى به وغرى مبنيين للمجهول: أي أولع.

(3) _ الأحلام: جمع حلم بالكسر، وهو العقل.

(4) _ الشهاب: شعلة من نار ساطعة.

(5) _ العنت: دخول المشقة على الإنسان.

(6) _ الحنف: الهلاك.

(7) _ استحلم (مبنيا للمجهول) إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا.

(8) _ في الأصل «ثم إن آيتكم» وهو تحريف لا يستقيم عليه المعنى، وقد أصلحته كما ترى.

ادعى، حتى نصب لعمارات العرب[1]، وجماعات الأمم يقاتل بمن طاوعه من خالفه، وبمن تابعه من عانده، جادّا مشمّرا، محتسبا واثقا بموعود الله ونصره، لا تأخذه لومةُ لائم في ربّه، ولا يوجد لديه غميزة[2] في دينه، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه، حتى أعزّ الله دينه، وأظهر تمكينه، وانقادت الأهواء له، واجتمعت الفرق عليه، ألم يكن ذلك يزيد حقّه يقينا عندكم، ودعوته ثبوتا فيكم، حتى تقول الجماعة من حلمائكم، وأهل الحنكة من ذوي آرائكم: ما كان الرجل-إذ كان وحيدا فريدا قليلا، ضعيفا ذليلا، معروفا بالعقل، منسوبا إلى الفضل ليجترى أن يقول: إن الله عز وجل أوحى إليه فيما أنزل من الكتاب أن يعصمه من العرب جميعا، ويمنعه من الأمم طرّا[3]، حتى يبلغ رسالات ربه، ويظهره على الدين كله، ويدخل الناس أفواجا في دينه، إلا وهو على ثقة من أمره، ويقين من حاله.

فسبحان الله يا أهل الكتاب ما أبين حق النبيﷺلمن طلبه، وأسهله لمن قصد له؛ واستعملوا في طلبه ألبابكم، وارفعوا [إليه[4]] أبصاركم، تنظروا بعون إليه، وتقفوا إن شاء الله عليه، فإن علامات نبوّته، وآيات رسالته، ظاهرة لا تخفى على من طلبها، جمّة لا يحصى عددها، منها خواصّ تعرفها العرب، وعوامّ لا تدفعها الأمم، فأما الخواص المعروفة لدينا المعلومة عندنا التي أخذتها الأبناء عن الآباء، وقبلها الأتباع عن الأسلاف، فأمور قد كثر البيّنات فيها وتداولت الشهادات عليها، وثبتت الحجج بها، وتراخت الأيام ببعضها، حتى رأيناه عيانا، وقبلناه إيقانا، فهي أظهر فينا من الشمس وأبين لدنيا من النهار، ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها ولم ينقل الآباء إليكم علمها، وما لا يدرك إلا بالسمع موضوع الحجة عن العقل، فليس أمير المؤمنين بمحاج لكم، ولا قاصد إليكم من قبلها وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضيين القاطعة لحجج المبطلين، التي لا تنكر عقول الأمم وجوب حقها، ولا تدفع ألباب الأعداء صحة أمرها، فسيولجها أمير المؤمنين مسالك أسماعكم

---

[1] _ العمارة بالفتح والكسر: الحي العظيم.

[2] _ يقال: فيه مغز وغميزة: أي مطعن.

[3] _ أي جميعا.

[4] _ في الأصل بياض محل هذه الكلمة. .

ويعيد بها حجة الله في أعناقكم، من وجوه جمّة وأبواب كثيرة إن شاء الله، منها: أنه لم تزل الشياطين فيما خلا من فترات الرسل، ونذرات[1] النّذر تصعد إلى سماء الدنيا، وتنصت للملأ الأعلى، فتسترق السّمع، وتحتفظ العلم، وتنزل به إلى كل أفّاك[2] أثيم، يبنون أكاذيبهم على واضح صدقه، وينفقون[3] أباطيلهم بحسب حقه، خلطا للباطل فيه، وسوها [4]للعباد عليه فلما بعث الله محمدﷺ وأنزل آيات القرآن إليه، حرست السماء بالنجوم، ورميت الشياطين بالشهب وانقطعت الأباطيلُ واضمحلت الأكاذيب، وخلص الوحي فبطلت الكهّان وضلت السحار وكذبت الأحلام، وتحيرت الشياطين فكانت آية بيّنة وعلامة واضحة، وحجّة، بالغة، تبهر قرائح العقول، وتخرق حجب الغيوب، فلا يقوم مع ضيائها ظلمة، ولا يثبت عند محكمها شبهة، ولا يقيم معها في محمدﷺ شك، لا من أصحابه خاصة، ولا ممن جاء بعده عامة وإنما جعلها الله عز وجل آية باقية في الغابرين، وحراسة ثابتة من الشياطين، لأن الله جلّ وعلا جعل نبيّنا ﷺ آخر النبيين، فليس باعثا بعده نبيا يكذّب أقاويل الكهنة، ويقطع أخابير[5] الجنّة.

وستقول–فيما يذهب إليه الظنّ، ويقع عليه الرأي، أنت ومن عقل من أمتك وأهل ملتك: هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بينة قائمة، مستعلية لأمرها مستغنية بنفسها لا تحتاج إلى ما قبلها، ولا يتكل على ما بعدها، إن أقرّت العقول بما تقول، أو قامت البينة على ما تدعى، بلى، ثم تقول: وأنّى لك بالبيّنة؟ ولسنا نقرّ بكتابك، ولا نؤمن برسولك، ولا نقبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه، وحجبت الغيوب عنا وعنك علمه فأرجع إليكم إن قلتم ذلك، فإن وجدان القضاة قبل طلب البيّنات.

---

[1] _ أي فترات أيضا، يقال: لقيته ندرة وفي الندرة: أي بين الأيام.

[2] _ الأفاك: الكذاب.

[3] _ ينفقون: أي يروجون، مضعف من نفق البيع: أي راج.

[4] _ كذا في الأصل.

[5] _أخابير: جمع الجمع الخبر.

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما ينازعك ويحاجّك فيه حكما غير عقلك ولا قاضيا سوى نفسك، ولكنّه يذكرّك الله الذي إليه معادك، وعليه حسابك لما[1] جعلت التفهم لمسألته من بالك وركبت حدودها في جوابك، عادلا بالقسط قاضيا بالحق قائلا بالصدق ولو على نفسك ناظرا بالأثرة لدينك فلقد وفق الله لك آية وأهدى إليك بيّنة لا تستطيع دفعها لحجبها عن عقلك ولا حجابا لنورها دون بصرك، فلا تدفع الآية بقولك، والبيّنة بلسانك، جحدا يقطع وصول الحجج إليك، [2] ولا تغلق أبواب الفهم عنك، فإن اللسان لك مداول حيث شئت ومنقاد تصرّفه فيما هويت، ولكن أنصب نفسك للفهم وأنت شهيد، وأرد الحق وقبوله فيما تريد، فإذا تصورت البينات مجسدة في قلبك، وتبيّنت الحجج ممثلة لنظرك، قد أضاء ثوابها لك، وقرع حقّها قلبك، فاجعل القول بها شعارا للسان به متصلا، وافهم المسألة، فهّمك الله الحق وجنبك الجحد،

ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتيما ضعيفا أجيرا ساهيا لاهيا عائلا[3] خاملا، لم يتلُ كتابا، ولم يتعلم خطا، ولم يك في محلة علم، ولا إرث ملك ولا معدن أدب، ولا بيت نبوة فتراقت الأيام به، واتصلت الحال بأمره، حتى خرج إلى العرب عامة والقبائل كافة، وحيدا طريدا شريدا، مخذولا مجهولا، مجفوا مرميا بالعقوق لآلهتهم، مقذوفا بالكذب على أصنامهم، منسوبا إلى الهجر لأديانهم، وهم مجمعون على دعوة العصبية، وحمية الجاهلية، متعادون متباغون مختلفة أهواؤهم، متفرقة أملاؤهم[4]، يتسافكون الدماء، ويتناوحون [5]النساء، ويستحلّون الحرم، لا تمنعهم ألفة، ولا تعصمهم دعوة، ولا يحجزهم برّ، فألف قلوبها وجمع شتيتها، حتى تناصرت القلوب، وتواصلت النفوس وترافدت[6]، الأيدي، ثم اجتمعت الكلمة واتفقت الأفئدة حتى صار غاية لملقى رحالهم، ونهاية

---

[1] _ أي إلا.

[2] _ في الأصل "ويد تغلق" وهو تحريف.

[3] _ عائلا: فقيرا.

[4] _ الأملاء جمع ملأ كسبب، وهو الجماعة.

[5] _ تناوح النساء: أن يقابل بعضن بعضا إذا نحن، وكذا تناوح الرياح: إذا تقابلت في المهب لأن بعضها يناوح بعضا.

[6] _ ترافدت: تعاونت.

لمنتجع أسفارهم، وصاروا له حزبا متفقين وجندا مطيعين، بلا دنيا بسطها لهم ولا أمواله أفاضها بينهم ولا سلطان له عليهم، ولا ملك سَلَفَ لآبائه فيهم ولا نباهة كانت له بين ظهرانيهم، أتقول: إنه ما قال ذلك كله إلا بوحي عظيم وتنزيل كريم وحكمة بالغة؟ فإن قلت ذلك فقد أقررت أن محمد ﷺ رسول، وتركت ما كنت تقول إنه لم يدركه ولم يبلغه إلا بعقل سديد ونظر بعيد ورفق لطيف، ورأى وثيق، استبى به عقول الرجال، واستمال عليه أفئدة العوام، فإن قلتم ذلك، فأنا سائلكم بإلهكم الذي تعبدون، ودينكم الذي تنتحلون لما صدقتم أنفسكم، وتجنبتم الهوى عنكم:أتؤمن قلوبكم وتقرّ عقولكم، ويحتمل نظركم أن محمد ﷺ الذي وصفتموه بكمال العقل، وبيان الفضل، ورفق التدبير، كان يقول لرجالات العرب وجماعات الأمم، ودهاة قريش: إن من آيات نبوّتي ودلالات رسالتي، وعلامات زماني أن الشياطين ترمى بنجوم السماء ولم تك ترمى بها فيما خلا، ثم يجعل ذلك كتابا يقرأ، وقرآنا يُتلى، وهو كاذب فيما تلا، ومبطل فيما ادّعى، إبطالا تدركه عيون الناظرين، وكذبا يظهر لجميع العالمين، فسبحان الله أرأيتم أن لو كان فيما قال من الكاذبين، وعلى ما ادعى من الآثمين، ثم حاول إبعاد القلوب، وإنغال[1]الصدور وإنفار النفوس وتفريق الجموع، أكان يزيد على ذلك ؟.

فيا أهل الكتاب لا يحملنكم الإلف لدينكم على اللّعب بتوحيدكم، فلعمر الله لئن تداركتم أنفسكم، وناصحتم نظركم، لتعلمُنَّ أن محمد ﷺ لو حاول الكذب، أو رام الإفك، لما كان يترك جميع الأرض، وما يغيب عن بعض الخلق ويظهر لبعض، ويقصد للسماء المتصلة بالبصر، البارزة للنظر، التي لا تخفى على بشر، ولا تغيب عن أحد، فيدّعى فيها كذبا ظاهرا وإفكا بارزا مكشوفا، لا يبقى صغيرا ولا كبيرا ولا ذكر ولا أنثى، إلا عرف أنه إفك وزور، وكذب وغرور، ولا سيما إذا كان يلقى ذلك إلى أقوام أكثرهم أعرابٌ، ليس بينهم وبين السماء حجاب، إنما يراعون الكواكب، ويتفقدون الغيوم، فأبعد عهد آخرهم بما تفقده لها، ونظره إليها ساعة أو ساعتين أو ليلة أو ليلتين لعمر الله لو عثرت العرب من أمر النبي على كذب، لكان أول من يواثبه به ويجادله فيه، أعداؤه من

[1] _...: الإفساد، وأصله من تغل الدابم كفرح: إذا فسد في الدباغ، وأنفله: أفسده.

قريش عامة وحسّاده من جيرته خاصة ونظراؤه من أهل الإنسان بيته دنية[1] الذين كانوا يستغرّونه[2] بكل طريق، ويقعدون له على كل سبيل، ويتساءلون من أمره عن كل ذي حادث، فيتعلّقون بالحروف المشكلة والآيات المشتبهة جدلا وخصومة بها، وطعنا وإلحادا ومنازعة فيها، حتى لقد وصفهم الله بفعلهم، وأخبر عن ذلك من أمرهم، فقال عز وجل: [3].

وما كان الله عز وجل ليقول ذلك ولا لأحد أن يقوله على الله في أمره، إلا عن خصومة شديدة، ومنازعة بليغة ومجادلة معروفة، فأحسن النظر لنفسك ولا تهلكن شفقة على ملكك، فأيم الله لئن قلت: إن النجوم شيء كانت العرب تراه بعيونها، وتعرفه بقلوبها، فما كان محمد ﷺوهو عارف بها غير جاهل لها، ليقول فيها إلا حقا، وينتحل فيها إلا صدقا، لقد ثبت فروع كلامك فيها على أسه ووصلت آخر قولك له بأوله، ثبوتا على ما ذكرت من عقده، ولزوما لما فرطت من نظره، ولكنك لا تجد مع الإقرار بذلك بدّا من التصديق برسالته ولا مذهبا عن الإيمان بنبوته.

ولئن زعمت أنه ادعى أمر النجوم كذبا، وانتحلها باطلا، عارفا كان بها أم جاهلا، لقد نسبته من الخطأ الذي لا يعمى عن بصره إلى ما يخطئ فيه بشرٌ. فأكذبت نفسك، وتركت قولك، إنه لم يكن التأليف لقلوب العرب، والجمعُ لشتيت القبائل، إلا برأي سديد، وعقل أصيل، ورفق بالغ، إلى أحد أمرين، لا تجد لكلامك وجها تذهب إليه غيرهما، ولا محملا تضعه عليه سواهما: إما أن تقول: إنه ألّف قلوب العرب، وفرق جموع الأمم، بتنزيل الوحي فتؤمن أنه نبيّ، وإما أن تقول: فعل ذلك بجهل، وهذا قول لا يقبل، كيف يصفه أحد من الجاحدين به المكذبين له بغباوة، أو يرمونه بجهالة، وهم يجوزون حدود الأنبياء، ويرفعونه فوق أمور العلماء، ويتخطوّن به مراتب الحكماء ومنازل الناس، تكثيرا لعلمه، وتسديدا لعقله وتثبيتا لفضله، فيما لا يقدر الخلق عليه ولا تهتدي الألسن إليه، حتى

---

[1] ـ يقال: هو ابن عمى دنية بالكسر والضم: أي لحا.

[2] ـ في الأصل "يستعيرونه بكل طريق»وهو تحريف، وقد أصلحته كما ترى، واستقر فلانا: أناه على غفلة، والمراد: يتعرضون له بكل طريق ويؤذونه على غرة.

[3] ـ الخصم: المجادل

لقد نحلوه[1] فعل الرّب الذي لا يقدر عليه الخلق في وجوه كثيرة وأنحاء جمة.

من ذلك أنه إذا قالت البقايا من أمتنا: كان محمد ﷺ يخبرنا بالغيوب قبل ظهورها، ويصف الأمور قبل حلولها، ويتجاوز ما يكون في زمانه من ذلك إلى ما يكون في زماننا، غيبا أطلعه الله عز وجل أضافوا ذلك علما إليه، فقالوا: كان أعلم الناس بمواقع النجوم، وأبصرهم بمنازل البروج، وأنظرهم في دقائق الحساب، كيف ولم يكن الحجاز دار نجوم، ولا محلّ حساب، ولا معدن أدب، بل كيف والمنجّم يقيس ويخطئ ويشك فيم يدّعى وهو أخو صواب لا شكّ فيه وفارسُ صدق لا قياس معه.

ومن ذلك أنه إذا قالت العلماء من المسلمين: كان نبينا ﷺ بباطن أخبار النبيين، وخفيّ قصص القرون الأوّلين قالوا: كان أحيا الناس قلبا وأوسعهم سربا[2]، وأسرعهم أخذا، يتتبّع ذلك ويحبه، وقد رواه وعلّمه، سبحان الله أولا يعلمون أن المتعلّم معروف المعلّم، متفاوت الحالات، متنقّل الطبقات؟ وأنها ما أحد يؤدب صغيرا أو يطلب العلم كثيرا، إلا وله درجات في علمه، وتارات في أخذه، ومنازل في تعلّمه تارة تلميذ، وتارة مقارب، وأخرى حاذق، وبكل ذلك موصوف من أهله، معروف عند قومه، ظاهر لجيرته، مستفيض في عشيرته، لا يجهل أمره، ولا يخفى ذكره، ولا ينسى عند مواضيع الحاجة إليه، وتارات الاحتجاج به عليه، ولو كان ذلك معروفا فيهم، أو موجودا لديهم، أو ظاهرا عندهم، لما أمره الله عز وجل أن يحتج عليهم، ويقول في ذلك لهم: لقد لبثت فيكم عمرا من قبله، لا أتلو قرآنا، ولا أدعى وحيا، أفلا تعقلون.

وأيم الله لو كانوا يعقلون أو ينظرون، لعلموا أن معلّمه على غير الملة التي يعرفون لأنه لهم من المخالفين، وعليهم من الطاعنين يذكر فضائح قولهم، ومعايب أمرهم ومخازي أسلافهم، وعواتر [3] أديانهم، وأنه لو كان معلّمه نصرانيا لدعاه إلى النصرانية أو يهوديا لدعاه إلى اليهودية، أو مجوسيا

---

[1] _ نحلوه: أي نسبوا إليه.

[2] _ السرب: البال، والقلب والنس.

[3] _ أراد بها مثاليها ومخازيها، وفي كتب اللغة: العوارء: الفعلة القبيحة (غير أن فعلاء لا يجمع على فواعل)وفيها: العوائر جمع عائر والعائر من السهام والحجارة: الذي لا يدري من رماه، أصابه سهم عائر فقتله: أي لا يدرى من رماه.

لدعاه إلى المجوسية، ولو لم يكن له معلم لما وقع على الحقيقة هداية من تلقاء نفسه، ومعرفة بقوة عقله، ولو كان معلمه الشيطان لما دعاه إلى عبادة الرحمن، ولا أمره بهجر الأوثان، وكسر الأصنام، وصلة الأرحام، والإصلاح في الأرض، كيف وكان الشيطان يصدّ الناس عن سبيله ويزهدّهم في دينه وينهاهم عن طاعته، ويخرجهم عن عبادته ويدخلهم في مساخطه، ويحملهم على معاصيه. إنه إذن لرحيم بهم، ناظر لهم شفيق عليهم، كأنه هو المبعوث إليهم، كلا ما كان لينقذهم من حبائله، ويخلّصهم من مصايده ويخرجهم من ولايته وطاعته وسلطانه وخدعه وفتنته وحزبه، إلى غير ذلك من أمره، وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ويتناوحوا حرمهم، ويؤذوا ذريتهم ولا ليقول لهم: لم تعبدون نحيت الحجارة التي جعلها الله لكم عارا، وتذرون عبادة الربّ الذي خلقكم أطورا هيهات لقد ذهبتم بالشيطان الرجيم إلى صراط العزيز الحكيم، فقلتم قولا تنكره العقول، وتدفعه القلوب، وتستوحش منه النفوس، ألا تسمعون إلى قول الله عزّ وجل: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[محمد:22-23]فما كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبكم والعمى والصمم فاتق الله ولا تكن من الجاحدين.

ومنها: أنه إذا قالت الفقهاء والحكماء: أتانا محمد ﷺ بكلام لم تسمع الآذان بمثله، ولم تقع القلوب على لغته، له رونق كحباب[1] الماء وزبرج[2] يعلو ولا يعلى وعجائب لا تبلى ولا تفنى وجدة لا تتغير، قالوا: كان محمد ﷺأبلغهم قولا، وأحسنهم وصفا، فيا سبحان الله، ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاما للعباد، لما أقرّت الأعداء من [العرب[3]] بفضله، ولا عجزت القبائل طرّا عن مثله، وهو يناديهم في الكتاب، ويتحدّاهم في الوحي، بصوت رفيع، ونداء سميع فيقول: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة:111] وهم فرسان الكلام، وإخوان البلاغة، وأبناء

---

[1] ـ حباب الماء: فقاقيه التي تطفوا كأنها القوارير

[2] ـ الزبرج: الزينة من وشى أو جوهر.

[3] ـ في الأصل بياض محل هذه الكلمة

الخطب، وأهل عداوة له وبغي عليه، فتستحسر [1]. الأبصارُ، وتثقل الأسماع، وتنعقد الألسُنُ، وتخرس الخطباء، وتعجزُ البلغاء، وتحارُ الشعراء، وتستسلم الكهّان، ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق بين ما بأيدينا من كلام النبي ﷺ وما جاء به من كلام الوحي، فإذا بينهما بون [2].بعيد، وتفاوت شديد، ليس بشبه له ولا مدان ولا قريب، وكذلك ينبغي لكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق، وألا يشبه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجمع ما فيه، لأن الله عز وجل لا يشبه شيء من ذلك، إنه إذا قال المسلمون: كان محمد ﷺ يرى ماضي أسلافنا، وصلّح آبائنا، من العجائب العظام، والآيات الكبار، ما هو جديد عندنا، بيّنا قبلنا، فلم يعف أثره، ولم يدرس خبره، ولم يتقادم عهده: من شجرة ناداها فأقبلت، ثم أمرها فرجعت، ومن نحو بعير تظلّم، وذئب تكلّم، وأشباه لذلك كثيرة، ونظائر له عجيبة، قالوا: كان محمد ﷺ كاهنا حاذقا، وساحرا ماهرا، يشبّه بالخيال، ويأخذ بالأبصار، كيف والجموع الكثيرة تصدر عن الأطعمة اليسيرة، والمياه القليلة شباعا رواء أيكون ذلك والسحر سواء؟ والأخذ بالعيون لا يجرى في البطون، ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم، لعلموا أن أمر الساحر يدور على إفك وغرور، وأن لمحمدﷺ آثارا قائمة، ومنافع دائمة، ثم لو كانت الكهانة والسحر يبلغان مثل هذا من الأمر، لبطلت آيات الكتب، وعلامات الرسل، ولعلت الشّبهة، وسقطت الحجة، وكذبت النبوة، ولبطل ما كان يفعله عيسى عليه السلام: من إبرائه الأكمَهَ[3] والأبرصَ وإحيائه للموتى، فلا يكونن التقليدُ للرجال مبلغ علمك، ولا القبول لدعواهم بلا بينة.

ومن ذلك أنه إذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملّتنا: كان النبيﷺ أميّا لا يحسن الكتاب، وحافظا لا ينسى القرآن، وقلما يجتمع العقل السديد والحفظ السريع والنسيان البطيء، قالوا: كان أخطّ الناس يدا، وأذكاهم حفظا، كان يكتب بالنهار ويدرس بالليل.

ولعمر الله أن لو كانت الحال كما يقولون، والأمر كما يصفون، لما خفيت الصحف له، ولا

---

[1] _ استحسر: أعيا.

[2] _ البون: الفضل والمزية.

[3] _ من ولد أعمى.

اكتتمت الدراسة عليه، ولما كان يطيق سترها عن أهله، ولا حجابها دون قومه، وكيف تؤمن القلوب، وتقرّ العقول، أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا، وحكما جاء: من آيات متشابهة، وسور متوالية، وهو صاحب أسفار مترامية[1]، وأخو حرب دائمة، لا يبطئ لفظه، ولا سقط حفظه؛ لولا [2]أن الله عز وجل كفاه أن يحرّك به لسانه، وضمن له جمعه وقرآنه، فقال عز وجل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى:06] فلم يكن يسقط واوا ولا ألفا ولا ينسى كلمة ولا حرفا، ما أبين هذا وأعجبه، وأعجب منه المنكر له.

وأما قولهم في الخطّ وإكثارهم في الكتاب، فإن الله عز وجل جعله أميّا ليثبت حجّته ويصدّق مقالته، ولئلا يشك المبطلون في أمره، ويقولون: تعلّمه من غيره.

فإنه قد قال ذلك بطائن من منافقة العرب، وطوائف من كفرة العجم، فنطقت به الأعداء من جيرته، والحسدة من عشيرته، الذين بلغوا [ما بلغوا[3]] من مجادلة حقه، ومخاصمة ربه، كفاة لمن قرُب، ووكلاء لمن بعد، فيما لم تكن العرب واقعة عليه، ولا الأمم مهتدية إليه، لأنهم[4] قد أحاطوا من علم خبره وخفيّ أثره، بما كان عن غيرهم محتجبا، ومن سواهم مكتتما، وقالوا: لو كان محمد ﷺ يتعلم من بشر، أو يختلف إلى أحد أو يختلف إلى أحد لما خفى عنا ولسقط علينا[5] وحقا لو كان محمد ﷺ يختلف إلى أحد صغيرا، أو يتعلم من بشر كبيرا، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون، ولما جهل ذلك من حوله من جيرته نصرة، ولا من معه من أهل بيته دنية، الذين عليهم يوردوا من قبلهم يصدر، ولكان شائعا عند حشم معلّمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف إليهم، ويتأدّب بين ظهرانيهم، ولو كانوا بذلك عالمين، أو فيه من أمره شاكين ثم بلغهم وتقرّر قبلهم أنه يقول: إن الله عز وجل أوحى إليه فما أنزل من الكتاب عليه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا

---

[1] _في الأصل "متراخية".

[2] _ في الأصل "ولا يسقط حقه، ولولا أن الله".

[3] _ زيادة يقتضيها السياق.

[4] _ في الأصل "إنهم"

[5] _ في الأصل "ولا سقط".

لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[العنكبوت:48]. لخاصمه منهم من كفر، ولكفر به منهم من آمن، ثم يدعي ذلك قرآنا، وينتحله وحيا، أما كان يرهب أن ينتشر في الأقربين ويخرج إلى الأبعدين، فتبطل حجته، وتنتقض دعوته وتسقط نبوته وينفر أصحابه الذين لم يصبروا معه[1] في المجاهدة أنفسهم، ويبذلوا عند الشدائد مهجهم، وينفقوا فيه–على الحاجة–أموالهم، مناصبين [2]لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم وهم قليلون مستضعفون عائلون جائعون، لا طلبا لدنيا ولا طمعا في منال إلا لما تعقّبوا من قوله، وعرفوا من صدقه، ولولا أنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى وقيصر لهم، فصدّقوا بقوله وآمنوا بوعده، حتى قويت البصائر، وصرمت[3] العزائم وقويت النّيات، فنشطت النفوس، وشجعت القلوب، وحمّلت الأبدان، لما وقع لهم طمع فيه، ولا ذهب لهم وهل إليه[4]، فكن من ذلك على يقين لا يخلجه [5]شك، ومعرفة لا يخلطها ريب إن شاء الله.

ومن ذلك: أنه إذا قال المسلمون: ما من فعال محمود، ولا مقال معروف، ولا خُلق كريم، ولا أدب فاضل، إلا وقد أدّب الله عز وجل به محمدا ﷺوأنزله في الكتاب إليه، فكان يأمر بالمكارم، ويحضّ على المحامد، ويعمل بالمحاسن التي ليس فيها مدخل لشبهة طاعن، ولا معلق لحجّة قائل، ولا مغمز لبصيرة عائب، ولا موضع لخصومة بشر، في وعد أو عهد، أو حلّ أو عقد، أو مقال أو فعال، أو غير ذلك من الأمور، قالوا: أمور حمل عليها نفسه، ودعاه إليها عقله وصبر عليها، لما أمّل ورجا فيها، سبحان الله وما أمّل بها وارتجى منها؟ إن قالوا: الدنيا، فلقد أكذبهم إدباره عنها، حيث أمكنته القدرة منها، وأعثرته الحال عليها، وإن قالوا: حب الأثرة، فقد جعل نفسه للمسلمين أسوة: في سهامهم[6] وقصاصهم [1]، وحدودهم وحقوقهم، وغير ذلك من أمورهم، وإن قالوا الملك، فلقد كان

---

[1] _ صبر نفسه: حبسها.

[2] _ أي معادين

[3] _ عزيمة صارمة: أي ماضية.

[4] _ وهل إلى الشيء يوهل بفتحهما ويهل بالكسر وهلا بالسكون: ذهب وهمه إليه.

[5] _ خلجه كضربه: حركه وجذبه وانتزعه.

[6] _ جمع سهم بالفتح: وهو الحظ والنصيب.

أشدّ الناس لربه تواضعا وأعظمهم في جنبه تصاغرا، ما إن أكل متكئا قط إلا مرّة، ثم قعد كهيئة الفزع لها النادم عليها، فقال: «اللهم إنّي عبدك ورسولك»وإن قالوا: النعيم، فمن كان أيبس منه معاشا، وأخشن رياشا[2] وأغلظ مأكلا؟ وكيف يذوق العيش، أو يجد لذيذ النعيم، من حرّم السّكر والخمر، ونهى عن الدّيباج والقَزّ وكان أكثر دهره صائما، وأطول ليله قائما؟ فإن قالوا: طلب الصّوت[3] ورغب في الدين، فذلك ما لم يطالبه أحد في حب الصوت، والتماس الحمد، لما صبر على مغاضب قومه، وملاوم أهله وشتائم العرب، وتوعّد العجم،، واستهزاء قريش: يرمونه بالعُقوق، ويقذفونه بالجنون، ويبهتونه [4]بالسحر وليس يدري ما يهجم[5]به الأمر.

أم يقولون: طلب تأثيل[6] الملك لقومه، وأراد توطئة الولاية لأقاربه، فكيف يطلب لقومه ما قد زهد فيه لنفسه؟ أم كيف يطلب لهم عزّ الملك، وقد أوطأهم الذّلّ ثم القتل؟ لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه وأراد طلب السلطان لذوي رحمه، لو كدّ لهم عقدا لا يحلّ ولأبْرَمَ لهم أمرا لا ينقض ولأثل لهم

في عنفوان [7]. أمره ملكا لا يخرج من أيديهم، ولا يبرح[8] أبدا فيهم، امتثالا لصنيعكم واحتذاء على مثالكم، مع أقاويل جمة، ونظائر كثيرة، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا إن محمدا ﷺ غلب العرب وقهر العجم، أو قال في أمر السلطان والنجوم بكذب.

فإن قلتم إن محمد ﷺ كان في قوة عقله، وبيان فضله، على ما قلنا وقلتم، وصدّقنا به نحن وأنتم، ولكن هفتِ العلماء، وزلّت الحكماء، وأخطأت القلوب، فقد يعلم أمير المؤمنين–وأنتم بذلك

---

[1] _ وفي الحديث «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

[2] _ أي لباسا، وأصل الرياش: اللباس الفاخر.

[3] _ الصوت والصيت: الذكر الحسن.

[4] _ بهته كمنعه: قال عليه ما لم يفعل.

[5] _ أي ما ينجلي عنه الأمر، من نجاح وفوز، أو خذلان وفشل.

[6] _ أي تأصيله وتعظيمه.

[7] _ أي في أوله...

[8] _ في الأصل "ولا ينوح»وهو تحريف.

من العالمين–أن خطأ قلوب العلماء كخطأ دائرة الرّحى: ليست العلماء بمخطئة إلا المرة والاثنتين، كما لا تخطى الرحى إلا الحبّة والحبتين، ومثل الذي نسبتم إلى النبي ﷺمن الخطأ عندكم والجهل في أنفسكم، كثير لا يحصيه أحد، ولا يبلغه عدد، وأمير المؤمنين واصف بعضه لكم، ومورد ما حضر كتابه إن شاء الله لكم، وايمُ الله على ذلك لو قالت العلماء من المسلمين: هبوا محمد ﷺكنا في أمر النجوم من المخطئين، فكيف أخطأت العرب، وهفت الأمم في ترك مجادلته، ورفض منازعته. وكيف لم تقل العلماء من إفتائه[1] والحكماء من حكمائهم، توبيخا منهم له، وتعييرا لمن آمن معه: هذا أمر من أوضح الأكاذيب، وأبطل الأباطيل، فلا يثبت مع قولهم إيمانٌ، ولا يقيم على شرحهم إنسان. فإن قلت: فلعل ذلك قد كان، ولكنه دَرَجَ [2]. على طول الأزمان، فيكف إذن صدقت العرب بنبوّته، ولم تكفر القبائل برسالته، وهم يسمعون كذبا لا ينفع معه صدق كان قبله، وباطلا لا يعصم معه حق حدث بعده؟وإن قلتم: أدخلهم بالقهر، وضبطهم بالقتل، وأكرههم بالسيف، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين، ما بالهم آمنوا وصدقوا، وصبروا وصابروا وجدّوا وجاهدوا، كيف لم تنكسر عزائمهم وتهن[3] بصائرهم، ويرجعوا إلى دينهم، ويهربوا عن توحيدهم؟ كلا لو كان الأمر على ما تقول ويرجعوا إلى دينهم، ويهربوا عن توحيدهم؟ كلا، لو كان الأمر على ما تقول لأرفض[4] القوم عن الرسول، ولكان ﷺ أول مقتول أو مخذول، فأحسن النظر فيما تذهب الأهواء برأيك إليه من آيات النبي ﷺ وإن جمحت الدعوى بكم فقائل–قد مالت به الأهواء في الباطل– فقال: إنه إلاّ يكن الأنبياء ذكرت النجوم في صحفها، بيّنت الحكماء منها ذكرا في كعبها، فجعلت المنقضّ من الكواكب بين الأعوام، دليلا على أمر يحدث تلك الأيام، ولا ما هذا الاختلاف يلطّ به الجاهل للفسّاق[5]، ما إن وضعت الحكماء ذلك في الكتب إلا ليالي ملئت السماء من الشّهب،

---

[1] _ هكذا في الأصل.

[2] _ اي انقرض وفنى

[3] _ أي تضعف.

[4] _ أي تفرقوا عنه وذهبوا

[5] _ هكذا في الأصل، ولط بالأمر كضرب: لزمه.

وبالله لو ادعيتم غير ذلك فكان حقا، وكانت القالة منكم صدقا لما كانت الدعوى بناقضة لآية النجوم حجّة، ولا مدخلة على أحد فيها شبهة، لأن رميا يقع فرط السنين من الكواكب، لا يبطل رجما قد ملأ السماء من كل جانب، ثم لو لم تكن النجوم آية دامغة[1]، وحجة بالغة، ودلالة قاهرة، وعلامة باهرة، وأمارة ظاهرة، وشهادة قاطعة وبيّنة عادلة، وداعية قائمة، تبطل أضانين المشركين، وتردع أقاويل المنافقين، لما كان النبي ﷺ ليعظم أمرها ولا يكرر في أي القرآن ذكرها، رهبة لمناهضة أحياء العرب، ومعرفة بمجادلة إخوان الكتب، الذين لو وجدوا فيما كتب به إليك أمير المؤمنين من أمر النجوم، واحتج به عليك من ذكر الرّجوم، موقعا لظنّ، أو معلما بطعن، أو مغمزا لقول، لناصبوه إذن بالمجادلة، وكاشفوه بالمنازعة، وجاهروه بالقول الذي لا يستطيع ردّا، ولا يطيق له جَحْدا، ولكنها آيات ملأت الأقطار كثرة وحسرت الأبصار قوة، قد وجلت العقول، وولّهت القلوب، وملأت النفوس جزعا ووجعا، وفزعا شغلهم عن الأولاد، وأذهلهم عن البلاد، حتى بلغ أمير المؤمنين، وتقرّر عند فقهاء المسلمين أن عز وجل لما ملأ السماء حرسا وأحدث لها رصدا، وخلق فيها شهبا، ذكرت العقلاء من العرب وقعات الله عز وجل في الكتب بقوم نوح وعاد وثمود وأشباههم من مؤلفي تلك الجنود، الذين كانوا أشدّ بطشا وأكثر جمعا فانفرجت أيديهم على كرائم أموالهم، وأرسلت أنفسهم متائن عقدهم وإن أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم، وأجمعوا فيه الخروج إلى فقرائهم قام فيهم رجل منهم ذو سنّ وعقل فقال: يا معشر العرب، لا تهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا تفقدوا مواقع نجوم السماء، وكواكب بدور الدجى، فإن كانت النجوم التي حدث الرمي بها، والنجوم التي أخليتم الأموال لها، هي لبروج الشمس والقمر، ومسال[2] الحيوان والشجر، فهي جوائح الاستئصال، المتلفة الأنفس والأموال، وإن كانت النجوم التي حدث القذف بها إنما هي نجوم خلقت اليوم، فليست المعرفة بواقعة مبتداها، ولا الأبصار بلاحقة منتهاها، فأمسكوا العقد[3] عليكم والأموال فإنه أمر يحدث في إحدى هذه الليالي.

---

[1] _ في الأصل "دافعه»والمعنى عليها صحيح، ولكن يظهر أنها "دامغة»

[2] _ مصدر أريد به السكانن والمعنى: ومرعى الحيوان ومنبت الشجر.

[3] _ العقد: جمع عقدة وهي الضيعة والعقار الذي اعتده صاحبها ملكا.

فإن قلت: كيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان، وصارت المقالة منه كوعي الآذان؟ أنباك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه والمسلمين، الذين حملوا إلينا سنن الدين، هم أدوا ذلك إلينا، وأبقوه فخرا.... [1] علينا، فما إن ينفكّ منهم مفتخر يقول: أبونا الذي حبس على العرب الأموال والعقد، فما إن يدفع القول في ذلك منا أحد، هيهات ما كانت العرب لتقرّ عند الفخار، إلا بطول هو أبينُ فيها من ضوء النهار فافهم ما كتب به أمير المؤمنين في هذا إليك، ولا يكن التعلّل فيها بالشبهات أوثق ما لديك، فإنه أقلّ حجة إلا وإلى جنبها شبهة تخيل للعقول، وتعرّض للقلوب وتجلجل[2] في الصدور، فلا يثبت مع تخيّلها، ولا يقيم لتعرّضها بشر، إلا من وزن الحقّ والباطل بميزان عادل، لا يميل إلى تفريط، ولا ينحطّ في تقصير، وقد جعل الله عز وجلّ العقول موازين للأمور فزنوا ما سمعتم من حجج كلام الرب عز وجلّ بما تنفون به الشبهة عن الحق ولا تميلوا اللسان فتخسروا الميزان.

وسيعلّل أمير المؤمنين إن شاء الله ما جاء عن ذكر ما كتب به إليكم من أمر النجوم والرّجوم والشهب في القرآن والرواية والكتب، فألطفوا النظر في صحة معانيه، ونحوا الهوى عن شبهة[3] ما وقعت فيه قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾.[الملك:5] وقال: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾.[الحجر:16] وقال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: 6-7]وإن شطب [4] عن الحق شاطب، أو ذهب إلى الباطل ذاهب، لا يعرف مذاهب كلام العرب، ولا وجوه معاني الكتب، ولا تفسير أي القرآن فقال: إنما جعلت الكواكب والمصابيح حفظا من الله عز وجل للسماء، ورجوما للشياطين من قبل أن يبعث الله محمدا ﷺ بالدّين، فإن في آيات القرآن ما فيه بيان مما يبطل دعواه التي لا بينة عليها ويكذّب مقالته التي لا شهود لها، فقالت

---

[1] ـ بياض بالأصل بمقدار كلمة

[2] ـ أي تحرك.

[3] ـ في الأصل "عن شبهة إنما".

[4] ـ شطب عن الشيء: عدل عنه وبعد.

الجن، فجعل الله تبارك وتعالى قولها وحيا، وبه منها صدقا: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾[الجن:8-9].

ألا ترون أنها كانت الجن لمست السماء فلم تجدها ملئت حرسا شديدا وشهبا، وقعد الشياطين منها مقاعد للسمع فلم تجد شهبا ولا رصدا، أو لا تسمعون إلى ما يحقّق ذلك ويسدّده ويصدّقه ويشهد له من قول الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾. [الشعراء:221 -223] مع قول الجن أيام حرست السماء ورميت الشياطين: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[الجن:10] فإذا أعملتم في ذلك فكركم، وقلبتم فيه نظركم، فكنتم على برهان يقين، ونور مستبين من استطاعة الجنّ للاستماع، وقدرة الشياطين على الاستراق، وإمكان السماء للقعود في تلك الحال الأولى، ففكّروا في الحال الأخرى حيث حرست الآيات أن تعارض باطلا بحق، ومنعت الشياطين أن تنزل بصدق وامتنعت السماء أن يصمد إليها شيطان، فقال عز وجل. ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾[الشعراء: 210-212] قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾.[الجن:8-9]إن في قولهم الآن لأعظم نور وبيان، وأبين ذلك لكم، وأصح لمن عقل إن شاء الله منكم، إخبار الله عز وجل حين جعلت الكواكب حفظا من كل شيطان مارد ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الصافات:8-9]مع إخباره في الحال الأولى أنهم يسمعون ويقعدون وينزلون ويستطيعون ويتلون على ملك سليمان، فكن لهذا من الحافظين، وفيه من المفكرين.

ومن آيات النبي ﷺ أنه لما نفرت القبائل من أعلام الشرك بمجموعها وتداعت القادة من صناديد الكفر بأتباعها حذرا على عير[1] لها أقبلت من الشام، بصنوف رغائب أموال عظام، فكانت

[1] ــ العير القافلة، أو الإبل تحمل الميرة، بلا واحد من لفظها، يشير إلى عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان بن حرب من الشأن، وكان رسول الله ﷺ (وهو بالمدينة) قد تحين رجوعها من الشام إلى مكة، فندب المسلمين للخروج معه بغية الظفر بها، ولما علم أبو

العير والنفير طائفتين: طائفة ذات عدة كثيرة وشوكة شديدة، وطائفة ذات أموال رغيبة ورجال قليلة، وفرصة ممكنة، أخرج الله عز وجل نبيّه ﷺ ووعده ومن معه من المسلمين إحداهما، فكره المؤمنون جمع المشركين، وأراد الله عز وجل أن يقطع دابر الكافرين، ويشيّد بذلك أركان الدين، فلما تراءت الفئتان، وتناوشت الفرسان، وتلاقى الناس، وقبل ذلك ما قال الله عز وجل: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾[القمر: 45] قبض النبي ﷺ قبضة من تراب، حثاها في وجوهم فلم يتناه دون مناخرهم وعيونهم، فانصرفوا منهزمين بلا كثير قتال من المسلمين، يا أهل الكتاب فأيما أية أعظم حجة، وأوضح بينة وأقهر غلبة من هذه التي لو صدرت الأمور بلا تحقيق لها لانفضت من الجموع من المسلمين كفّارا بها، أبشارة الله المسلمين بإمداد الملائكة المقربين وهزيمة نفير المشركين التي نجمت الأمور عليها، وتناهت الحال بهم إليها، أم قبضة من تراب يسير، ما ملأ المناخر من عدد كثير؟

فلئن قلتم: إن هذه آيات بينات وعلامات واضحات، ولكنا لا نقرّ لكم بها، ولا نؤمن بقولكم فيها، أفتؤمنون أن محمدا ﷺ مع ما نسبتموه من الفضل إليه، كان يختلقها كذبا من تلقاء نفسه، ثم يدّعيها وحيا من عند ربه، وهو لا يدري لعل الأمور تقع بخلاف ما يقول، فيظهر كذبه، ويرفض تبعه.

ويزعم أصحابه كانوا كثيرا أقوياء، نشاطا جلداء، فكان على معرفة بقوتهم ويقين من غلبتهم، فقد قال الله عز وجل﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾. [الأنفال: 5-6]ولم يكن الرسول ولا غيره ليخبر أصحابه من أمورهم بما يجهلون من أنفسهم، ثم يدعى ذلك تنزيلا من ربهم هذا لا تقبله الآراء ولا تقرّ به الحكماء ولا يحدّه النظر.

سفيان أن أصحاب رسول اللهﷺ معترضون، له ساحل بالعير، وبعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم فأجبروا تجارتكم، فأدركتم حميتهم ونفروا سراعا وكان من وراء ذلك غزوة بدر الكبرى كما هو مشهور والنفير، القوم يستفزون للحرب، وهم هنا مشركو قريش الذين خرجوا يستنقذون العير، وكان رئيسهم عتبة بن ربيعة.

أم تقولون: إنما أراد محمد ﷺ ببشارته لهم، وإخباره ما أخبرهم من هزيمة الله عدوهم، أن يشجّع جنبهم، ويقوّي ضعفهم، فكيف إذن لم يثق [1].لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم، وضعف المسلمين وقلّتهم-بظهور الأنباء على خلاف قوله وأن يحال [2] الخبر على غير ظنه، فيقع ظفر يكذّب نبوّته، ويقطع حجّته، ويكون له ما بعده؟ وكيف إذن لم ينسب الأمر إلى نفسه، وينحّى الخبر عن ربه، ليكون الخطر أصغر، والشأن أيسر، إن جرت الأقدار بما يحذر، أو وقعت الأمور على ما يكره؟ ولكنه أثبته في كتاب مسطور، ورقّ[3]. منشور، فعل لعمرُ الله يدل على النبوة التي كان بها واثقا، ويهدي إلى الوحي الذي كان إليه ساكنا.

وإن عرض لنظرك، أو وقع في خلدك، أن الله عودّ محمدﷺ الغلبة، وأجراه على المنعة فكان يجري على عادة قد عرفها، ويسلك جادة قد خبرها، فلقد كانت الهزيمة في أول وقعة أوقعها الله، ثم لقد دالت الحرب فيما بعد سجالا[4] فيما بينه وبينهم، تارة عليه لهم، وأخرى له عليهم، فناصحوا الله عز وجل في نظركم، وقلّبوا فيما يقول أمير المؤمنين فكركم، فلعمر الله ما كان النبي ﷺ ليقول لملوك المشركين: إن الله هزمكم برمية من تراب، وهو يعلم أنه عنده من الكاذبين، فأحضر كتابي هذا فهمك، واصبر له، وإن خصمك، فإن هذه آية عظيمة وحجّة بليغة وبيّنة عجيبة في غلبة العرب.

وأعجب من هذه وألطف، وأكثر منها وأعظم، الآية في غلبة العجم، واستمع: أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمؤمنين وكانوا كما قال الله عز وجل قليلا مستضعفين: إن قبائل العرب ستتحزّب عليكم، وإن الله سيهزمهم لكم، وحيا أنزله في الكتاب، فقال: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾.[ص:11] فكان أصحاب رسول الله ﷺ بعدما نزل هذا القول عليه بدهور طويلة، وسنين كثيرة، محبوسين محصورين في حومة الموت، وعسكر الخوف، وخندق القهر، وذلّ الحصر، سوادهم الأعمُّ

---

[1] ـ في الأصل "يبق»وأراه مصحفا.

[2] ـ هكذا في الأصل ولعله "يجيء"

[3] ـ الرق: جلد رقيق يكتب فيه.

[4] ـ في الأصل "فيها بعد»وسجال جمع سجل بالفتح: وهو الدول العظيمة مملوؤة، ويقال: الحرب بينهم سجال: أي سجل منها على هؤلاء وآخر.

وجلّهم الأعظم: حفاة عراة عالة [1]إخوان دبر [2]، وأصحاب وبر، لا قوة بهم، ولا منعة لهم، ولا أسلحة عندهم، ولا عدة معهم، قد أحدقت العرب بعسكرهم، وأحاطت القبائل بخندقهم، وسالت الأحزاب تصديقا لحتم الله عليهم، تريد أن تزلزل أقدامهم، وتهرق دماءهم، فكان المؤمنون كما وصف الله عز وجل من سوء الحال وضيق المآل وشدة الكظاظ[3]، فإن الله قد وصف لهم حالهم، وأذكرهم فعلهم ولم يكن النبي ﷺ ليصف لهم عن الله ما يجهلون، ولا ليذكّرهم من أمره ما لا يعرفون، حذرا أن تنكسر عزائمهم وتتغير بصائرهم، فتهزم أفئدتهم، وتموت نجدتهم وتختلف كلمتهم، فقال الله عز وجل: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[الأحزاب:10-11].حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة:﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾.[الأحزاب: 13] وقالت طائفة أخرى: يا رسول الله إن بيوتنا عورة [4]. فأذن لنا، ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 13]فبينما هم على تلك الحال قد أجمعت العرب تفريقهم في الجبال، وتقسيمهم بالقداح[5]، وأخذهم بالأيدي، إذ قال لهم الرسول ﷺ فيما ينبئهم به من علم الغيوب، ويبشرهم به من أمر الفتوح. وعدا صدقه الكتاب، وبشارة نطق بها الوحي فقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور: 55]

فقال أقوام وأناس ارتابوا حين تضايقت الحال، وتزلزلت الأقدام، وطارت القلوب، ودارت

---

[1] _ عالة جمع عائل: وهو الفقير.

[2] _ الدبر: قرحة الدابة والمعنى أنهم مجهودون كالبعير الدبر.

[3] _ الكظاظ: الشدة والتعب والممارسة الشديدة في الحرب.

[4] _ أي يخشى عليها لأنها غير حصينة.

[5] _ القداح: قداح الميسر، والمعنى يتقامرون (أو يتآمرون) على تشتيتهم وتمزيقهم.

العيون، وأشرف الموت: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الأحزاب: 12] يعدنا هزيمة جموع الأحزاب، وفتح قصور الشام، وغلبة جنود كسرى، وقد سالت القبائل علينا من كل جانب وأحدق الموت بنا من كل مكان، فبقينا [1] في مسغبة من الجوع ومجهدة من الخوف وضنك من الحال، مقهورين مقموعين[2]، وقالت الخاصة من المؤمنين حين عاينوا الجموع من المشركين، وذكروا ما خبّرهم الله من تحزّبهم عليهم، ومسيرهم إليهم: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب:22] فبينما أصحاب النبي ﷺ في مضايق تلك الحال، وشدة ذلك الخصال[3]، وعموم تلك البلايا الباهظة، والأمور الفادحة، التي قد أخذ بأنفاسهم غمها، وبلغ مجهدهم كربها، رافعين إلى الله عز وجل أيديهم، يقلبون في السماء أعينهم، إذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة، والجموع العظيمة، والأحزاب المقتدرة، ريحا من الأرض، وجنودا من السماء، فقطعت الأبنية وطيرت الأمتعة، وسفت التراب في العيون، وقذفت الرعب في القلوب، فولوّا مدبرين وخرجوا منهزمين، لا يلوي[4] والد على ولد ولا مولود على أحد، أمر صدق الله فيه قوله، وأنجز به وعده، وهزم الأحزاب وحده وذكر المؤمنين نعتمه فيهم، وعرّفتهم منّته بهم فقال: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:9] .

وقال عز وجل: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب:25] . ما كان الله عز وجل ليقتص على المسلمين في أنفسهم إلا ما قد رأوه بأعينهم.

---

[1] _ المسغبة: الجماعة

[2] _ أي مقهورين مذولين.

[3] _ خصل القوم خصلا وخصالا: نصلهم

[4] _ أي لا يقف ولا ينظر

لولا أن هذا ما لا ينكره عقلك، ولا يدفعه نظرك، لما جادلتك بالكتاب، ولا نازعتك بالتنزيل، وإني لأترك من آيات النبي ﷺ وعلامات الوحي ما هو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح ولكن ليس لي أن أحاجّك من آيات القرآن، إلا بما عليه شاهد من برهان، ومخبر من بيان، لا يستطيع عقلك ردّا له، ولا قلبك جحدا له، وكيف ينبسط لسانك، أو يجترئ قلبك، أن يقول: إن محمدا ﷺ أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون فاقتص عليهم من أمورهم مالا يعرفون لا، ما يسوغ لك ولا يجمل بك، ولا يقبل منك أن محمد ﷺ بقوله من تلقاء نفسه، كيف أما كان يخاف أن يكذّبه أصحابه وتنتقل أحواله، وتنتقض أموره، لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل الله، ولا ينسب إلى عقل لما كان سائغا لك، ولا جائزا منك، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره، ويفضل عليهم عقله، وتقر أنك لم تر في الدنيا أحدا صنع ما صنع وبلغ ما بلغ، فأيتما آية فيما اقتص عليك أمير المؤمنين أعظم، أو بينة أعجب: أما كان يتلى على المؤمنين في الكتاب من اجتماع قبائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم سنين كثيرة أم ما كان[1] ينادى به القرآن من الهزيمة لهم، وينطق به الوحي من الفتح عليهم، أم قول النبي ﷺ لأصحابه: «إن الله عز وجل يؤمن خوفكم ويعز نصركم على الأمم» وهو على تلك الحال، ثم نجمت الأمور على ما قال أم عسكران متطابقان، وجيشان متقابلان، باتت الريح تحوش[2] أحدهما حتى انهزموا وبات الآخرون منها في عافية وغفلة حتى أصبحوا، فأحسن النظر في أمرك والتثبت في دينك إن شاء الله.

واعلم أن من أعظم الآيات، وأبين الدّلالات على نبوّة محمدﷺ وحقّه، وأن ليس يتقوّل شيئا من تلقاء نفسه، أنه قال في عنفوان أمره: «إن الله عز وجل سيظهر ديني على الدين كله» وجاء مع ذلك بأثرة عن ربه في كتاب مخطوط وتنزيل محفوظ فأي أمر به[3] لك أدل أو أيهما عندك أعجب. إذ كنت بنبوته مصدقا، ولرسالته محققا: الخبر الذي أخبره، أم الفعل الذي صدقه، لئن نظرت بعقلك،

---

[1] ـ في الأصل "أما كان".

[2] ـ حاش الصيد: جاءه من حواليه ليصره إلى الحبالة، جمعها وساقها.

[3] ـ في الأصل: "فأي أمر بذك".

وقلت في نفسك: كيف ترقت إلى هذا نيّته، وارتفعت نحوه همّته، أم كيف امتدت إليه فطنته، وقويت عليه رويّته؟ بل كيف دعته إليه نفسه وشجعه عليه قلبه، ودخل فيه طعمه، وطاوعه فيه لسانه وهو يذكر جنود كسرى، وجموع الروم، وملوك الترك، وملوك الشّرك، وقيول [1]اليمن، وصناديد الأمم؟ إن هذا لعجب. ولا سيما إذ لم يكن في إرث ملك قاهر، ولا كنف عز غالب، ولا معدن علم سالف.

ولئن أعدت النظر وكررت فقلت: كيف وافق خبره أثره، وكيف صدّق فعله قوله، حتى غلب الشرق والغرب؟ إن هذا لعجب وأعجب من هذا أمر يدلك أمير المؤمنين عليه، ويهديك إن شاء الله إليه، لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك: هل بلغكم أو تقرّر قبلكم، أنه كان في الدهر الأول، والعصر الخالي، أحد مثل محمدﷺ: بدأت الأمور به مثل حاله، من الوحدة والضعف والذّلة والقلّة وصدرت الحال به كفعاله، في الغلبة والمنعة والقهر والظهور، وغير ذلك؟ لقالوا: لا.

ثم أنت لا تؤمن بمقالته ولا تقرّ برسالته، إلفا لدينك، وضنّا بملكك، وطمعا في قليل من الدنيا قد نعاه الله إليك، ورغبة في صبابة عيش غير باقية في يديك، فهذا عجب وأعجب من هذا أمر يقفك أمير المؤمنين على نور حقه، ويوضح لك إن شاء الله بيان أمره: أصبحت العرب طرّا والأمم جميعا في محمد ﷺ ثلاثة لا رابع لهم، ولا مخرج للحق من بينهم: رجل مصدق به من المؤمنين ورجل مكذب به من الكافرين ورجل شاك فيه من المنافقين.

فأما الشاكّ فلما قيل له: أخرجت نفسك من الحق وأبرأتها من الصواب، وأقررت عليها بالخطأ لقولك: لا بدّ أن يكون الحق في التصديق أو التكذيب ولست على واحد منهما، اعتزل عنها.

وأما المكذب فلمّا قيل له: أنت منكر والمنكر ليس بمدع ومن لم يدّع لم يلزمه بينة، ولا يسأل عن حجة، اتبع صاحبه وأيّم الله على ذلك، لو سئل هذا المدعى عن بينته، وكشف حجته، فقيل له: من أين عرف قلبك، وأيقنت نفسك إيقانا لا يخالجه شكّ، ومعرفة لا يشوبها ريب، ولا ينازعها شبهة، أن محمدا ﷺ ليس برسول؟ لما درى ما يقول، لأنه لا يستطيع أن يتقوّل على الرسل، ولا أن

---

[1] _ القيول: جمع قيل بالفتح، وهو: الملك من ملوك حمير.

يتكذّب على الكتب، فيقول: قد اخبر الله فيها أنه لا يبعث نبيا، ولا ينزل وحيا في كتاب مسطور بعد الثوراة والانجيل والزبور، بل قد يجد أهل الكتاب في أقاويل رسلهم، وأخابير كتبهم، أن الله تبارك وتعالى ينزل كتابا جديدا أو كلاما حديثا، بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان، ولم ينزل بعد ذلك كتابا إلا القرآن.

وأما الرجل المصدق بمحمد ﷺ أمّا أنت فقد ادّعيت، والمدعى يسأل عن الحجة، وتقبل منه البينة، فما بينتك، ومن يشهد لك؟ فقال: ألم تقولوا: إن الحق لا يخرج من بيتنا، ولا بدّ أن يكون مع بعضنا؟ قالوا: بلى قال: فأية بينة أحق وأعدل، وأي شهود أزكى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبي وثبوت الحق من بعدهما في يديّ؟ قالوا: إن الأمر لكما تقول ولكن البينة أشفى للصدور، فأقام بينة من الكتاب وشهودا من الوحي وآيات سوى ذلك عظاما، وبيّنات عوام، من كلام لا يقدر عيه الخلق، وصدق لا يكون إلا من قبل الربّ شبيها بما أورده أمير المؤمنين عليكم، وكتب به في صدر كتابه هذا إليكم، مما قد تشهد له قلوب الأمم ويزكيه فعال العرب.

فلما أقام بينته وثبتت حجته ووجب حقه، وقضي به له قيل: له وكيف توسعت الأمور عليك، وضاقت المقالة، لك أن تقول: إن الله لا يبعث نبيا بعد محمد ﷺ ولا وحيا ينزل غير القرآن، فأبطلت الكتب المحدثة، وأكذبت الوثيقة ولم تترك وحيا غير القرآن ولم يجز للنصارى أن تقول: لا نبيّ بعد عيسى عليه السلام ولا كتاب خلف الإنجيل وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبي بعد نبينا كذاب، فشاعت وجازت الحجة ووضح العذر وأما النصارى فيجدون في أواخر كتبهم، وأقاويل رسلهم، أن الله عز وجل يبعث نبيا حديثا، وينزل كتابا جديدا، فليس لهم أن يكذبوا نبينا ﷺ ولا أن يردّوا كتابنا.

فهؤلاء الثلاثة: أما الشاكّ فسقط، وأما المنكر فبطل، وأما المصدّق فثبت ثبوتا ليس فيه مدخل شبهة ولا موضع لحجة ولا معلق لمنازعة، وذلك أن المنكر لوجوب حقه، والشاك في ثبوت صدقه لا يجد بدّا من أن ينحى الصدق عن الخلق ويخلى الدنيا من الحق، وهذا قول المكذبين بربهم، الشاكين في بعثهم، فأحسن النظر في معانيه، ينكشف لك عما فيه إن شاء الله.

ومن بين آياته وأدل علاماته ﷺ ووسع له فيما صدر إليه أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمد ﷺ في الثوراة والإنجيل موصوفا مكتوبا تجمعت العلماء منهم، وتدارست الكتب فيما بينهم، فلما نظروا إلى اسمه وعاينوه بنعته وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويستفتحون بذكره على من سواهم، كفرت طائفة حسدا من عند أنفسها، وجحدا من بعد ما تبيّن لها وآمنت طائفة تصديقا بكتابها وخوفا من ربها.

فلعمر الله لولا أن الذين آمنوا بحقه، وصدقوا بأمره، رأوا صفته عيانا، وقبلوا نعته إيقانا، لما فارقوا أديانهم، ولا جادلوا إخوانهم، حتى وقفوهم على اسمه ونسبه، وصفته وعلامته، وهم علماء بني إسرائيل، وحملة الإنجيل: من أهل الكتاب الذين احتج الله عز وجل بهم على العرب فقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الشعراء: 197] ولعمر الله إنها لآية عظيمة، وحجة بليغة، ذكرها الله في كتابه وجعلها على العرب من بيّناته، فقال لهم: [الإسراء 107-108]﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾يقولون: وعدنا أن يرسل رسولا، فقد أرسله، وحقّق قوله، وصدّق وعده، واحتج النبي ﷺبذلك وذكره، ولم يكن النبي ﷺ ليجادل ويحتج في أمرهم بكذب وباطل، ولم يكن ليقول للنصارى واليهود، فيما ذكر الله من صدق الموعود إنه في التوراة والإنجيل مكتوب موجود إلا وهو من ذلك على حق يقين، ونور مستبين وكيف يستشهد من التوراة والإنجيل بكذب، ويتقوّل عليهم الباطل مع حرصه على تصديق أهل الكتاب، ليستدعى به إيمان أحياء العرب، أما كان يعلم أنه إذا قال لهم: إنه موجود في مثاني كتبهم، وسمى على أفواه رسلهم، فلم يجدوا خبره يقينا، ولا وصفه مستبينا، أنهم سيدبرون عنه إدبارا، تزدادا به العرب نفارا، إلا أن يقولوا خطأ من علمه وهواه من خبره، فكيف لم يخط إذن في كتبهم حرفا غيره، ولم يخالف منها شيئا سواه؟ سبحان الله لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم، فأنتم إن تنكروا ما يقولون لكم، مما ليس لذي لبّ أن يأذن له أن يؤمن به،

ولا أن ينبذ[1] إليه سمعه يقولون: إن أنبياء الله ورسله، المبعوثين بالرحمة إلى خلقه، لطفت النبوة منهم، ووقعت الأخبار المنزلة عليهم، على صغائر الأمور، وغوامض الخطوب، فسار الناس عليها، وأشاروا لهم إلى طلبها، فهي مكرّرة في مثاني كتبهم، وبطون صحفهم، وأقاويل رسلهم، وتركوا من كلام النبأ العظيم والأمر الكبير والذكر الحكيم الذي ملك آفاق الأرضين، واستفاض على جميع العالمين، لم يذكروه بخير يأتمرون به، ولا بشر ينتهون عنه كلا ما ترك الله على هذا خلقه، ولا بهذا وصف تبارك وتعالى نفسه، إنه لأرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين.

ولئن رجعت إلى قلبك، لتقولنّ في نفسك: لعمر الله لو كان هذا الأمر الذي طلع طلوع الشمس، وامتدا امتداد النهار، فبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسهول الآفاق وحزونها[2]، حقا وصدقا وعدلا، لبشرت الكتب به، وتنبأت الرسل عليه، ودعت النّذر إليه، تزيينا له، وترغيبا فيه، وأمرا به، ولو كان ضلالة وجهالة وعمالة، لتقدموا في التحذير منه والتزهيد فيه والتثبيط عنه، فيدعو ذلك إلى أن ينظروا في كتب الأنبياء وأقاويل الرسل، فأيم الله لئن طلبت لتجدنّ ولئن اجتهدت لتوفّقن وما الصواب بممنوع ولا الخيرُ بمحظور ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده، ولكنها كانت تكتمه بتحريف كلام الكتب عن مواضعه، وصرف تأويل الحكم إلى أشباهه، حسدا من عند أنفسهم وبغيا بعدما تبيّن لهم، ثم لقد اقتديتم بهم، وجريتم معهم، وأخذتم عنهم، بلا حجة لكم ولا قوة معكم، إلا الاقتداء بالآباء والإتباع للآثار، فاتق الله في نفسك، واتهم الرجال على دينك، ولا تجعل النظر إلى غيرك من ذوي الشك في القلوب والفسخ في... [3]. والتّهم في التعطيل، الذين لعلهم يعرض لآرائهم ويقع في أوهامهم أن يقولوا: فلعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن، ويقرع لكم من حجج الوحي شيء زيد في المصاحف بعد النبي ﷺ، وهذا ما لا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قويّ وذاك الشاك في شهادات الرجال–متفقة من بلدان وأمصار مختلفة، وشعوب وقبائل متفرقة،

---

[1] _ أي يلقى

[2] _ الحزون: جمع حزن بالفتح وهو: ما غلظ من الأرض.

[3] _ هكذا في الأصل.

ليس يدعوهم إلى ما شهدوا دين ولا يحملهم على ما اتفقوا عليه دنيا–لا يستقيم له أن يؤمن[1] بما لم تدركه جوارحه وتحيط به حواسه لإسقاطه حجّة الإجماع، وإبطاله شهادة العوامّ، واتفاق المختلفين دلالة واضحة، فهو سائلكم عن الحجة في الإنجيل والبينة على التوارة، شكا في الرب وتكذيبا بالرسل، فما كنت قائلا له، أو مجيبه به في كتابكم، فأجبه بمثله في كتابنا، وإن كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤتلفة ولا مرتفقة ولا واحدة تعتدل حالاهما، ويتفق أمرهما من كتابكم، ما لم تنزل به الملائكة وحيا كالقرآن، ولم يشافه المسيح به أصحابه باللسان، إنما كان فعلا أثبت من بعده، ولم يكن الفعال موضوعا بعده، وليس يكتب أمير المؤمنين بهذا إليكم شكا فيه، ولا يورده عليكم مرية به.

ولقد علم أمير المؤمنين أن كتب الله عز وجل محفوظة، وأن حججه مخزونة، لا زاد فيها على تقادم عهد، ولا ينتقص منها على تقارب دهر، وأن ذلك ثبت في الإنجيل من بعد عيسى عليه السلام، وأنه قال لمن اجتمع إليه من الحواريين: فأمثاله المضروبة كلام، وكلامه الرائع وحي ولكن ما بال الشكّ ينفى عن كتابكم بحجة الاجتماع عليه عندكم، وهو على ما وصف أمير المؤمنين لكم، وسيّان في تنزيل كتابنا، وقد أدرك شهادة دينه، إما ما قربا[2] من عهده ومعاينه وحيه واجتماع على حفظه هذا حكم مختلف.

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به: أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التي تعرفون وقومها[3] بطبقات الرجال الذين يتهمون.

فإن قالوا: أمّا طبقات الرجال التابعين، وحالات أزمات أمير المؤمنين، فذلك مالا يسوغ الأقاويل فيه، ولا تدخل الشبهة عيه، لانتشار القرآن وامتداد الزمان، وكثرة الحملة لآياته فيهم، والحفظة للسانه منه ولكن الدين الذي نزل به القرآن وقبض النبي ﷺ بين أظهره، وكيف بوقوع تهمة، أو دخول شبهة، على أقوام لبث النبيﷺ حجة فيهم يتلو كتاب الله عز وجل في كل عام عليهم،

---

[1] _ في الأصل "أن يؤمن" بزيادة له بعد يؤمن ولا حاجة إليه بل هي قلقة في الجملة

[2] _ هكذا في الأصل، والعبارة كما ترى مضطربة

[3] _ هكذا في الأصل.

حتى حملوه في صدورهم وحفظوه في قلوبهم وكرّر في آذانهم مسموعا، وأمرّ على أبصارهم مكتوبا، وجرى على ألسنتهم متلوا وجمعه كثير منهم محفوظا ثم توارثوه فيهم، وتداولوه فيما بينهم، حتى أدّوه إلينا، وأوفوا به عندنا، من مواضع متفاوتة، وأصناف وأجناس متباينة على كلمة واحدة.

فإن قالوا: اتفقت الرجال على الزيادة فيه، وأمكنت الحال من الحمل عليه، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا في الزيادة متّهمين وأن المنافقين الملحدين ليسوا على ذلك بقادرين، وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين بعدما حفظته قلوبهم. ووعته أسماعهم، ثم تكتتم القدرة لهم، وتستتر الزيادة منهم؟ هذا ما لا يقدر عليه منافق، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق، وأيم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة في الإنجيل لأفسدوا كتابكم، وغيّروا دينكم، ولو جعل الله المنافقين على الزيادة في كتابه قادرين، لبدلوا ديننا، وغيّروا حالنا،

ولو كانوا لذلك مقرنين[1].وعلى ذلك مقتدرين، لكان الذين كتب به أمير المؤمنين إليكم، وأورده من حجج الله عليكم، أول ما تلقون ورأس ما تقترفون فلا تلقين إلى ما قاله المضلّ سمعك، ولا تنصت الدّهر إليه ذهنك، فإنه اتخذ الشك في كتابنا ذريعة إلى الإخلال بكتابك وسلّما إلى الشك في دينك[2]، وعلّة في الطعن على ملّتك، ولكن قل: يا وليّ الشيطان: أن وقع لك إيمان بأنك من ولد فلان؟ أتقول شهدت الجيرة واجتمعت العشيرة، واتفق المختلفون فذهب الشكّ وزال الرّيب ووقع الإيقان من غير العيان؟ صدقت فما بال الشك فيما اجتمعت العامة على القول به، واتفقت الجماعة في الشهادة عليه من آيات الكتب وبيّنات الرسل وإن ذهب بهذا عن أمره، وباعده عن شبهه، فتؤمن أنه من نطفة خلق، ومن رحم خرج، فإن جحد وأبى ألا يؤمن بما لا يرى فقل: أرأيت لو كنت سميعا أعمى، أكنت تؤمن بشيء مما في الدنيا: من سماء أو هواء أو بحر أو سبع، أو أرض أو جبل أو شبه ذلك، مما لم يدركه العيان، ولم يقبله إلا عن الناس؟ فإن قال نعم، فقل هل لك إلا بالإجماع الكفر بالرب ؟ وما لدائه دواء غير الصلب ؟ فاتق الله إذ كنت إماما وقائدا لأهل ملكك، لا

---

[1] _ أقرن الأمر: أطاقه وقوى عليه

[2] _في الأصل "في دينه»

تقدهم إلى النار، فتحمل أوزارا مع وزرك. فإن من أبين آيات الوحي، وأدلّ علامات النبي ﷺ أنه لا يبتدع في الدين أمرا من تلقاء نفسه، ولا يتقدم في الأمور بين يدي ربه، والله أظهر فيما أنزل من الكتاب أمورا كان يحسبها ﷺ مستورة، فقال تأديبا له، وإخبارا لمن آمن من بعده: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[الأحزاب: 37]. وقال: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ ﴾[عبس:1-11] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥ ﴾[الإسراء: 74-75] وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس إلى البلد الحرام، حي سكنت القلوب إليها، وأنست النفوس بها: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[البقرة:120]وكانت القبلة التي صرفه الله إليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة بخلاف الكافرين، كبيرة[1] إلاّ على الذين هدى الله من المؤمنين، فإنهم قالوا: إذا اختلفت القبلتان وافترقت الجهتان كانت الطاعة فيهما واحدة، لا اختلاف فيها ولا افتراق عليها، وكيف تختلف الطاعة من رجل بنى بأمر الله عز وجل، ثم هدم بوحي الله؟

فإن قلت: إن الله حوله عن أفضل القبلتين، فلا سواء في الفضل البيّن والخير السرّ: قبلة سلط الله عليها الكافرين، ولم يمنعها من الظالمين، وقبلة منعها بجنود من عنده، وعصمها بغير ما حول من خلقه، ولا حرمة يدعيها أحد ممن فيها، فأرسل طيرا أبابيل [2]. ترمي الأعداء بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول. فإن تقل: هذا خبر ننكره، وقول لا نعرفه، فبأيّ حديث بعد هذا تؤمن به وتشهد لله عز وجل أنه من قبله؟ وأنتم تعلمون أنه أنزل الله عزّ وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم

---

[1] ــ في الأصل "كثيرة" وهو تصحيف.

[2] ــ أبابيل: جماعات، والسجيل: الطين المتحجر، كعصف مأكول: أي كزرع أكل حبه وبقي...وقصة أصحاب الفيل مشهورة.

بشر كثير.

فإن قلت: إن محمدا ﷺ خبّرهم بما عاينوه وأدركوا خلافه، تقل: إنه أراد أم يفرّقهم عنه، ويوحشهم منه، وأحب أن يرموه بالكذب، ويقذفوه بالحمق، ويصموه بالجنون، ويظنوا به الظنون، كلا ما كان نبيّ ولا غير نبي ليجاهر [1]. أقواما بخلا ما رأت أبصارهم، وشاهدت آباؤهم، فيخبرهم بخلاف ما شهدوا، وتكذيب ما عاينوا فلا تكونن في هذا من الممترين، ولا بأمر الفيل من المكذّبين.

فلعمر الله لو كان من أمر النبي ﷺ ما تلحد أنت وقومك إليه، لما قام معه رجلان، ولا اختلف فيه سيفان، وإن فيما صنع الله عز وجل بالفيل وأتباعه، دلالة على قبلة الله وأنبيائه، فاتق الله، فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبي ﷺ وكشف الأغطية عن النور بآيات الوحي فإن مالت الأهواء بك، وغلبت الأساقفة عليك، وحضرك الرؤساء الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى بلا حجة عندهم، ولا سلطان أتاهم، فقل: أنبئوني عما اجتمعت عليه النصرانية وذهبت إليه بهم المعاني، من تشقيق الكلام[2]، وتصريف الكتب: أحروف تتعسفونها، أم لغة تعرفونها؟ فإن قالوا: إنهم بغير بغي يتكلمون، فهم إذن قوم يلعبون، وإن قالوا: إنهم يتكلمون بلغة معروفة، ومعان معلومة، فقل: أخبروني عن قولكم: أب وابن، أهما ما تعترف العقول من المنطق ويقع في القلوب من المعنى، أم لا؟ فإن قالوا: لا، ليس ذلك بالذي تذهب أوهام العباد إليه ولا بالذي تقع الحقائق في الآباء والأبناء عليه، إنما هو كقول الله عز وجل في التوراة لإسرائيل.

"بكرى»لا يعنى ولادة الرحم، وكقول المسيح عليه السلام للحواريين "أنتم إخوتي»لا يعني أخوة النسب، فذلك قول لا يجدون معه بدّا من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبدا، وإن قالوا: بل هو تجري به ألسن العباد، ويقع في قلوب الخلق من الولادة المعروفة، والأبوة المعلومة، فليخبرونا متى كان الأب والدا، والابن مولودا، أقبل الولادة أم بعدها؟ فإن قالوا: قبلها، رجعوا عن القول الأول بتثبيت الأبوة، إلا أن ذلك ليس بالشيء الذي تذهب إليه الأوهام، ولا بالمعنى الذي يقع في قلوب الأنام.

---

[1] ـ في الأصل "ليجاهد" وهو تحريف.

[2] ـ شقق الكلام: أخرجه أحسن مخرج.

ولا بدّ إذا سقطت الولادة المعروفة، وبطلت الأبوة الموجودة، أن يقولوا: إن الأب والابن اسمان علّقا على غير معنى، ونسبان أضيفا إلى غير حق، فيقرون أن عيسى عليه السلام خلق مثلهم، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحد منهم.

وإن قالوا: إنما كان الأب مولودا والأب والدا بعد الولادة، فقد أقروا بأن الابن حدث مخلوق، وعبد مربوب، لقولهم: إنه لم يكن حتى ولد، ولم يولد حتى خلق، وقل لمن يقول الزور العظيم، ويقذف بالافك المبين، أليس الأب أبا على حياله.

ولم يزل، والابن ابنا نجل[1]، وروح القدس كذلك، فإن قالوا: نعم، فقد أقرّوا بأنهم ثلاثة متباينة وقعت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة، وتركوا قولهم: إنهم ثلاثة أصلهم واحد.

وإن قالوا: الأب والابن وروح القدس واحد، ولكن بعضه أب، وبعضه ابن، وبعضه روح القدس، فقد دخلوا في التحديد الذي هو عيب عندهم، وقالوا في التبعيض بما هو كفر قبلهم، وإن قالوا: ليس مبعّضا ولا مجزأ ولا محدودا، ولا ثلاثة متباينين، فإذن هم قوم يلعبون: يقولون الأب ابن، والابن أب، والوالد مولود، والمولود والد، والكبير صغير، والصغير كبير، والقليل كثير، والكثير قليل، وهذا من أبين المحال، وأخلف المقال، وليس من المنطق ما لا يوجد في لغة عرب ولا عجم، ولا لسان أمة من الأمم، وإنما أرسل الله عز وجل كلّ نبي بلسان قومه ليبيّن لهم، فيضل الله الظالمين، ولولا ذلك لما فهمت الأمم مذاهب أقاويل الرّسل، ولا معاني أحاديث الكتب، فلا تطع الذين يلعبون بأنفسهم، ويتكلمون بغير لغتهم، ويقولون: الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا محال في مجاري المقال، ومعاني الفعال.

لعمر الله لئن اتهمت عقول الأساقفة على دينك، واهتممت بالنظر في توحيدك، لتعلمنّ أن الواحد لا يكون ثلاثة، وأن الثلاثة لا تكون واحدا، إلا على وجه ماله ثان تقول به، ولا منه مخرج تسريح إليه، فألق نحوه سمعك، وأنصت إليه فهمك فإن أمير المؤمنين واصفه لك، وليس واقعا إلا على

---

[1] ـ نجل: أي ولد.

المخلوقين، ولا لازما غير المحدودين، ولا داخلا على ربّ العالمين: وهو أن يكون الشيء أصله واحد وأجزاؤه كثيرة، من نحو الإنسان، وهو أصيل يجمعه اسم، وله أجزاء تلزمها أسماء فليس الجزء بالأصل، فإذا أردت الجزء قلت: يد الإنسان، وسمع الإنسان ولولا أنه محدود مخلوق مجزّأ مبعّض، لما جاز هذا القول فيه، ولا دخل هذا المثل عليه، وكذلك الشمس: الأصل واحد، وهي شمس، والأجزاء كثيرة: وهي عين الشمس، وضوء الشمس، ودقيقها، وغليظها، وحرورها[1]، وأعلاها، وأسفلها، وأشباه ذلك.

فلئن قلت: سميّت كل جزء من الأجزاء على حياله إنسانا، وكلّ جزء من الشمس دون أصله شمسا، ونسبت فعل الأصل إلى بعض أجزائه، وتركت أن تنسب الأصل فاعلا ببعض الأجزاء كما تقول: بسط الإنسان بيده ومشى برجله، ونظر بعينه، ثم ضربت ذلك لله عز وجل مثلا، وجعلت الله له قياسا، فقلت: الأصل واحد، وهو الله عز وجل، والأجزاء كثيرة، وهي أب وابن روح القدس، وكل جزء منها إله على حياله، وربّ دون غيره، لم تجد بدا أن تلحق اليد والعين والنفس بالأب والابن وروح القدس، فتكثر آلهتك، وتحدّد ربك، وتترك قولك: إن الله ليس محدودا ولا مجزأ ولا مبعضّا، إلا أن يكون إنما تريد مذاهب الأسماء فتقول: المعنى واحد، وهو الله عز وجل، والأسماء أب وابن ورح القدس، فإن كنت تقول هذا وكنت إنما تعبد أسماء، فما تجد بدّا من أن تعبد الأسماء كلها وتقول: إنها آلهة على حيالها، حتى تقول باسم: ارحمني، وبثان: اغفر لي، فاتقوا الله يا أهل الكتاب فإن الله عز وجل ليس بأب ولا ابن ولا اسم، ولكن له الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون.

فإن أشارت الأساقفة إلى بعض الإنسان باليد والرجل وأشباه ذلك، وقالوا: ليس إنسان، فقل: لا ولكنه للإنسان، وقل: هو إنسان بكماله وكذلك أشاروا إلى بعض الشمس، فقالوا: أليس هذا الشمس طالعا؟ فقل: لا، ولكنه بعضها، ولو كانت الأسماء التي تقع أبصاركم عليها، وتشير أيديكم إليها من الشمس والسماء والهواء شمسا وهواء وسماء، لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يبلغه

[1] ـ الحرور: الحر

الإحصاء ولو قصدت بالإجابة لمسالك هذه الأدوية لبطلت الحجج الدّاحضة، وانقطعت الأقاويل المتناقضة، وسل من قبلك من أساقف أمتك، وشمامسة أهل ملتك الذين يزعمون أن عيسى المسيح، ويرفعونه أن يكون عبدا: على أي شيء وقع اسم المسيح من عيسى: على الرّوح، أم الجسد، أم على كليهما؟ فإن قالوا: على الروح نفسه، لأن الرّوح إله دون غيره، فقد أقروا بأن إلههم يأكل ويشرب، ويمشي ويركب، لأنهم يجدون ذلك من فعل عيسى مبيّنا قبلهم، موصوفا عندهم، فإن قالوا: وقع اسم المسيح على الجسد بعينه، فكان الجسد هو المسيح إذن دون غيره، والمسيح إذن مخلوق عندهم والإله إنسان إذن مثلهم، فلم يعبدون المخلوق، ويدرون من خلقه وبرأه. وإن قالوا: وقع الاسم على الروح والجسد جميعا، فلن يجدوا مخرجا ولا بدّا ولا محيصا-إذا أوقعوا الاسم عليهما-من أن يضيفوا الأعمال إليهما، فيقولوا: إن الجسد المخلوق هو خلفهم، وإن الروح الخالقة قد ماتت قبلهم، وسل من قبلك عن الأب والابن، فقل: أيّهما أعظم، وأيهما أصغر؟ فإن قالوا: الأب أعظم والابن أصغر، فقد جعلوهما متباينين، وإن قالوا: هما واحد وكلاهما عظيم، وليس الأب بأعظم من الابن ولا الابن بأصغر من الأب، فقد نقض حينئذ جوابهم، وأكذب المسيح عليه السلام كلامهم، حيث يقول: «ولو كنتم تحبّونني لفرحتم حيث أذهب إلى إلهي، فإن إلهي أعظم مني فلم يقل: "أعظم منى[1]»إلا وهو مقرّ بأنه أصغر منه، وسلهم عن قول المسيح: «أنا أذهب إلى إلهي وإلهكم»[2] فقل: من هذا الله الذي ذهب عيسى إليه ﷺ: إله في السماء، متباين منه، منقطع عنه؟ فهما إذن اثنان متباينان، أم إله كان به متصلا، وكانا جميعا واحدا؟ فكيف إذن يجوز له أن يقول أذهب إليه»؟ إلا أن يقولوا: إن بعضه ذهب إلى بعض وهذا مما لا يجوز عندهم في صفة الربّ عز وجل.

وسل من قبلك: أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكماله، حتى كان البطن منه فارغا، وكان هو منه بكماله خارجا؟ فإن قالوا: نعم، فقد انكسر قولهم: إن الله بكل مكان، وإن قالوا: لم يخرج

---

[1] ــ ورد في انجيل يوحنا (الاصحاح 14 آية 28) من الكتاب المقدس طبع بيروت سنة 1909 «ولو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضى إلى الأب، لأن أبي أعظم مني»

[2] ــ ورد في إنجيل يوحنا(الإصحاح 20 آية 17) من الكتاب المقدس: «إني أصعد إلى أبي وأبي وإلهي وإلهكم

المسيح، ولم يخل البطنُ، فقد كذبوا إذن في قولهم: إنه قد خرج، وأقروا أنه قد ولد، فتعالى الله عما يصفون، وتنزه عما يشركون وسلهم: لم هبط عيسى إلى بطن مريم، وتجسّد باللحم والدم؟ فإن قالوا: ليمحق الخطايا من الأرض، ويربط الشيطان عن الخلق، فقل: كيف إذن لم يربطه عن نفسه؟وكيف جلاباه [1]من اليهود بصلبه؟ ولم سلّط على أهل دينه يتّبعون في كل شعب [2]ويقتلون بكل واد؟.

وقل للذين يقولوا: إن الخالق في كل مكان من السماء والأرض وغير ذلك:

أيّهما أعظم: المحيط المشتمل أم المحاط المشتمل عليه كما يقولون؟ تعالى عما يشركون؟ فإن قالوا:»إنما التحم بعضه دون بعض، فقد حدّوا وبعّضوا ونقصوا، وإمّا قالوا، فلن يجدوا بدّا من أن يقولوا: إن بعض المسيح الذي جعلوه ربّهم، وهو إله عندهم، ميت بعضه جيفة، وإن بعضه حي طيب، لأنهم زعموا أن التحم بجسد حي فيه روح، فلا بدّ إذن أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحية من الخوف والفزع والفرح والعطش وأشباه ذلك، هو عندهم كفر عظيم، وإفك مبين، فاتق عقوبة الله ربك ولا تمش مكبّا على وجهك، ولكن اطلب والتمس وابحث، فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل: «من سأل أعطي، ومن طلب وَجَدَ، ومن استفتح فتح له»[3].

اجمع العلماء والبصراء الذين عندك، والأساقفة والرّهبان الذين قبلك، فقل: لأي شيء نسبتم المسيح إلها، وجعلتموه ربّا؟ ونجد الله سمّاه في الكتاب ابنا، وقد تجدونه قال: «إني أذهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم أيضا»وهذا كلام يحتمل وجهين: أحدهما أولى به، وقول لا يحتمل إلا وجها هو الرّبوبية، أم كيف تنظرون إلى كلامه: «أذهب إلى أبي وأبيكم»فتفردونها في نفسه وقد قالها فيه وفي غيره؟

---

[1] _ كذا بالأصل.

[2] _ الشعب: الطريق في الجبل.

[3] _ ورد في انجيل متى (الإصحاح آية 42) من الكتاب المقدس: «من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده»وورد في انجيل لوقا (الإصحاح 11 آية 10 من الكتاب المقدس) «من يأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له».

فاتق الله وكن من القائمين بالحق، والموحّدين للرب، إنّ أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالا جمة، وصرف إليك مسائل كثيرة، وبيّن لك من آيات النبي ﷺ وعلامات الوحي قليلا من كثير، واضحا من تفسير، لا تمتنع العقول من التصديق به، ولا القلوب من الإقرار به.

وسيذكر لك أمير المؤمنين من علامات النبي ﷺ في التوارة، والإنجيل ما يكتفى به، إن شاء الله وباليسير منه، لأن كتب الله عز وجل محفوظة، وحججه محروسة، لا يزاد فيها ولا ينقص منها، وإذا وجدت فيها كلمة تدلك على حق وتهديك إلى رشد، فلست واجدا أخرى تصدّك عنه، وتشكّكك فيه، إذا تلي ذلك بالحق، ووضع على الصدق، ولكن ضلّت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام وتصريف تفسير الكتب، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق.

من ذلك ما قد شهد عيسى عليه السلام عندهم، وبيّنه في الإنجيل لكم، إذ قال للحواريين: «أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط روح الحقّ الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يققل كما يقال له، وهو يشهد علي وأنتم تشهدون، لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة وكل شيء أعدّ الله لكم يخبركم به»[1].وترجمة البارقليط: أحمد، هذا ما لا شكّ ولا مرية فيه، وهو الذي يخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحي الحواريين في القرآن، ولستم تجدون ذلك في التوراة ولا في الإنجيل.

ومن ذلك قول أشعيا النبي عليه السلام: «قيل لي: أقم بطارا ما ترى بخبرى[2] قال: أرى راكبين مقبلين أحدهم يقول لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها المنحوتة»ولسنا نعلم نبيّا ركب بعد موسى ﷺ بعيرا إلا محمدﷺ كثيرا.

---

[1] ــ ورد في إنجيل يوحنا (الإصحاح 14 آية 26) من الكتاب المقدس: «وأما المغزى: الروح المقدس الذي سيرسله الأب باسمى من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معنى من الابتداء» وفيه (الاصحاح 16 آية13) «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع ويتكلم ويخبركم بأمور آتية».

[2] ــ كذا بالأصل وهو تحريف، وورد في نبوؤة أشعيا (الإصحاح 21 آية 96) من الكتاب المقدس: «لأنه هكذا قال لي السيد، أذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى، فرأى ركابا، أزواج فرسان، ركاب حمير، ركاب جمل، فأصغى إصغاء شديد، ثم صرخ كأسد: أيها السيد: أنا قائم على المرصد دائما في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهو ذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان، فأجاب وقال: سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض...»

ومن ذلك قول داود عيه السلام: «الله ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنهم بشر»[1]يقول: كي يتبيّن الناس أن عيسى عليه السلام إنسان، ولسنا نعلم نبيا وضع سنة تنسب إليه إلا محمد ﷺ أما عيسى فإنه نصب سنة موسى عليه السلام.

ومن ذلك قول حبقوق المتنبي في زمان دانيال: «جاء الله من السماء، والقديس من جبال فاران، وامتلأت السّماء من تحميد أحمد وتقديسه، ومسح الأرض بيمينه، وملك رقاب الأمم»[2]. وقال أيضا: «تضيء لنوره الأرض، وتحمل خيله في البحر»فإلى من ينحو هذا القول، وإلى أين يذهب بهذا المعنى؟ لئن ذهب به إلى غير الذي تحمل خيله في البحر[3]، وبدأ من جبال فاران أمره، وغلب على الأرض ومسحها[4]، ولمكل رقاب الأمم كلها، لقد تركتم الحق وأنتم تعلمون.

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزّبور: «صدّقوا وسبّحوا الربّ تسبيحا حديثا، سبّحوا الذي هلّه[5] الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه، ويتوب صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمته، وأعطاه النصر، وسدّد الصالحين بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات عالية، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله من الأمم الذين لا يعبدونه، ثم يقيد ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال»[6]. فأيّما أمّة يكبّرون الله بأصوات وأذان الصلوات الدائمة، وعلى كلّ شرف[1]، وعند كل

---

[1] ــ ورد في سفر المزامير (مزمور 9 آية 20) من الكتاب المقدس: «يا رب اجعل عليهم رعبا، ليعلم الأمم أنهم بشر، سلاه»

[2] ــ ورد في نبوؤة حبقوق (الإصحاح 3 آية3) من الكتاب المقدس: «الله جاء من...والقدوس من جبل فاران، سلاه»وجاء في معجم ياقوت: «فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة، ذكرها في الثوراة، وقيل: هي اسم لجبال مكة....».

وفي آية 6: «وقف وقاس الأرض، نظر فرجفت الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخفت أكام القدم، مسالك الأزل له»

[3] ــ وجاء في آية 15 من نبوءة حبقوق، سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة»

[4] ــ في الأثل ومنحها.

[5] ــ في الأصل "هلكه".

[6] ــ ورد في سفر المزامير (مزمور 149 آية1-9) من الكتاب المقدس: "هللوا»غنوا للرب ترنيمة جديدة: تسبيحته في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه، ليبهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، ندف وعود، ...له، لأن الرب راض عن شعبه، يجمل والدعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء يمجد ليرتموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب لاسر ملوكهم وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بعم الحكم المكتوب، كرامة هذا لجميع أتقيائه هللويا».

حرب وأيما أمة كانت سيوفها ذات شفرتين إلا أمة محمد ﷺ.

من ذلك قول أشعيا: «سبحوا الرّب تسبيحا حديثا، ويسبّحه من آفاق الأرض فوج [2]يكون في بنو فيار[3] قريش، أهل فاران الذي نزل فيه القرآن، وأيّما أمة تسبح من آفاق الأرض، إلا أمة محمدﷺ عندي أكدى[4].

ومن ذلك قول أشعيا «عبدي الذي وجب به حبي الذي بشرت به نفسي أفيض عليه روحي، يوصى الأمم بالوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق، ويفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصّمّ ويحي القلوب الغلف[5]، وما أعطيه لا أعطي غيره، أحمد يحمد الله حمدا حديثا، تهليله يأتي من أقصى الأرض، يجوز الماء بشدة أمواجه، ويمرح وكورها سكانها يحمدون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية»[6].

ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين[7] . يقول الله عز وجل لمحمد في الزّبور: «انصبت رحمتي على شفتيك من أجل ذلك بارك الدهر تقلّد السيف على الأمم أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسبّاء بهاك وحمدك أحمد يغلب البر منك كلمة، الحق، وذللت لك الأشياء سيفك يحسمه يمينك ونبالك مسمومة ويسقط عند الأمم [8]»فأيّ نبي كان على الأمم جبّار، ولهم

---

[1] _ الشرف: المكان العالي.

[2] _ في الأصل "فرح»والظاهر أنه بحرف عن "فوج»وهو الجماعة من الناس.

[3] _ ورد في نبوءة أشعيا "الإصحاح 42 آية 10-12) من الكتاب المقدس: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر ومائه والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سالم من رؤوس الجبال، ليهتفوا، ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر

[4] _ هكذا في الأَل.

[5] _ الغلف جمع أغلف، وقلب أغلف: كأنما غشى غلافا فهو لا يعي.

[6] _ هكذا في الأصل.

[7] _ ورد في نبوءة أشعيا (اللإصحاح 42 آية 1-4) من الكتاب المقدس: هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع ثوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة بل يطفأ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضم الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته»

[8] _ هكذا وردت العبارة في الأصل، وهي مليئة بالتحريف ويتضح لك تصحيحها إذا رجعت إلى سفر المزامير، جاء في المزمور

بإذن الله قتالا إلا نبيناﷺ.

ومن ذلك في آخر الثوراة: «جاء الله تبارك وتعالى من سيناء، وأشرق من ساعير، واستبان واستعلن من جبال فاران، وجاء عن يمينه ربوات القديسين»[1].

وتفسير هذا أن عز وجل أنزل الثوراة على موسى في طور سيناء، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في جبل ساعير، وهو جبل بالشام، وأنزل القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران، وهي بلاد مكة، وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بلغتكم.

ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: «سأقيم لهم من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فمه، ولا يتكلم إلا بما آمره به»[2] فمن اخوة بنى إسرائيل إلا بنو إسماعيل؟ أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحدا منهم لقال لهم: أقيم لكم نبيا منكم.

فإن قلتم: إنما قال من إخوتكم وهو من يريد من أنفسكم فهب أمير المؤمنين قبل هذا الخلف منكم، ووسّع هذا المجال لكم، فيكف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة: «مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم»فهل تجدون من هذا مخرجا، ومن الإيمان أنّ المعنى وقع على محمد ﷺ بدّا؟ ألا تسمع قول الله عز وجل؟ «أجعل كلامي على فمه كي يعنى به، أميّ لا يقرأ ولا يكتب».

أو ليس قد أمر عيسى عليه السلام حوار ييّه أن يقولوا في صلواتهم: «يا أبانا الذي في السموات

---

45 آية 2-5 من الكتاب المقدس: «انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك، أيها الجبار وبهاءك، وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، ...المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحت يسقطون».

[1] ــ ورد في سفر التثنية (الإصحاح33آية1) من الكتاب المقدس: «جاب الرب من سيناء وأشرق لهم من سير، وتلألأ من جبل فارن وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم».

[2] ــ ورد في سفر التثنية (الإصحاح 18 آية 15) من الكتاب المقدس: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسط من إخوتك مثلى له تسمعون».

تقدّس اسمك»[1] كيف صار عيسى دونهم ابنا، وصار دونه أبا وهم يقولون: «يا أبانا»؟ أم كيف لم يجعل سليمان بن داود إلها، وقد قال الله عز وجل لداود: «يولد لك غلام يسمّى لي وأسّمى له»؟ ولم لا يجعلون إسرائيل إلها وقد قال الله عز وجل له: «أنت بكري»بل لا يسموّن المؤمنين عامة والحوار بيّن خاصة آلهة وقد قال المسيح للحواريّن: «أنتم إخوتي»وقد قال في الإنجيل: «أعط من آمن بي سلطانا يدعى له»وإن كان هؤلاء كلهم للمسيح إخوة، أفلا تجعلونهم كلهم آلهة؟ وكيف يقولون: إن عيسى ابن الله وهو يقول في مواضع جمة، وأما كن كثيرة، إنه ابن الإنسان؟ فيكف يكون ابن الإنسان ابن الله؟ ومتى كان ذلك؟ لئن قالوا: إن عيسى لم يزل ابن الإنسان، لقد جعلوا مع الله إنسانا، وجعلوا الله إنسانا حديثا وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل، وابن الإنسان فيما حدث وهذه أمور متناقضة وحجج داحضة، وأقاويل فاحشة.

فإن قالوا: إنما نعبد المسيح لأنه رفع إلى السماء فليعبدوا الملائكة، فإنهم في السماء قبله، وإدريس، فقد رفعه الله وغيره، وإن كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يخلق من ذكر، فآدم وحواء لم يخلقا من ذكر ولا أنثى ولم يقعا من غمّ[2] الرحم، وضيق البطن، وحال الصّبا، فيما وقع فيه المسيح، وإن قالوا: إنما نعبد عيسى لأنه أحيا الموتى فما أحيا حزقيل[3] أكثر، وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب، لأنه أحيا الموتى بعد مئين من السّنين وإن طلبتم ذلك في سير الملوك عند قصة اليسع أصبتموه إن شاء الله وإن كانوا إنما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التي أبرأ، والعجائب التي أرى

---

[1] _ ورد في انجيل متى (الإصحاح 6 آية9) من الكتاب المقدس: «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك».

[2] _ أي ستره.

[3] _جاء في كتب التفسير عند تفسير قوله تعالى في القرآن الكريم:

قيل: هم قوم من بني إسرائيل وهم أهل داوردان–قرية قبل واسط–وكان وقع فيها طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم، ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره، مر عليهم حزقيل عليه السلام–أحد أنبياء بني إسرائيل وقد عرب عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: ناد فيهم أن قوما بإذن الله تعالى، فنادى، فقاموا يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، نفروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم

فعجائب موسى أعجب، وآياته أعظم، أين ما ذكرت لك من عجائب عيسى من عجائب موسى: من انقلاب البحر له، وسلوك الجيش معه؟ أم أين ذلك من حجر يضربه فيتفجّر بعيون الماء، ويحمله معه حيث شاء؟ بل أين تلك وهذه غير هذه من الآيات من حبس يوشع الشمس[1]، ثلاث ساعات وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما بإذن الله وأمره وقدره وقضائه، فاتق الله وكن من القائلين بالحق، الموحدين للرب، ولا تقل على عيسى ما لم يقل، فإنكم لا تجدونه قال لكم في شيء من كتبكم: اعبدوني فإني ربكم، تعالى الله عما يقول الظالمون، ويذهب إليه الجاحدون.

وإن أمير المؤمنين قد أحبّ أن ينصح لك، في أولى درابك بك، وأهم شانيك لك، فدعاك إلى الإسلام، وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتنجو من النار، فإن قبلت فحظك أصبت، ونفيك أحرزت، ولك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإن رددت نصيحة أمير المؤمنين فيما الحظّ في آخرتك، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح في عاجلتك: من إعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم، ويحرّم بها سباءكم، ويجعلها قواما لمعاشكم، وصلاحا لبلادكم، وتوفير لأموالكم، وأمنا لجنابكم، وسعة لسربكم[2]، وبركة على فقرائكم، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم.

ولن يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم: من حاول الأمن فيكم، وعموم العافية إياكم، واستقامة البركة عليكم، وكفّ أيدي المسلمين عنكم وبسطها على الأعداء منكم شيئا إلا وفي قليل ما كان من أشباه ذلك أيام تلك الفدية، التي كان الله أجرى نعمتها لكم على يده، وفتح بركتها عليكم من قبله، ما يدلّكم على صدق أمير المؤمنين فيما يذكر ويشهد له على حقه فيما يقول إن شاء الله، فقد تعلمون أن الله قد أدخل على كل طرف من أطرافكم، وصنف من أصنافكم بتلك الفدية أمورا عظيمة البركة، واسعة المنفعة في أمور وغير واحدة:

---

[1] ــ هو يوشع بن بنون، فتى موسى عليه السلام وروى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدها الله تعالى فرد له الشمس حى فرغ من قتالهم.

[2] ــ لسرب بالفتح: الطريق، وبالكسر: النفس.

منها أن قادة جنودكم وساسة حربكم، كانوا بعد وقوع أمرها واستحكام عقدها، فراغا لمحاربة أعداءكم، ومناصبة من ناوأكم[1] بين أن يستعجموهم[2] في بلادهم، وينزلوا عليهم في ديارهم، ولا يرهبون تعقب بشر إن ساروا في أرضهم ولا يتخوّفون طردا إن اجتمعوا لقتالهم، أن يقيموا في خفض ودعة، وأمن وسعة مع الأزواج والأولاد والعيال والأوطان والأرباع والمحالّ وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل شعب ويتخوفون الحتوف في كل وقت، لا يهدأ لهم جأش [3]ولا يسكن لهم فزع، ولا ينام لهم ليل، ولا يأمن فيهم حال، قد قطعت الهموم دابرهم، وأضمرت المخاوف جنوبهم واستأصلت الجلود أموالهم.

ومنها: أن أخل الحراثة وإخوان العمارة في بلادك وأطراف أرضك، كانوا سراعا إلى عمارة أرضهم، وإصلاح ما تحت أيديهم، فيما لا قوام لهم ولا لمعاشهم إلا به، ولا بقاء لدينهم إلا معه، قد أمنوا الجيوش ومعرّتها والجنود وبادرتها [4]وانتشروا للعمارة وابتكروا في الزراعة، فارقوا رؤوس الجبال وأقحام الفياض[5] وراحوا في أوساط أوطانهم، وظلال محالّهم، يشققون الأنهار، ويغرسون الأشجار ويفرجّون العيون، حتى نمت الأموال، واخضرّت المحال، وأخصب الجناب، وأصبحوا اليوم عن الزراعة ممسكين، وللحراثة تاركين، وبغيرها مشتغلين في إصلاح آلات الهرب، وإحراز العيال في الحصون ورم القلاع للجلاء، وتحريش الحصون للبلاء، قد انتقلوا عن منابت البرّ، وكرائم الأرض، ومجاري المياه، إلى أوشال[6] الجبال، وأشجار الغياض، وبطون الأودية، فليس يبلغون من عمارة بلادهم، ولزوم أوطانهم، ومن تناول ثمارهم وقوام معاشهم، مثل تناول ثمارهم وقوام معاشهم، مثل ماكانوا يبلغون، ولا ينالون من خفض العيش وطيب الأمن، ولذّة الدّعة قريبا مما كانوا ينالون.

---

[1] _ ناوأه: عاده.

[2] _ كذا في الأصل.

[3] _ الجأش: النفس، ورواع القلب إذا اضطرب عند الفزع وفي الأصل «لا سكن لهم جأش».

[4] _ البادرة: ما يبدو من حدتك في الغضب من قول أو فعل.

[5] _ الغياض: جمع غيض بالفتح، وهي الأجمة ويجتمع الشجر في مغيض ماء.

[6] _ الأوشال: جمع وشل بالتحريك، وهو الماء يتحلب من جبل أو صخرة.

ومنها: أن إخوان التجارات وأصحاب الأموال وأهل الظّلف والحافر[1]، كانوا يتناولون ما شرفهم من بلادنا، وما قاربهم من أسواقنا، فينفقون تجاراتهم، ويغلون بضائعهم، فتعظم الأرباح وتضعف الأثمان، وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من الذميّن يتناولونهم للبيع لهم ويتناولونهم للشراء منهم فعمت البركة وسهلت المنفعة حتى نالت الرعاء في جبالها وآصالها، [2]والنساء في غزولهنّ وعمل أيديهن فضلا عن غيرهن.

ومنها: أنك ومن قبلك من ذوي العبادة والزّهادة والتأله والنسك والنيات كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب، وسلامة من أوزار الحض على قتال الخوف، قد نجوتم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها، والأمور التي أمركم بها، من نحو قوله: «من لطم خدّك الأيمن فأمكنه من الأيسر ومن انتزع قميصك فأعطه كساءك، ومن لطمك فاغفر له، ومن شتمك فأعرض عنه»[3].

ومنها: أن من بأقاصي بلادك ونواحي حوزتك قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض، ودعة الحال، وحلاوة الأمن ورفاهية العيش وسعة العافية من سباء أزواجهم وهيض[4] أولادهم وحطم معاشهم وأسر رجالهم وغنيمة بقرهم وغنمهم وإفساد شجرهم وثمارهم وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ما لم يكن لهم رأي يعرفه ولا ظن يبلغه ولا طمع يقاربه ولا أمل يذهب إليه، وما قد عرفت الخاصة من بطارقتكم، والعامة من أهل ملتكم به: من رأفتكم بهم، ورحمتكم لهم، وشفقتكم عليهم، وأثرتكم إياهم، وبركة ولايتكم ملكهم، ومنفعة سياستكم أمرهم، ما قد ازدادوا لكم به محبّة، وفي بقائكم رغبة، ولأمركم طاعة، وعلى ملككم شفقة، وفيما نابكم نصيحة، مع ما قد ازددتم بذلك من الهيبة في صدور الأعداء، والشرف في قلوب النّظراء، والعظم في عيون الأمم، حتى أقرّوا لكم بقوّة

---

[1] _ الظلف للبقرة والشة: بمنزلة القدم لنا

[2] _ كذا بالأصل.

[3] _ ورد في انجيل متى (الإصحاح 5 آية 39-41) من الكتاب المقدس: «وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ومن سخرك معه ميلا واحدا فاذهب معه اثنين

[4] _ من هاض العظم....إذا كسره بعد الجبور والحطم: الكسر.

عزائم العقول، وفضل سياسة الأمور، وصحة تدبير الملك، وصدق النية ولطف الحيلة التي جعلوا نسبة عملكم بها، ومحلّ رأيكم فيها، على أنكم نظرتم لضعفائكم حتى قووا ولفقرائكم حتى استغنوا ولقرّانكم حتى بينوا وحيوا وقودا المسلمين [1]. من أيام الحروب، وأوزار القتال، ومعصية المسيح عليه السلام، ولأعدائكم الأبعدين، وجيرتكم الأقربين، حتى كنتم من فراغكم لهم، واشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر سحر[2] القتل وذلّ، وغلبة القهر، والإذعان والاستسلام، وإما كفيتموهم بالصلح، واستوثقتم منهم بالرهن.

فإذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في الفدية، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية، فلا يكون، لك رأي غيرها، ولا أمير سواها، فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم، وأطال تغليب الفكرة في بعضكم، فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه إلى خلافه، مما أصبحتم عليه من انتظار وقعات الحروب وصولات الجنود، وأكل الحدود، وتوقع الجلاء والسّباء والقتل، والأسر والحصر، شيئا اختدعكم الله عز وجل فيه عن أنفسكم، وكيدا استدرككم به لما علم من قلوبكم.

ألا إنّ أعجب عذركم وأفظعه كان عند أمير المؤمنين، إذ بلغه جرأتكم على الله عز وجل في نقص عهده، واستخفافكم بحقّه في خفر[3] ذمته، وتهاونكم بما كان منكم وأنتم تعلمون أن مواثيق العهود ونذور الأيمان الذي وضعه الله عز وجل حرما بين ظهراني خلقه، وأمانا أفاضه في عباده، لتسكن إليه نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، وليتعاملوا فيما بينهم ويقيموا به من دنياهم ودينهم، فما من ملك من الملوك، ولا أمة من الأمم تبيح حمى الله عز وجل، تهاونا به وجرأة عليه، إلا أجرى الله عليهم دائرة [4]من دول الأعداء وأنزل عليهم عذابا من السماء، وقد رجا أمير المؤمنين أن يجرى الله نقمته منكم بأيدي المسلمين، بعد إذ كان اعتقد عهدكم وأخذ ميثاقكم بالإيمان المغلظّة، والعهود المؤكدة، التي قد اعتقدها في رقابكم، وحملها على ظهوركم، فأشهدتم الله بها على أنفسكم، وتسامع

---

[1] _ كذا بالأصل

[2] _ كذا بالأصل.

[3] _ أي نقص.

[4] _ الدائرة: الهزيمة.

بها من حولكم، وحكم بها بطارقتكم وأساقفتكم، فلا الله اتقّيتم، ولا من الناس استحييتم، نكثا للعهد، وبغضا للمسلمين وخترا[1] بالأمانة وإباحة للحمى، فتوقعوا للعقوبة وانتظروا الغيب فلقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حالّ إن شاء الله بكم.

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم، ما قد أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه، وقذف الله في قلبه: من الإرادة والنية والرغبة في إبطاء الجيوش بلادكم، واستباء المقاتلة أرضكم، والتفرّغ لكم من كل شغل، والإيثار لجهادكم على كل عمل، حتى تؤمنوا بالله وأنتم طائعون أو كارهون، وتؤدّوا الجزية عن يد[2] وأنتم صاغرون، فكونوا على عدة من الجزية ويقين من الانتجاع الذي لا طاقة لكم إن شاء الله به، ولا صبر لكم بإذن الله عليه، فإن جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة، وخزائنه غامرة وافرة، ونفسه سخيّة بالإنفاق، ويده مطلقة بالبذل، والمسلمون نشاط إليكم، منقلبون عليكم، قد عوّدهم الله في لقائكم عادة يرجون انتظار مثلها وأبلاهم في قتالكم بلاء من أمثالها، إن شاء الله.

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدي جنوده، ومقدمه إن شاء الله من جيوشه، إلا أن تؤذوا الجزية عن التي دعاك أمير المؤمنين إليها، وحداك[3]، ومن قبلك عليها، رحمة للضعفاء الذين لا ترحمهم، وتوجعا للمساكين مما لا توجه منه لهم من الجلاء والسّباء والقتل والأسر والقهر، وقساوة من قلوبكم، وأثرة لأنفسكم، واعتصاما بخواصّكم، وإجلاء لعوامّكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة، ولا تدفعون عنه بحيلة، ولا تراقبون في الرحمة لهم والتعطيف عليهم، أدب المسيح إياكم، وقوله في الكتاب لكم: «طوبى للذين يرحمون الناس، فإن أولئك أصفياء الله ونور بني آدم»[4].

وأيم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزارعين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم، ما لهم من عند أمير المؤمنين، لتحدّروا عليه وأقبلوا إليه: من إيوائهم، وإنزالهم الأرض الواسعة، وإمكانهم من

---

[1] ـ الختر: الغدر والخديعة، أو قبح الغدر.

[2] ـ انظر الجزء الأول، ص 39.

[3] ـ من حدا الإبل وبها: إذا ساقها.

[4] ـ ورد في إنجيل متى (الإصحح 5 آية 7-9) من الكتاب المقدس «طوبلا للرحماء لأنهم يرحمون طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون».

مسايل المياه السائحة، والعدول عليهم بما لا تبلغه أنت ولا تقاربه، رفقا بهم ونظرا لهم، وإحسانا إليهم، مع تخليته إياهم وأديانهم، لا يكرههم على خلافها، ولا يجبرهم على غيرها، لاختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك، وجواره على جوارك ولانقذوا[1] أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم، مما يحلّ بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة، فاتق الله واقبل ما عرض عليك من الجزية، ولا يمنعنّك ما فيه [2] الحظ لك ولأهل مملكتك، ونحن على رجاء أن الله لا يؤخرّ ذلك منكم ويدفعه عنكم، إلا ليجعله على يد أهل بيت النبوّة والرحمة، ولأهل الوراثة فيهم للكتاب والحكمة، الذين لا يدخل عليكم في الإذعان لهم، وأداء الجزية إليهم، حميّة ولا نقيصة ولا عار، والذين يوفون لكم بما يعقدون ويتبعون فعلهم ما يقولون.

ثم أمير المؤمنين بخاصة، لما جعل الله عليه رأيه، وفيه نظره، من البرّ والرحمة والإقساط والوفاء بالعقود والعهود والشروط، نظرا لدينه، وخوفا من ربه، ولما قذف الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة، ولما جعلهم الله عليه من اجتماع الكلمة، واتفاق الأفئدة، والنصائح في السر والعلانية، وما عودّه الله ممن نصب له بمجاذبة، ورماه بمكايدة، وعراه بحيلة: من النصر العزيز، والفتح الغريب، والظفر المبين، فأبذل من الجزية ما شئت، وسمّ منها ما هويت. واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة إليها ولا للمسلمين، ولكن طاعة لربه، وأثرة لحقه، وليجعلها سببا لما يريد أن يجرى فيما بينه وبينكم، وإنه كان قبول المهديّ –رحمه الله–الفدية منكم، بطلبة أمير المؤمنين كانت إليه، والحاجة كانت فيها عليه، ولم يكن من رغبة فيها ولا حاجة إليها، ولا استعظام لها، ولقد كان يعطي في المجلس الواحد مرارا أمثالها،، ولكن ذلك كان رأي أمير المؤمنين يومئذ فيكم، فأما اليوم إذا استبان له غدركم ونقضكم ونكثكم واستخفافكم بدينكم، وجرأتكم على ربكم، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم إلا الإسلام أو الحرب المجلية إن شاء الله، ولا حول بأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله عليه يتوكل وبه يثق وإياه يستعين والسلام على من اتبع الهدى».

اختيار المنظوم والمنثور: (ج:12، ص: 226)

---

[1] ـ في الأصل «ولاابتذلوا».

[2] ـ فاعل يمنع غير موجود في الجملة، والظاهر أن الأصل «ولا يمنعك العناد أو الشيطان مثلا»

الملخص:

من أجل إبراز الحجاج وتبيان دوره والكشف عن آلياته وتقنياته والوقوف على مدى فاعليته التأثيرية والاقناعية في الرسائل للمتلقين لها تناول هذا البحث فصولا ومباحث حاول من خلالها الإجابة عن هذه الإشكالات.

فقام بإجلاء التعاريف والمفاهيم المتعلقة بالرسائل وتطورها وخصائصها وكذا المتعلقة بالحجاج والمصطلحات المصاحبة له والدراسات والنظريات القديمة والحديثة التي شكلت تطوره وتوسعه.

منتقلا بعد ذلك إلى الكشف عن الآليات والتقنيات التي يمكن للغة أن تقدمها للحجاج في الرسالة باعتبارها وسيلة للخطاب والتواصل من استدلالات عقلية وشروحات تفصيلية وأدوات وروابط تزيد الحجاج ترابطا وتآلفا وترتيبا.

وصولا إلى مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية تسعى إلى التأثير والإقناع في المتلقي للرسالة ومن ثم إذكاء الحجاج وإظهار فاعليته.

Summary

In order to highlight and clarify its role, reveal its mechanisms and techniques. and determine the extent of its impactful and persuasive effectiveness in messages to its recipients, this research dealt with chapters and permissible chapters through which it tried to answer these problems.

So, he clarified the definitions and concepts related to the letters, their development and characteristics, as well as those related to the pilgrims and the terms accompanying them, and the studies and theories, ancient and modern, that shaped its development and expansion.

Moving from that to reveal the mechanisms and techniques that language can present to the pilgrims in the message as a means of discourse and communication, from mental inferences, detailed explanations, tools and links that make the pilgrims froth together, damaged and arranged.

Reaching to its phonetic, morphological and grammatical levels, it seeks to impress and impress in the meeting with a message, and those who have stimulated the pilgrims and shown their effectiveness.